حاخامات وجنرالات

الدين والدولة في إسرائيل

تأليف
أحمد بهاء الدين شعبان

مكتبة جزيرة الورد

بطاقة فهرسة

حاخامات وجنرالات

الدين والدولة فى إسرائيل

تأليف: أحمد بهاء الدين شعبان

مكتبة جزيرة الورد ٢٠١٠

المقاس ١٧× ٢٤

عدد الصفحات ٣٢٠

رقم الايداع
٢٠١٠ / ١٩٥٠٢

الناشر:

مكتبة جزيرة الورد

٤ ميدان حليم ـ خلف بنك فيصل الرئيسى ـ شارع ٢٦ يوليو ـ من ميدان الأوبرا

محمول:

٠١٠٠٠٠٠٤٠٤٦ ـ ٠١٠١٠٠١٠٤١١٥

ت: ٠٢/٢٧٨٧٧٥٧٤

٠٢/٠١٠٠١٠٤١١٥

الطبعة الأولى ٢٠١٠

إلى روح الشهيد... الأخ والرفيق شفيع عبد الغفار الوطنى المصرى الصعيدى «الجدع» قضى من أجل مصر، وفمه يلهج باسم فلسطين وإلى أشرف وعمرو. الحاضر والمستقبل



مقدمة الطبعة الثانية للكتاب
.... الخطر يتعاظم

أحمد بهاء الدين شعبان

أمعنتُ النظر فى فصول وسطور هذا الكتاب، وأنا أُعِدُّ لنشر طبعته الجديدة بعد نحو خمسة عشر عاماً على صدور الطبعة الأولى منه (فى ١٩٩٦). عساى أن أعاود تقويم ما تضمنته من معلومات وتحليلات ومواقف وتفسيرات.

والحق أنى ازددت يقيناً أنى لم أخاصم الصواب فى كل ما تضمنه هذا الكتاب من رؤى، وأفكار، ومواقف، بل أن كرّ الأيام ومرَّ السنوات، أكدا بما لا يدع مجالاً لأى اجتهاد أو شك، صحة الاستنتاجات التى خَلُصَتْ إليها صفحاته، وقد كُتبت فى مفتتح عقد التسعينيات الماضى، وفى حُمَّى الترويج لما يُسمّى بعهد «السلام»، بعد توقيع اتفاقيات «أوسلو»، وكان الذين يتشككون فى جدوى هذا المسار قِلّةً، متهمون بـ «قصر النظر»، و«التعصب»، و«مجافاة الواقع»، «والتشنج»، «والتطرف».. إلى آخر القاموس المعلوم المشهور.

فهل كان موقفنا ذاك، الذى تدعمه الوقائع الثابتة على الأرض اليوم، محض رجمٌ بالغيب، أو ضربٌ من التنبؤ؟!.. أبداً، على الإطلاق.. إنما كان يصدر عن رؤية موضوعية لمحددات الصراع العربى الإسرائيلى، وإدراك واعٍ لطبيعة المشروع الاستيطانى الإحلالى العنصرى الصهيونى ومستهدفاته فى المنطقة، ودراسة متأنية لغايات الإمبريالية الأمريكية والغربية، والأيديولوجية «النيو - ليبرالية»، التى تسعى للسيطرة على مقدرات الشعوب، فى العالم أجمع، وفى وطننا، على وجه التحديد، وإلى بسط الهيمنة الأمريكية عليها،

ومن هنا جاء العدوان المخطط له على العراق، واحتلال هذا البلد العربى العريق الكبير، ومن هنا كذلك كان الدفع لحصار سوريا، وتمزيق السودان، والعدوان الهمجى على لبنان وغزة، والتحريض على إيران..، وغيرها من المخططات، التى تصب، جميعها، فى اتجاه حصار شعوبنا، ونهب ثرواتنا، واستنزاف قدراتنا، وتدمير مقومات حياتنا.

لقد كانت كل المؤشرات، آنذاك، إذا قرأت قراءة واقعية نزيهة، تشير، ومنذ عقد ونصف، إلى تنامى الاتجاهات المتطرفة المتسترة برداء الدين، فى منطقتنا، وذلك لأسباب موضوعية، ربما كان أبرزها تكوين «الدولة اليهودية» الصهيونية العنصرية المغتصبة، وكرد فعل (طبيعى) فى مواجهتها، بعدما تراجعت مشروعات المواجهة القومية، وانكشفت الادعاءات بـ «علمانية» الدولة الإسرائيلية، وتأكد تماهى المشروع الصهيونى السياسى، والمشروع اليهودى الدينى (العنصرى)، وتمازجهما، لإنتاج طفل هجين، هو مزيج من التطرف السياسى والعنصرية الدينية، ومعاداة الإنسانية، وانعدام المسئولية، والعدوانية المتأصلة.. وهكذا رأينا المجتمع اليهودى الصهيونى برمته، يصل إلى لحظة مكاشفة فاضحة لنفسه، ليجدها بعيده كل البُعد عن ادعاءات «الديمقراطية» و «التسامح» التى خدع ويخدع بها العالم أجمع، فراح يعيد إنتاج «المحرقة النازية»، فى مواجهة العرب والفلسطينيين، على مستويات عدّة، متقمصاً دور الجلاّد، بعدما عاش لمدة ستين عاماً أو يزيد، يُندد بها، ويُحَرِّضُ العالم فى مواجهتها، ويُدين وينتقم من كل من شارك ـ بأى شكل فيها، وعلى ذلك، فلم أجد أدنى ضرورة لتغيير، أو لإعادة كتابة أى سطر من سطور هذا الكتاب، الذى استهدفت من وراء جهد إعداده، التأكيد على عنصرية هذا الكيان العدوانى المغتصب، وعلى استحالة التوصل إلى «سلام عادل» معه. فهل يمكن تصور أن يعم «السلام» بين الجلاّد والضحية.. بين القاتل والقتيل.. بين اللص والمسروق..

وبين ثنايا هذا النص كل ما يُشير إلى أن استمراء حكامنا ونخبنا لوهم السلام المخادع مع مثل هذه التركيبة المريضة الهمجية، ليس إلاّ نوع خطير من الغفلة والسذاجة، سيكلفنا آكثر بكثير مما نظن، ولنتذكر أن مثل هذا السلوك البائس كَلَّفَ «الهنود الحمر» ملايين الضحايا، ونهب كامل أراضيهم، وتحويلهم إلى «كاريكاتير» تاريخى، نراه فى المتاحف أو أفلام «الكاوبوى».. ونأسى له، بعد أن انقرض نوعه، أو يكاد.

إن الغاية من تسطير هذا الكتاب، واضحة لا لبس فيها. إنها الدعوة لاستيعاب الطبيعة العدوانية العنصرية الأصلية لإسرائيل، وهذه الطبيعة (البنيوية) هى التى تقف من خلف كراهية الدولة الصهيونية للعرب وللفلسطينيين وللمصريين، بل ولكل دعاة الحق والحرية والعدل والكرامة البشرية، مثلما حدث فى عدوانها الإجرامى على «أسطول الحرية» مؤخراً.

والرسالة التى تتضمنها سطور هذا الكتاب، هى توجيه الانتباه إلى المخاطر الكبيرة المترتبة على تحالف «الجنرالات» و«الحاخامات»، أى اجتماع القوة العسكرية الباطشة مع التطرف الدينى، الذى يصدر عن وهم متسلط، يُصَوِّر أصحابه كمتحدثين رسميين باسم «الإله، و«المقدَّس»، فاتحاد «السياسى، و«العسكرى، و«الداعية، فى مجتمع بُنى على الاغتصاب وأسس على العدوان، يصنع مُرَكَّباً مُعقَداً على درجة بالغة من الخطورة. ولذا فهذا النص الذى اعتمد على عشرات المصادر الهامة، والملىء بالحقائق، والاستشهادات، والوقائع، من الماضى الأسطورى وحتى الواقع المعاش، تشير جميعها إلى ضرورة الاستيقاظ من الغفلة، والتنبه إلى ما يحيطنا من مخاطر وتهديدات.

فالعدو يتربص بنا، وهو مدجج بالأسلحة من كل الأنواع وآحدث الطرز، وبما فيها السلاح النووى، وقد يأتى يوم يملك (مجنون) من زمرة المتطرفين الدينيين، المهووسين بأساطير «الخلاص» ونبوءات «آخر الزمان»، وآحلام «بناء الهيكل» مفتاح إطلاق «حرب يوم القيامة» فى منطقتنا، وهو أمر يستدعى آعلى درجات التهيؤ والاستعداد والحركة، حتى لا نصحو ـ كعادتنا ـ

على كارثة جديدة، ونروح نبكى ـ كما يحدث دائماً ـ على اللبن المسكوب، فضلاً عن مسلسل العدوان المستمر، الذى لم ينقطع يوماً، على شعوبنا وثرواتنا ومقدساتنا ومقدراتنا!

تبقى إشارة أخيرة أود أن أختم بها هذه المقدمة، وهى أننا حين نمعن النظر فى ثنايا المشروع الأيديولوچى، الفكرى والثقافى والسياسى والعسكرى، الذى بُنى على أرض فلسطين المغتصبة، يمكننا التوصل إلى فهم أعمق لخطورة «إسرائيل» الهائلة، ليس فقط على أبناء الشعب الفلسطينى، الذى فقد الأرض والوطن والاستقرار والأمن، وإنما، وبالأساس، على مصر أيضاً، ذلك أن صنّاع هذا المشروع والمخططين الاستراتيجيين له، كانت أعينهم دائماً موجهة إلى «الهدف الكبير»، مصر، فهى الدولة الأقدم والأكبر والأهم والأضخم، من ناحية الإمكانات والقدرات، وهى التى تستطيع تجميع العرب فى مواجهة إسرائيل، وقد فعلت أكثر من مرة، ومن هنا كان استهداف مصر بؤرة تحرك السياسة الأمريكية الغربية، منذ العدوان الثلاثى (١٩٥٦)، وهزيمة يونيو (١٩٦٧) وحرب أكتوبر (١٩٧٣)، واتفاقات كامب ديڤيد (١٩٧٨).. وحتى الآن، وهذه الرؤية الموضوعية، ترد على مزاعم السلطة المصرية والطبقة الحاكمة، التى تدّعى أن مصر خاضت كل حروبها فى مواجهة «إسرائيل» دفاعاً عن فلسطين، وهى «لا ناقة لها ولا جمل فيها»، وهذا الأمر غير صحيح بالمرّة، فمفهوم الأمن القومى لبلادنا، والذى أدركه كل من محمد على وإبراهيم باشا وسليمان باشا الفرنساوى»، قائد العسكرية المصرية فى أواخر القرن التاسع عشر، كان يرى وعن حق وبُعد نظر، أن أمن مصر من أمن سوريا وفلسطين، وأن الدفاع عن القاهرة لا يبدأ بالدفاع عن دمشق والقدس وحسب، وإنما يمتد إلى «جبال طوروس»، حيث ينبغى مواجهة المخاطر التى تهدد مصالحنا.

ومن هنا جاءت الحاجة لإعادة طبع هذا البحث، الذى لم أجد ـ كما ذكرت ـ ضرورة لاستبدال أى سطر جاء فيه، أو الاعتذار عن خطأ لتقويم تضمنه، بل

جاءت التطورات المتواترة منذ عام (١٩٩٦)، عام صدور الطبعة الأولى، وحتى الآن. (والتى تولى فيها أمر قيادة دولة الاغتصاب الصهيونى كل من: «آريئيل شارون، و«بنيامين نتنياهو، و«أيهود باراك» و«تسيبى ليفنى» و«أيهود أولمرت»، و«بنيامين نتنياهو» مجدداً)، لكى تثبت للجميع الحقائق التالية:

(أ) اتجاه المجتمع الصهيونى إلى المزيد من التطرف واليمينية والعدوانية.

(ب) تراجع حجم وتأثير القوى (العلمانية) و(اليسارية) المزعومة، وبروز طبيعة «الدولة اليهودية»، كدولة عنصرية متطرفة.

(جـ) ازدياد وتيرة الطبيعة العدوانية للدولة، وتهجمها الهمجى على لبنان وغزة، دون أى سقف لنزوعها العنصرى التدميرى.

(د) ازدياد مستوى الدعم والإسناد الأمريكى (والغربى)، فى كافة عهود الرئاسة الأمريكية منذ «كلينتون» وقت كتابة ونشر الطبعة الأولى حتى «باراك أوباما»، الرئيس الأمريكى الآن، للعدوانية الصهيونية، والتواطؤ الفج والمكشوف مع الأهداف الإسرائيلية.

(هـ) اتجاه الواقع العربى إلى المزيد من التمزق والتشرذم والتراجع والانهزامية، والواقع الفلسطينى إلى المزيد من الانقسامية والتفتت، بما يعنى المزيد من الدعم لمستهدفات المشروع العنصرى الصهيونى، مع بالغ الأسف.

وإذا كان هناك فضل فى صدور هذه الطبعة الجديدة، فهو فى الأول والأخير، للأستاذ فتحى هاشم، صاحب دار نشر «جزيرة الورد»، الذى يضرب - بحماسه وتعاونه - المثل للمثقف الجاد، المهموم بشؤون وشجون وطنه وأمته، وللعاملين معه، الذين لم يتوانوا عن بذل جلّ جهدهم لإصداره فى شكله اللائق، فله ولهم جميعاً الشكر والعرفان.

أحمد بهاء الدين شعبان

القاهرة - ٢٠١٠

تقديم

للكاتب الفلسطينى الأستاذ/ عبد القادر ياسين

مع انحطاط الظاهرة القومية فى أوروبا، فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، ولدت الفكرة الصهيونية؛ لذا حملت هذه الفكرة الملامح البشعة للقومية فى أحط صورها، بعد أن نجحت القوى الظلامية الأوروبية فى أن تجهض النهوض القومى فى القارة، ومن هنا جاء الطابع الفاشى للصهيونية.

فى السياق نفسه، كان طبيعياً أن تتكئ الحركة الصهيونية على الدين اليهودى، مادام اليهود مادتها البشرية؛ حيث يتيح هذا للقائمين على الحركة الصهيونية مجالاً رحباً لتضليل جموع اليهود، وحشدهم وراء الفكر الصهيونى.

لذا فلا مفارقة بين إلحاد جُل القادة المؤسسين للحركة الصهيونية وبين الدين الذى تسربلت به الحركة؛ الذى لم يكن أكثر من ثمرة للضرورة، ودليلاً أكيداً على مدى براجماتية هذه الحركة وقادتها.

لقد صدَّقت نسبة غير قليلة من اليهود دعاوى هؤلاء القادة المؤسسين، فاعتنق يهود متدينون كثيرون الفكرة الصهيونية، وأخذوا يعملون من أجل «العودة إلى أرض الميعاد». فيما رفض متدينون آخرون الفكرة، وقاوموها، ولايزالون؛ وفى مقدمة هؤلاء جماعة «ناطورى كارتا»، التى تدين الصهيونية وكيانها، على أن هذا لم يمنع منظمات صهيونية دينية كثيرة من أن تقوم فى فلسطين المحتلة، وتتغذى على التوراة والفكر الصهيونى، فى آن معاً.

هكذا، غداً موقع الدين اليهودى قلقاً فى الحركة الصهيونية وكيانها؛ حيث لا يستطيع القادة السياسيون الاستغناء الآن، عن هذا الدين، ولا يريد المتدينون اليهود أن يتركوا لهؤلاء القادة الفكرة الصهيونية وحركتها، حتى بعد

أن اكتشف هؤلاء المتدينون «لعبة» هؤلاء القادة.

ومنذ أن اكتشف القادة الصهاينة أن «الشرق أوسطية» أقدر على تحقيق الأهداف الصهيونية فى «أرض إسرائيل»، التى سبق أن دعوا إلى إقامتها «من النيل إلى الفرات»، فإن هؤلاء القادة بدأوا يستغنون، تدريجياً، عن الدين اليهودى؛ ودخل هذا الدين وبراجماتية الساسة الصهاينة فى صراع مكشوف داخل الكيان الصهيونى. وربما كان مقتل الرمز الصهيونى، إسحق رابين، خريف العام ١٩٩٥، أحد أهم تعبيرات هذا الصراع المحتدم المكشوف.

إن هذه العلاقة الملتبسة بين الدين والدولة داخل الكيان الصهيونى فى أمس الحاجة إلى من يرصدها فى حركتها، ويلقى الضوء على خصائصها المميزة، ويحلل أشكال تطورها، ويرصد نقاط اللقاء والافتراق بين طرفيها، فضلاً عن التأثير المتبادل بين هذين الطرفين، سلباً وإيجاباً. ناهيك عن استشراف مستقبلها.

إن موضوع هذا البحث أكاديمى كفاحى، فى آن معاً؛ لذا يجب ألا يُترك أمره لأكاديمى الأبراج العاجية، بل يجب إسناده إلى أكاديمى يكافح، ذى حس سياسى وطنى واضح. ومن هنا فالصديق العزيز أحمد بهاء الدين شعبان أهل لمثل هذه المهمة الأكاديمية الكفاحية، وهو الذى بدأ حياته العملية مكافحاً وطنياً، فى طليعة الحركة الطلابية المصرية، التى تُوجت بالاحتجاج الشهير الذى زلزل نظام السادات، مطلع سنة ١٩٧٢. ومن هذا الموقع دلف بهاء إلى الكتابة السياسية، ولم يأت إليها من قبيل الترف، أو لطبيعة دراسته الجامعية، أو من باب الصدفة.

ولا أخالنى أبالغ، إذا ما رأيت بأن الدين والعلمانية دخلا مواجهة دامية داخل الكيان الصهيونى، وستفضى هذه المواجهة إلى إعادة توزيع المواقع داخل هذه الكيان؛ كما أنها ستعيد صياغة الفكر الصهيونى، من جديد، بيد أن ذلك التوزيع وهذه الصياغة لن يتما بدون صراعٍ محتدمٍ دامٍ، من الصعب

التنبؤ بنتائجه، أو احتوائها.

لقد غدت هذه المواجهة، منذ سنوات قليلة، نقطة فرز واستقطاب داخل الحركة الصهيونية وكيانها؛ مما سيدفع بالليكود، باطراد، إلى هامش الحياة السياسية الصهيونية، ويجعل من حزب العمل والقوى الدينية الصهيونية قطب هذه المواجهة، بعد أن أخذ الليكود يفقد مبرر وجوده، ودخل فى حالة التأرجح بين البراجماتية السياسية والأيديولوچية الدينية؛ لن يفلت منها إلا بمعجزة، فى عصر توارت فيه المعجزات.

لعل من فضول القول بأننا تأخرنا كثيراً فى التعرف على ملامح عدونا المباشر، الصهيونية وكيانها، بعد أن أدرنا ظهرنا، طويلاً، لحكمة فيلسوف الصين القديم «صن تزو» القائلة: «أن تعرف نفسك وتعرف عدوك ففى مائة معركة ستنتصر مائة مرة».

عبد القادر ياسين

القاهرة فى ١٩٩٦/٦/٢٣

هناك حادثان هامان من طبيعة واحدة، لكنهما متعارضان، وهما: يقظة الأمة العربية، والجهد اليهودى الخفى لإنشاء مُلك إسرائيل القديم من جديد وعلى مقياس أوسع.

إن مصير هاتين الحركتين هو الصراع المستمر إلى أن تغلب إحداهما الأخرى.

ومصير العالم كله منوط بالنتيجة النهائية لهذا الصراع بين الشعبين اللذين يمثلان مبدأين متعارضين.

« نجيب عازورى »

« يقظة الأمة العربية »

Le Reveil de la Nation Arabe, 1905

إن التحرر اليهودى يعنى فى النهاية، تحرر الإنسانية من اليهودية.

إن التحرير الاجتماعى لليهود هو تحرير المجتمع من اليهودية.

« كارل ماركس »

« المسألة اليهودية » ـ ١٨٨٤

هذا الكتاب... لماذا؟

منذ فترة ليست بقصيرة، لفت انتباهى - بصورة متعاظمة - وأنا أطالع تطورات الواقع داخل إسرائيل، ولابد أنه لفت انتباه الكثيرين أيضاً، التنامى المضطرد للدور الذى تلعبه، والنفوذ الذى تتمتع به، التيارات الدينية والأصولية اليهودية، وبالذات فيما يتعلق بقضية الأراضى العربية المحتلة، وما يتفرع عنها ويرتبط بها من مشكلات التسويات السياسية والاستيطان والعدوان الصهيونى المستمر على أبناء الشعب الفلسطينى، وعلى الجماهير العربية فى لبنان وغيرها من المناطق العربية الأخرى.

إن صورة الشاب اليهودى الذى يرتدى الطاقية اليهودية المزركشة الشهيرة، ويحمل على كتفه رشاش «عوزى»، ويمرق رائحاً غادياً مختالاً فخوراً داخل المناطق العربية المحتلة، وفى وسط التجمعات الفلسطينية، متحدياً، بروح الاحتقار والاستفزاز «أصحاب الدار» و«أهل البيت»، أو صورة الحاخام، المحتقن الوجه، النافر الأعصاب، الجاحظ العينين، الذى يصرخ فى مواجهة الفلسطينيين طالباً الدم، ومهدداً بالانتقام - لمن الصور التى أصبحت معتادة، وشبه يومية على شاشات البث التليفزيونى، أو من خلال الصحف والمجلات المحلية والعالمية، كذلك فإن النفوذ الذى بات يتمتع به رجال الدين مرتدى الملابس السوداء، مطلقى اللحى، حاملى التوراة، على الحياة السياسية والثقافية فى «إسرائيل» لمن الأمور التى أصبح بروزها واضحاً، لا يحتاج إلى جهد فى تبين ملامحه...

ومن هنا انتابنى الشعور بأنه قد أصبح من الضرورى لنا أن ننكب على قراءة هذا المتغير الجديد/ القديم، وأن نعكف على محاولة فك طلاسم هذه الظاهرة ودراسة أعماقها لأنها تؤثر - بشكل فورى، ومباشر - علينا وعلى مستقبل بلادنا، وأجيالنا القادمة.

ثم حدثت واقعتان إضافيتان، جعلتا من هذا التوجه أمراً أكثر إلحاحاً وحسماً.

أولاهما: إننى قرأت فى مجلة المصور (العدد ١٦٥٩)، بتاريخ ١٩٩٤/١١/٢٥ رسالة من «واشنطن». كتبها الصحفى الأستاذ «محمد وهبة» بعنوان «صدمة يوسى بيلين فى سوق السمك، هل أصبحت الصيحة: لبيك يا إسرائيل... لبيك؟!»، ويحكى فيها عن محاضرة ألقاها «يوسى بيلين»، نائب وزير الخارجية الإسرائيلى، وأحد أهم الشخصيات التى «هندست» اتفاقية «السلام» الفلسطينى ـ الإسرائيلى (كما يذكر الكاتب)، أو التسوية الأمريكية ـ الاسرائيلية (كما أعتقد)، ومعه «إهود يعارى» أبرز خبراء التليفزيون الإسرائيلى فى الشئون العربية، وأكثرهم تردداً على الوطن العربى، وجها فيها الحديث إلى نخبة من قيادات الفكر والسياسة والإعلام فى واشنطن، فى اجتماع بمؤسسة «بروكنجز» الأمريكية الشهيرة، واهتماماتها بالمنطقة والتسوية فيها قديمة ومعروفة أيضاً.

وفى هذه المحاضرة، التى تناولت التغيرات شديدة الوقع التى تشهدها المنطقة، بعد أن أضاف «بيلين» مجموعة من الوقائع «الطريفة» إلى مجمل ملامح الصورة، منها حديثه عن اجتماع «غريب» و «مشجع» عقد فى القاهرة بينه وبين ممثل للجامعة العربية، نوقشت فيه إمكانية مشاركة الجامعة العربية فى المباحثات المتعددة الأطراف (مع إسرائيل)، (لم لا؟!)، بدأ بيلين يحكى عن زيارته لـ «إحدى دول الخليج»، بهدف بحث العلاقات الثنائية بينها وبين إسرائيل، وعن العديد من الأحداث المماثلة، التى كانت أى منها كفيلة بأن تصبح حدث العام، غير أنها ـ لكثرتها وتواترها ـ لم تعد تصنع العناوين الرئيسية على صدر الصفحة الأولى للصحف، وإنما تحتل مكانها بين الأخبار العادية فى صفحاتها الداخلية (على حد قوله).

لكن كل ذلك لم يكن المهم، فى ما ذكره «يوسى بيلين» بل كان المهم هو الجزء من حديثه الذى يقول فيه: «بدون الدخول فى التفاصيل. لقد أصبحت هناك مصالح فى العالم العربى تريد أن تزج بنا (أى إسرائيل) فى الخلافات

العربية القديمة التى تقع فيه... وإننى أعتقد أن إحدى المشاكل التى سنواجهها فى المستقبل القريب جداً ستتمثل فى القرار الذى سنتخذه فيما إذا كنا سنشارك فى شىء من هذا القبيل... أم لا؟... إن الإغراء للمشاركة ـ يقول «يوسى بيلين» ـ لكبير، ولكنى أعتقد أننا يجب أن نأخذ حذرنا، خاصة وقد أصبحت هناك ضغوط علينا لكى نؤيد طرفاً عربياً ضد طرف آخر، ويمكن لى أن أقول ـ مرة أخرى ـ إننى عندما أتحدث عن تحديات السلام، فإننى أعتقد أنه كان أسهل لنا أن نكون مقطوعين عن (العالم) العربى، لا تعرف بالضبط من ضد من؟! ولماذا؟ من أن نكون فى وضعنا الحالى، وقد فُتحت الحدود لنا، وبدأنا نشعر بأننا أصبحنا ضمن اللاعبين فى هذه الساحة».

انتهى المقتطف الطويل، الذى أوردته بحذافيره، لدلالته التى لا تكاد تخفى على أحد، وأشارك الأستاذ «محمد وهبة» الصحفى المصرى والسفير العربى، الذى كان بجانبه فى اللقاء، شعورهما بالعار، وكذلك تعبيرات التساؤل والاستغراب التى عَبَّرَ عنها الصحفى المصرى:«أبهذه السرعة تحول عدو الأمس إلى حليف للبعض منا ضد البعض الآخر، لدرجة أثارت الإشمئزاز فى نفس صديق اليوم، فغدا يترحم على أيام زمان، عندما كان بعيداً عن هذا القرف!!!».

ومن أجل هذه الواقعة وغيرها التى تثير الاستياء و«القرف» بالفعل، وددت لو أتيحت لى الفرصة، كى أعرض فى سطور هذا الكتاب، وبالتفصيل أحياناً، كيف يرانا هؤلاء الحلفاء الجدد؟! كيف ينظرون إلينا؟! وكيف يخططون لنا؟! وكيف يترجمون أطماعهم فى ثرواتنا وبلادنا.

ومرة أخرى وجدت أنه من الضرورى أن أقدم صورة عن قطاع هام وخطير من مجتمع الأصدقاء الجدد وحلفاء آخر الزمان. قطاع سيكون له دور، وأى دور، فى المستقبل القريب، حينما تنتقل المفاوضات بين الفلسطينيين والصهاينة إلى تلك النقاط الأساسية المؤجلة المتعلقة بالمستوطنات، وبوضع مدنية القدس، والتى لازلنا نراهن على «شهامة» وأريحية «الأصدقاء» فى حلها. وحيث سيكون لهؤلاء المتطرفين العنصريين الكلمة العليا فى صياغة الحل «المأمول»!!.

أما الواقعة الثانية التى أكدت الحاجة لمثل هذه «القراءة» لحاضر القوى والاتجاهات الدينية والأصولية داخل إسرائيل وتجلياتها، فهى الرصاصات التى أطلقت يوم ١٩٩٥/١١/١١. فأردت رئيس الوزراء السابق «إسحق رابين» قتيلاً، فقد أكدت تأكيداً لا مزيد عليه أن العالم كله (الذى انتابته الصدمة لما حدث) وليس لدينا فقط، فى حاجة إلى مضاعفة الاهتمام بما يجرى داخل هذا القطاع الفاعل فى السياسة الاسرائيلية الآن.

لقد فجّرت الرصاصة التى أطلقها «إيجال عامير»، العديد من التساؤلات، وطرحت الكثير من علامات الاستفهام حول طبيعة القوى «الأصولية» اليهودية، فى إسرائيل، وبخصوص تكوين وحراك الأحزاب والتكتلات الدينية فيها.

وكان من الواضح ـ من حجم الصدمة التى انتابت، ليس فقط الرأى العام، وإنما أيضاً «المعنيين» داخل إسرائيل وخارجها ـ أن حدود المعرفة بهذا القطاع المهم من المجتمع الإسرائيلى ضئيل للغاية، وأن الوعى بأبعاد نشأة هذه التيارات، وإدراك مضامينها الفكرية، وتكتيكاتها التنظيمية، وقدراتها الحركية، لا يرقى ـ بحال ـ إلى مستوى وضعيتها الفاعلة والمؤثرة فى صياغة السياسات الإسرائيلية، وتوجيه عملية صنع القرار الاستراتيجى بها، وخاصة فيما يتعلق بنقاط الصراع المصيرى مع الأمة العربية: كقضايا الأراضى العربية المحتلة، والحدود «التوراتية» المزعومة لما يطلقون عليه اسم «أرض إسرائيل الكاملة»، وكذلك الموقف من مسألة المستوطنات، وموضوع مدينة القدس ومستقبلها، ومستقبل المقدسات الإسلامية فيها، وقضية عودة أبناء الشعب الفلسطيني... إلخ، وهى قضايا شديدة الخطورة والتفجر، وستكون محل صراع دام فى الشهور القليلة القادمة.

ونحن فى الوطن العربى، معنيون، من شتى الزوايا، بدراسة هذه الظاهرة، وبتعمق مكنوناتها؛ فالركون إلى الاسترخاء تحت تصور واهم ينطلق من أن «التسوية السياسية» الراهنة، أو ما أُطلق عليه إسم «عملية السلام

العربى ـ الإسرائيلى» يحل لب المشكلة، وينفى جوهر التناقضات الموضوعية، ويبدد كافة مقومات الصراع، يشكل تهديداً خطيراً على مستقبل أمتنا ومصائر شعوبنا، بل ويطول مستقبل «السلام» الحقيقى ذاته، فمفهوم بالطبع أنها تسوية تتم فى ظل موازين قوى مختلة اختلالاً بيِّناً لصالح إسرائيل، وهى لم تتخل عن أى من المقومات الأيديولوچية العنصرية الصهيونية، الاستراتيچية، وهى متمسكة بثوابتهاالأساسية، وتوجهاتها الرئيسية، وإن بدَّلت بعضاً من مساراتها التكتيكية استجابة للمستجدات، وهى ـ إلى ذلك ـ لا زالت تحشد آلتها الحربية الضاربة، وحريصة كل الحرص على دعمها بكل جديد فى مجالات تكنولوچيا السلاح، وهى القوة الوحيدة التى تنفرد بالخيار النووى فى المنطقة؛ الأمر الذى يضفى على توجهاتها هذه سمات عدوانية جليِّة، برغم كل ما تم على مسار التسوية حتى الآن.

ومن هنا كانت أهمية موضوع هذه الدراسة، التى تستهدف:

١ ـ استجلاء غوامض القوى الدينية، والاتجاهات الأصولية، فى إسرائيل، ومحاولة رسم خريطة واقعية لها، وبناء هيكل موضوعى لعناصرها، يفيد القارئ وصانع القرار، فى فهم هذه الظاهرة، وتلمُّس مواقع الأقدام فى مواجهتها، مع شرح مركزٍ ووافٍ، لنشأتها التاريخية، والخلفية الأيديولوچية والتراثية لعقيدتها.

٢ ـ تبيان ملامح الوحدة والصراع فيما بين صفوف هذه القوى من جهة، وفيما بينها وبين سائر القوى السياسية الأخرى (العلمانية ـ الدنيوية...)، الصهيونية، الأخرى من جهة ثانية.

٣ ـ دراسة مواقف هذه القوى الدينية والأصولية من قضايا تمس مصير أمتنا العربية، كقضايا تحقق «الوعد الإلهى» المزعوم، والموقف من «الأغيار»، وفكرة بعث «المسيح المخلص»... وقضية إعادة بناء «الهيكل الثالث» فى موقع المسجد الأقصى الشريف... إلخ، وكلها قضايا شديدة التفجر، وتعنينا بصورة مباشرة.

٤ ـ محاولة استشراف المستقبل، وقراءة احتمالات نمو (أو تقلص) ظاهرة التطرف الدينى اليهودى، وما تشكله من تهديدات لمجمل البناء السياسى الصهيونى، داخل إسرائيل، وانعكاسات ذلك على أوضاعنا، وعلى مستقبل المنطقة.

ثم يجىء مبرر موضوعى آخر يحتم تعميق وعينا بهذه الظاهرة الخطرة، بكافة أبعادها: فكلنا يعلم أن حزب الليكود اليمينى المتحالف مع الاتجاهات الدينية والأصولية قد حملته أصوات الناخبين الإسرائيليين عام ١٩٧٧ إلى السلطة، التى ظل على قمتها حتى انتخابات عام ١٩٨٨، ثم فى الانتخابات التى تلت ذلك العام، وحتى الآن، استُبدل بتحالف عمالى/(يسارى)/ عربى (ممثلين لعرب الأراضى المحتلة) هش بفارق ضئيل للغاية، لم يتعد صوتاً واحداً أو صوتين فى بعض الأحيان. وبمعنى آخر، فإن هناك على الأقل نحو نصف الإسرائيليين يتبنون سياسة عنصرية معادية عداءً مطلقاً للعرب وللفلسطينيين وللسلام الحقيقى، ناهيك عن أن قطاعاً عريضاً من النصف الآخر، الذى يقبل ما يسمى بـ «التسوية»، (وأساساً من «صقور» حزب العمل)، هو أيضاً، وبفروق طفيفة، ينتمى إلى معسكر المتطرفين العنصريين الصهاينة؛ غير أنه، لظروف عديدة، لا يتدخل بقوة لعرقلة المفاوضات الجارية، وربما لإدراكه أنها ـ فى نهاية المطاف ـ تحقق أهدافه الاستراتيجية، حتى لو اضطره ذلك إلى بعض التراجعات التكتيكية، أو تقديم بعض التنازلات الشكلية، التى لا تمس جوهر المشروع الصهيونى، ولا تطول برامجه بعيدة المدى، ولنا فيما حدث من مجازر فى لبنان، خلال شهر إبريل ١٩٩٦، على يد قوات العنصرية الصهيونية بقيادة (داعية) السلام و«الشرق الأوسط الجديد»، «شمعون بيريز»، فى هذا الشأن، عبرةً لا مزيد عليها.

لهذا كله، ولغيره من أسباب، رأيت بعد أن قدمت «الاستراتيجية العسكرية والإسرائيلية عام ٢٠٠٠» سنة ١٩٩٣، و«اتفاق غزة أريحا: الملامح والنتائج السياسية والاقتصادية» (بالمشاركة مع الأستاذة «نادية رفعت») سنة

١٩٩٤، أن أقدم هذه الدراسة عن «الدين والدولة فى إسرائيل»، التى تدرس مقومات دولة الحرب والعدوان العنصرية الصهيونية، بشقيها: العسكرى والدينى، وتبحث فى تطور العلاقة التاريخية بين جناحيها المدنى واللاهوتى، حتى يكتمل جانب من جوانب الصورة، وبما يساعد فى رؤية ملامح صراع المصير الدائر ـ على كل المستويات ـ فوق أرضنا.

ومن المهم أن أشير ـ فى هذا السياق ـ إلى أننى قد ركَّزت فى صفحات هذه الدراسة، من بين العديد من القضايا التى يطرحها موضوع «الدين والدولة فى إسرائيل»، على تلك القضايا التى تمس، أو تنعكس ـ بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر ـ على واقعنا العربى، وحاولت أن ألتقط رؤى ووجهات نظر هذه الاتجاهات والقوى الصهيونية واليهودية ـ محل الدراسة ـ فى موضوعات أساسية تهمنا كالتسوية والاستيطان والدولة الفلسطينية والقدس.. إلخ، أى: تلك المسائل التى ستحكم مسار الوضع القادم، ومستقبل أجيالنا.

ومما هو جدير بالذكر أن محتويات هذه الدراسة قد تم الفراغ من صياغتها، بصورتها النهائية، قبل إعلان نتائج انتخابات الكنسيت الرابع عشر، التى جرت فى شهر مايو ١٩٩٦، ولم أجد فى هذه النتائج (التى ترتب عليها فوز حزب الليكود مدعوماً بالأحزاب والتكتلات والتيارات الدينية) ما يدعونى إلى إعادة النظر فيما احتوته من تحليلات، لأنها جاءت بصورة واضحة، مؤكدة لمجمل الاستنتاجات ووجهات النظر التى تحملها صفحات الكتاب.

ولعلى أكون، بذلك قد وفيت بجانب من الأمانة، وقلت ما أحسست أنه يتوجب قوله فى هذه الأيام العصيبة، التى اختلطت فيها «الحابل بالنابل»، وغابت فيها الحقيقة، وارتدى الذئب جلد الحمل، والعدو رداء الصديق.

أحمد بهاء الدين شعبان

القاهرة ـ يونيو ١٩٩٦

«أرض إسـرائيل (Erez ـ Esrael) هـى مـيراث مـقـدس لدى كل يهودى، ولا تملك أية سلطة دنيوية أو دينية القـدرة على نقض هذا الادعاء، أو التقليل من شـأنه.

«إسحق نسيم»

حاخام إسرائيل الأكبر الأسبق

يونيو ١٩٦٧

* * *

لقـد أدار رجـال الدين ظهـورهـم لكل تحـذيرات الأنبـيـاء والحكماء ضد القوة، وأصبحوا أكثر الناس حماساً وإعجاباً بالجيش والروح العسكرية، وبالأساليب المسلحة العنيفة... وهم بهـذا يعطون الجيش الإسـرائيلى شـهادة الإثبـات بأنه يُنَفِّذُ تعاليم الدين اليهودى.

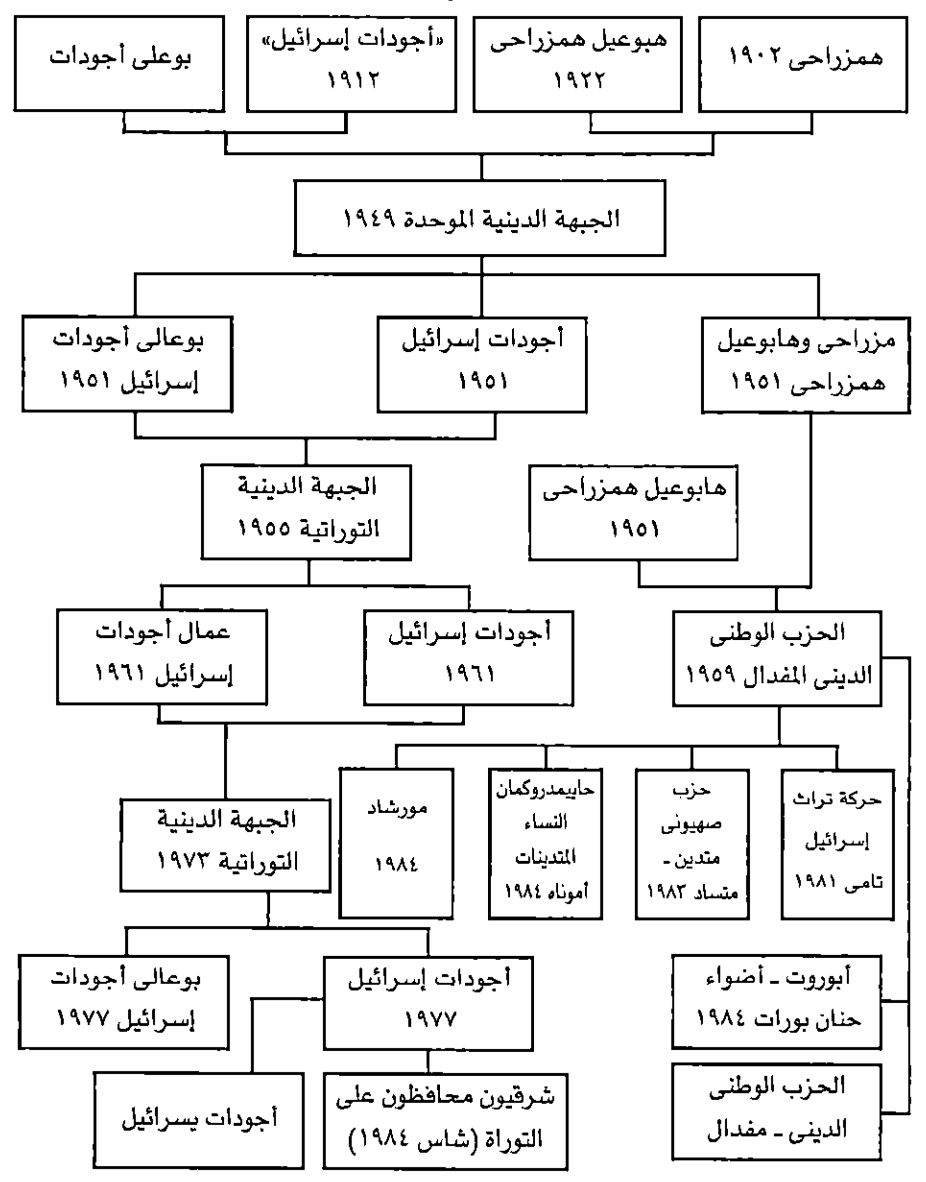
«ناثان هوفش»

«الحاخامون والجيش»

جريدة «نير»، يناير ١٩٥٦

الأحزاب الدينية

خريطة التحالفات والإنشقاقات التاريخية



المصدر: «الأحزاب والحكم فى إسرائيل»، غازى السعدى، دار «الجليل» للنشر والدراسات الفلسطينية، عمان - الأردن، ١٩٨٩، ص: ٣١٤.

الفصل الأول

خريطة القوى والأحزاب الدينية
(الأرثوذكسية) فى إسرائيل

١ - بين «الأرثوذكسية» والأصولية»

من ضمن التعبيرات والتعريفات الكثيرة عن «الأصولية»، يعرفها ريتشارد تابر Reichard Tapper ونانسى تابر Nancy Tapper فى كتابيهما «بفضل الله نحن علمانيون» Thank God, We're Secular باعتبارها «نظرة إلى العالم وكلام عن طبيعة الحقيقة... يشتمل على المجال الدينى ويتخطاه متسامياً... ولذلك فإن كل حركة أو قضية هى أصولية بالقوة» ويضيف «إيان لوستك»: «ولذلك فسواء استُعمل لفظ الأصولية فى وصف البروتستانت الإنجليين فى أمريكا أو المسلمين الخمينيين فى إيران، أو الجماعات الثورية من المسلمين السُنّة فى مصر، أو اليهود فى إسرائيل القائلين بالخلاص، أو السيخ فى مقاطعة البنجاب، أو أتباع ماوتسى تونج فى الصين، أو القائلين بالقومية الطورانية فى تركيا، فإن الأصولية فى هذه الأحوال كلها يمكن أن تُفهم باعتبارها نمطاً من العمل السياسى يتسم بعلاقة وثيقة جداً، ه باشرة، بين عقائد المرء الأساسية، وبين السلوك السياسى المصمم على قيق تغيير جذرى فى المجتمع»[1].

وفى إطار السعى إلى تحقيق عملية التغيير المستهدفة هذه، لا يقبل الأصوليون بالمساومة مع الواقع لتحقيق أهداف مباشرة يمليها عليهم بصورة قاطعة، كما يتخيلون، المصدر السامى للقيِّم المطلقة الذى يصدرون عنه فى

(١) إيان لوستيك، الأصولية اليهودية فى إسرائيل، ترجمة حسنى زينه، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩١، ص:١١.

سلوكهم، وهم لا يكتفون بالتبشير بهذه المفاهيم، أو الدعوة لها بقوة الحُجَّة، وإنما يسعون إلى فرضها فرضاً بقوة الفعل، وسطوة الفرض.

ويقدم «إيان لوستك» ـ على هذا ـ ثلاثة شروط لتمييز الحركات الأصولية عن غيرها من الحركات التى قد تتشابه معها، فالحركات من وجهة نظره، تعد أصولية بنسبة ما:

أولاً: تبنى نشاطها على مقتضيات لا تقبل المساومة والتسوية.

ثانياً: يكون سلوكها موجهاً، بفضل اتصال مباشر، بمصدر السلطة المتعالية.

ثالثاً: تنخرط بصورة عملية فى محاولات سياسية ترمى إلى إحداث التغيير الشامل(١).

ويؤدى إدراج الشرط الأخير ضمن الشروط الواجب توافرها لوصف حركة ما بكونها حركة أصولية، إلى استثناء حركات التقى والورع، كما يستثنى حركات الرهبنة (والصوفية فى بلادنا) من هذا التوصيف.

وتطبيق هذه «النظرية» على القوى الدينية فى إسرائيل يقود إلى نوع من الحيرة؛ فمن حيث الواقع، كَفَّتْ أغلب القوى الدينية فى إسرائيل، على الأقل منذ نحو نصف قرن، عن أن تصب جلَّ اهتماماتها على الطقوس والتقاليد والفرائض الدينية وحسب، وشاركت ـ مشاركة فعّالة ـ فى نشاطات بناء لدولة وصياغة سياستها العملية، وهى ـ بتأكيد أشد ـ انصرفت، منذ وقائع يونيو عام ١٩٦٧، إلى الانغماس المباشر فى صراع ضارٍ من أجل طرح وتدعيم رؤيتها، وفرض وجهات نظرها، فى شأن مستقبل «إسرائيل الكبرى»، وواقع «الأراضى المحررة» (المحتلة أصلاً)، ومصير مدينة القدس التاريخية.. إلخ، وهى قضايا سياسية فى المقام الأول، يُخرج الاهتمام بها القوى والأحزاب الدينية الإسرائيلية كافةً، على الأغلب، من واقع كونها قوى

(١) المصدر نفسه، ص: ١١.

وأحزاب دينية، إلى كونها قوى وأحزاب سياسية ذات طبيعة دينية أو هيئات دينية تعمل بالسياسة.

ومع هذا، ولأغراض التحليل والفهم، آثرنا فى صفحات هذه الدراسة أن نُفَرِّقَ تفريقاً نسبياً بين:

١ ـ القوى والأحزاب التى نشأت لأغراض دينية (حتى ولو كانت قد اتجهت فيما بعد إلى ممارسة النشاط السياسى / الدينى)، مثل الأحزاب الدينية التقليدية («الحزب القومى الدينى ـ المفدال»، «أجودات إسرائيل»... وانشقاقاتهما.. إلخ) وهى الأحزاب التى تكونت فى بدايات هذا القرن وأُطلق عليها اسم الأحزاب «الأرثوذكسية»، واتخذت مواقف متحفظة تجاه الحركة السياسية الصهيونية عند تكوينها، قبل أن تُعَدِّلَ من مواقفها، فى العقود الأخيرة، باتجاه التحالف معها.

٢ ـ القوى والأحزاب والحركات التى نشأت فى أغلبها بعد وقائع حرب ١٩٦٧، على أرضية سياسية بالأساس، حتى وإن تَزَيَّتْ بزى دينى، واستخدمت ـ فى دعايتها السياسية ـ قاموساً مشتقاً من اليوتوبيا والتوراه والكتب المقدسة، ويندرج تحت هذا التوصيف حركات وأحزاب يبدو الطابع السياسى فى نشاطها غالباً، وإن اعتَبَرَ منتسبوها أنفسهم، على حد التعبير السائر لـ «روچيه جارودى»: «موظفون لدى المطلق».

٢ ـ من «الشريك المتواضع» إلى «العامل الحاسم»

على الرغم من أن الملامح الظاهرية تشير إلى اعتبار إسرائيل دولة علمانية، حديثة النشأة، عصرية التكوين، تنتمى، فى النهاية، إلى نموذج «دولة الحداثة» الغربية، إلا أن المراقبين عن كثب يُجمعون على أن نفوذ الاتجاهات الدينية قد تصاعد خلال العقود الثلاثة الأخيرة، بدءاً من حرب ١٩٦٧، حتى أصبح شديد التأثير فى مصير الدولة والمجتمع، وإلى الحد

الذى دفع الكاتب الإسرائيلى «يوسى ميلمان» إلى التصريح بأن الحضور القوى للدين (فى إسرائيل) بات يُعطى الانطباع بأنها «قد أصبحت بلداً مثل إيران، يُسيطر عليه ويديره المتطرفون»[1]... أما «شولاميت ألونى»، مؤسسة حركة «حقوق المواطن»[2]، (راتز) والوزيرة (اليسارية)، «المشاغبة»، فى حكومة حزب العمل، فتصور الأمر بشكل أكثر «دراماتيكية»: «سيدخل الدين فى مطابخكم، وسيتوزع المتدينون فى كل مكان عاجلاً فى شوارعكم وفى سواحل شواطئكم، وفى مدارسكم وعلى أسرّة نومكم»[3].

وقد يختلف البعض حول المدى الذى وصل إليه نفوذ الاتجاهات الدينية والأصولية داخل المجتمع الإسرائيلى، لكن هناك اتفاقاً عاماً على أن هذا النفوذ يستمد أهميته من كونه يمثل «رُمَّانة الميزان» التى تحكم علاقات القوى السياسية المختلفة داخل إسرائيل بالسلطة وتوجيهها، كما يصفها البعض، فرغم كون هذه الاتجاهات قد حققت فى انتخابات الكنسيت الثالث عشر، التى جرت وقائعها يوم ٢٣ يونيو ١٩٩٢، ما يوازى ٢٣ ٪ فقط من أصوات الناخبين (١٤,٩ ٪ للحزب القومى الدينى (المفدال)، ٤,٩ ٪ للسفارديم حراس التوراه (حركة شاس)، و ٣,٢ ٪ لـ يهودية التوراة)، إلاّ أن هذه القيمة تبلغ حداً خطراً مؤثراً للغاية إذا أضيفت إلى مجمل ما حققته باقى الاتجاهات اليمينية والمتطرفة، المتحالفة معها، من أصوات؛ حيث تمثل فى هذه الحالة حداً حاسماً يقترب من أن يكون مكافئاً لنصف عدد أصوات الناخبين الكلية، والذى رجّح كفة حزب العمل وائتلاف (اليسار) عاملان أساسيان، أولهما: أصوات الأقلية العربية، وثانيهما: نجاحه فى عقد صفقة

(١) يوسى ميلمان، الإسرائيليون الجدد: مشهد تفصيلى لمجتمع متغير، ترجمة: مالك فاضل البديرى، الأهلية للنشر والتوزيع، بدون تاريخ (يُرجّح ١٩٩٤)، ص ١٣٤.

(٢) كلود موريس، الحوار ـ الإسرائيلى الفلسطينى: مؤيدون ومناهضون، مركز الفالوجا للدراسات والنشر، القاهرة، بدون تاريخ ص:٣.

(٣) يوسى ميلمان، مصدر سبق ذكره، ص: ١٥٥.

مع حركة «شاس» الدينية على قاعدة الإغراء بالمصالح والمكتسبات المادية والأدبية، حتى يمكن تشكيل الحكومة، وقد ظل وضعها الهش هذا رهناً برضاء ممثلى الاتجاه الدينى من أعضاء حركة «شاس»، الذين تلاعبوا به، وأتقنوا تقنيات ابتزازه، وهددوا وجوده فى مواضع عديدة بعد ذلك... إنهم على حد ما يقول «حاييم بيير»، تعاملوا مع إسرائيل «كأنها ماكينة مصرفية، فكلما احتاجوا مالاً - وحاجتهم للمال لا يمكن إشباعها - يذهبون إلى الماكينة، ويضغطون بعض الأزرار ويحصلون على مالهم، وإنهم بدلاً من أن يضعوا البطاقة البلاستيكية يضعون التخويف السياسى إن الأحزاب «الأرثوذوكسية» تستخدم لغة بسيطة: «أعطنا هذه.... لا نريد تلك... وإلا فلن نصوت لصالحك»[1].

لقد ساعدت طبيعة «العملية الانتخابية» وآلياتها، كما تجرى فى إسرائيل، على منح الأحزاب والحركات ذات الصبغة الدينية قدرة سياسية أكبر بكثير من حجمها الموضوعى، فنظام «الانتخاب النسبى» على أساس القائمة، كما هو مطبق فيها، يُعطى الأحزاب الصغيرة تمثيلاً فى الكنيست يفوق واقعها الطبيعى؛ بحيث يصبح بمقدورها - كعامل توازن - ترجيح أى من القطبين الرئيسين تذهب إليه السلطة: العمل أم الليكود.. ومن هنا تكتسب هذه الاتجاهات مصدر قوتها الرئيسى، وقد دفع هذا الأمر بعض المعلقين إلى وصف الحاخام «عوفاديا يوسف» حاخام «حركة شاس» الأعلى، باعتباره «الرئيس الفعلى لإسرائيل» وليس «حاييم هيرتزوج»، الرئيس السابق.

ومما يضاعف من دواعى خطورة هذا الأمر، استمرار انحياز يهود الطوائف الشرقية إلى معسكر اليمين والقوى الدينية المتشددة. فى مواجهة تحالف الكتل الأشكينازية، الممثلة فى التحالف العمالى «اليسارى»، ويرى البروفيسور «سامى سموحا» عالم الاجتماع اليهودى والأستاذ بجامعة «حيفا» أن هذا الاستقطاب يُزيد من «تآكل الهيمنة الأشكينازية (على مقاليد الأمور

(١) المصدر نفسه، ص ١٥١.

فى إسرائيل)، ويؤكد استمرار تدهور قوى (اليسار)»[1].

لقد أدى حرمان اليهود الشرقيين، وشعورهم بالنبذ فى المجتمع الإسرائيلى، وانعدام فرص المساواة وإمكانات التقدم، فى ظل الحكم طويل المدى لحزب العمل وحلفائه، إلى اتجاههم ـ بقوة ـ ناحية دعاة «الفكر السلفى» ـ اليمينى؛ حيث رأوا فيهم ملاذاً من سيطرة اليهود الغربيين (العلمانيين)، «الأشكيناز»، وانفرادهم بكل عناصر النفوذ والتأثير فى إسرائيل، وقد أدى ذلك فى السابق إلى وصول تكتل الليكود إلى السلطة... ولازال هذا الأمر قائماً، على أعتاب انتخابات ١٩٩٦، حيث ذكرت الصحف الإسرائيلية ـ على سبيل المثال ـ آن اليهود من أصل مغربى قد أدوا صلواتهم فى المعابد من أجل فوز «نتانياهو» فى الانتخابات القادمة[2].

لقد حدث تحول انقلابى فى توجهات الأحزاب والقوى الدينية اليهودية فى إسرائيل على امتداد السنوات الخمسين المنصرمة (التى هى عمر الدولة ذاتها)؛ ففى حين أن هذه الأحزاب تجاهلت، فى آول سنوات الدولة، القضايا ذات الطابع السياسى، وركّزت مطالبها فى النواحى ذات الطبيعة الدينية... الأمر الذى شجع حزب «الماباى» (والتكتل العمالى ـ «اليسارى») على مد يد التعاون إليها، وحفزه على تلبية مطالبها، فى مقابل إطلاق يده فى شئون الدولة السياسية، تقدمت هذه الأحزاب على ما يرى بعض المراقبين ـ خطوة بعد أخرى ـ وقفزت من مجرد «شريك متواضع» فى الحكومة، إلى «عنصر مهم» فى تشكيلها، ثم إلى «العامل الحاسم» فى تقرير إلى من تذهب السلطة؟، وإلى أين تتجه؟ وما طبيعة توجهاتها الأساسية؟ وتطورات مطالبها

(١) منذر طرابلس، أحزاب الجيتو تحكم إسرائيل، مجلة كل العرب، باريس، ١٩٩٠/٤/١٦

(٢) جريدة معاريف الإسرائيلية، ١٩٩٦/٥/٥.

وقد أكدت نتائج انتخابات الكنيست الثالث عشر (مايو ١٩٩٦) هذه التوجهات حيث فاز بنيامين نتانياهو، زعيم تكتل الليكود اليمينى، برئاسة الوزارة الإسرائيلية، مدعوماً من القوى والاتجاهات الدينية والأصولية.

من مجرد المطالبة بزيادة دعم المدارس الدينية «اليشيفا» وتوسيع نطاق إعفاء الطلاب المتدينين من الخدمة العسكرية، أو التدقيق فى الالتزام بقدسية يوم السبت، أو التشدد فى تحديد مسألة «من هو اليهودى»؟ إلى قضايا ذات طابع استراتيچى تمس صُلب التوجهات الأساسية للدولة: طابعها: (مدنى أم دينى؟)، الأرض المحتلة وحدود التفاوض بشأنها، الصلح مع العرب وأبعاده، السلطة الفلسطينية ومواقعها، مصير مدينة القدس المستقبلى، المستوطنات، إلخ، وغيرها من القضايا ذات الطبيعة السياسية الاستراتيچية الحسّاسة؛ وقد صاحب هذا التحول الذى مَثَّلَ توجهاً جديداً لـ «تسييس» الحركة الدينية والأصولية، بروز ملامح جديدة للاختلاف بين الحركة الدينية المعاصرة فى إسرائيل، وبين تلك التى كانت موجودة فى العقود الثلاثة الأولى، بعد إنشاء الدولة، رصدها الخبراء فى عدة ملامح أساسية، أهمها:

١ ـ غلبة العناصر ذات الاتجاهات المتشددة والمتطرفة، بالمقارنة مع (المعتدلين) الذين كانوا يمثلون القوى الغالبة فى هذا المعسكر، سابقاً.

٢ ـ ميل هذا المعسكر باتجاه التطرف القومى، وأصبح المتطرفون القوميون، أو ممثلو الصهيونية الدينية المتطرفة، هم الأغلبية فيه، بينما كان المعسكر فى الماضى يعادى ـ فى مجمله ـ الصهيونية، ويقضى بتكفيرها من منطلقات توراتية.

٣ ـ نبذ هذا المعسكر لموقف الاستكانة والضعف السابق، بعد أن تدفقت عناصر اليهود الشرقيين إلى صفوفه، وشعوره بقوته، وممارسته لها، ومطالبته ـ اعتمادا عليها ـ بمشاركة أكبر فى اتخاذ القرارات المصيرية بالدولة.

٤ ـ اشتداد نفوذ الحاخامات، داخل هذا المعسكر، وتدنِّى سلطة الساسة المتدينين، الذين كانوا يوجهون أموره فى الماضى.

٥ ـ ازدياد نفوذ الحاخامات الموجودين بالخارج، وفى أمريكا أساساً، وسيطرتهم على توجهات هذا المعسكر وقيادة صفوفه[١].

وقد دفع هذا الوضع بمفكر وسياسى إسرائيلى مرموق، هو «أبا إيبان» وزير الخارجية الأسبق، إلى القول: «إن اليهودية النابعة من تعاليم الأنبياء ومن الصهيونية الكلاسيكية، اللتين عَبَّرَ عنهما (إعلان الاستقلال)، يتحداها الآن الخرافة، والتعصب، والسياسة الأحادية الجانب، والخوف من الآخرين وكرههم، والنزعة المغامرة التى تبتعد بنا كثيراً عن العالم الذى ارتفع فيه علم إسرائيل لأول مرة...

إن هذه الأيام تُستدرج فيها أصوات الناخبين ببركات ولعنات بدائية من مُخَلَّفات العصور الوسطى، ويمارس فيها يهود غريبو الأطوار، من وراء البحار سلطة مبتذلة على حملة لواء سيادة إسرائيل»[٢].

٣ ـ القوى «الأرثوذوكسية» الدينية الرئيسية فى إسرائيل

مرت الأحزاب والحركات والقوى الدينية (الأرثوذوكسية) فى إسرائيل بموجات من المد والجزر، التقدم والتراجع، التوحد والانقسام... منذ بدأت مسارها المنظم، أوائل هذا القرن، وسط التجمعات اليهودية فى أوروبا الشرقية والغربية، وقبل أن تنقل جانباً أساسياً من أنشطتها إلى فلسطين العربية، التى تم احتلالها بعد ذلك، لكى تنشأ على أرضها الدولة الإسرائيلية الراهنة.

ولا يتسع مجال الدراسة هنا للخوض بتفصيل كبير فى مولد أو تاريخ التكوينات الدينية اليهودية وأحزابها التى تمارس النشاط الدينى ـ السياسى

---

(١) أحمد خليفة جولة، استكشافية فى كهوف الأحزاب الدينية: تشديد القبضة على المجتمع ودعم التطرف السياسى، مجلة اليوم السابع، باريس ١٩٨٨/١١/٢٨.

* الإشارة إلى حاخام طائفة اليهود اللوبافتش المقيم بنيويورك.

(٢) المصدر نفسه.

ذى الصبغة الدينية، داخل إسرائيل الآن... وسنكتفى بـ «نظرة طائر» تُحَلِّقُ فوقها، لكى ترصد بعض أحزابها الهامة، والنقاط الفاصلة فى مسارات هذه الأحزاب على أن نتريث ـ فى فصل تالٍ ـ عند واحدة من أهم الجماعات الدينية فى إسرائيل وأقواها وأنشطها... «جماعة اليهود اللوبافتش»... التى سنعرض لأهم ملامحها، وأبرز قياداتها، ومواقفها، بتفصيل أكبر؛ لما لها من أهمية ونفوذ ملحوظين، فى الواقع السياسى الدينى بالدولة الصهيونية.

١ ـ الحزب الدينى القومى، «المفدال» (مفلاجا داتيت لتوميت)

تعود جذور «المفدال» إلى أوائل هذا القرن حين تأسست حركة المتدينين اليهودية الصهيونية (همزراحى)، «الشرقى»، فى أوروبا، وأنشأت فرعاً لها فى فلسطين عام ١٩١٢.

أما الجناح العمالى لهذه الحركة «هبوعيل همزراحى»، «العامل الشرقى»، فقد تأسس عام ١٩٢٢ تحت شعار «التوراة والعمل»، فى محاولة لاستقطاب الفئات العمالية اليهودية المتدينة، وبصفة خاصة فإن حزب «همزراحى» احتفظ بنفوذ واضح فى أوساط البرجوازية الصغيرة اليهودية فى شرق أوروبا(١).

فى عام ١٩٥٦ اتحد حزبا «همزراحى» و«هبوعيل همزراحى» وكوَّنا «الحزب الوطنى الدينى»، «المفدال»، وقد شارك «المفدال» منذ انتخابات عام ١٩٥٩ ـ كشريك أساسى ـ فى الائتلافات الحكومية التى قادها حزب «المباى»، ومن بعده «المعراخ»، حتى ١٩٧٧، ثم انحاز إلى تكتل الليكود فى انتخابات ذلك العام، وكان أحد الأسباب الرئيسية لفوزه بالسلطة آنذاك.

يُعَدُّ حزب «المفدال» جزءاً عضوياً من الحركة الصهيونية، قد شارك فى إنشاء دولة إسرائيل، ويمثل التيار القومى ـ الدينى لليهود ذى الأصول الغربية، (الأشكيناز)، ويتعاون مع العلمانيين، وتتميز حركته بالمرونة النسبية،

(١) عازى السعدى، الأحزاب والحكم فى إسرائيل عمان، الأردن، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ١٩٨٩، ص ٣١٥.

ويؤمن بالتحول التدريجى لإسرائيل باتجاه تطبيق الشريعة (الهالاحاه)، وعناصره تخدم فى الجيش الإسرائيلى، ويشاركون فى الحياة العامة ويحتفلون بالمناسبات (القومية) كـ (عيد الاستقلال) وغيرها. وفى انتخابات عام ١٩٩٢ حصل على ستة مقاعد فقط؛ الأمر الذى يعكس تدنياً واضحاً فى مراكز تأثير هذا الحزب، من جراء الانشقاقات المتعددة فى صفوفه، واتجاه جموع الشباب إلى التنظيمات الأكثر تطرفاً وتشدداً.

يضم دستور الحزب مبادئه الأساسية التى ترتكز على أن الحزب «يصبو إلى تجديد حياة (شعب إسرائيل) فى (أرض إسرائيل) بموجب «توراة إسرائيل»، ويؤكد على أن واجب الفرد والمجموع هو «دعم كيان هذا (الشعب) فى (أرضه)». إلى جانب ذلك يؤكد «المفدال» على أن «الحاخامية الكبرى هى السلطة الدينية العليا فى الدولة»[1].

ويعمل «المفدال» على بناء دولة إسرائيل ودعمها وتطويرها دينياً وثقافياً وأمنياً واقتصادياً واجتماعياً، ويُنَمِّى حب إسرائيل» والإخلاص لها بين اليهود، ويسعى إلى إقامة مجتمع مبنى على الأسس الروحية والاجتماعية والدينية الواردة فى التوراة.

وانطلاقاً مما يسميه حزب «المفدال»: «الوعد الإلهى»، فإن (شعب الله): «سيرجع إلى أرض آبائه وأجداده، ويقيم فيها «مملكة التوراة»، فى الحدود التى وعد بها الله شعب إسرائيل. وهى من الفرات إلى النيل». ويرى «المفدال» أن «التطورات السياسية والأمنية، منذ قيام إسرائيل، كانت بداية لتحقيق الغاية الإلهية، وخطوة على طريق الخلاص الشامل لشعب إسرائيل»، ويعتبر أن توسيع حدود إسرائيل، بعد عدوان يونيو ١٩٦٧، «خطوة أخرى على طريق الخلاص».

ولا يؤمن الحزب إلاّ بدولة واحدة تمثل «الحق التاريخى» لليهود فى (أرض الميعاد) كلها، تقوم بين «النهر والبحر»، وعاصمتها القدس الموحَّدة، ولا

(١) المصدر نفسه ص: ٣١٨ ـ ٣١٩.

يقبل - بأية حال - الموافقة على أى برنامج قد ينجم عنه (التنازل) عن أى جزء من «أرض إسرائيل» التاريخية. ولذا فهو يُحَبِّذُ الاستيطان «فى جميع أنحاء (أرض إسرائيل)، بما فى ذلك الضفة الغربية (يهودا والسامرة) وقطاع غزة وهضبة الجولان» التى يطلق عليها «أرض إسرائيل المحررة» كما يعارض الحزب إنشاء دولة فلسطينية، كما يسعى - على الصعيد الداخلى - إلى صبغ الحياة بصبغة دينية (فى التعليم والثقافة والإعلام)، وإلى مزيد من التوجهات الحرَّة فى الإدارة الاقتصادية للدولة(١).

٢ـ أجودات إسرائيل «رابطة إسرائيل»

حزب دينى مناهض للصهيونية من منطلقات توراتية. تأسس عام ١٩١٢ رداً على تعريف المؤتمر الصهيونى العالمى (عام ١٩١١ - بمدينة بازل) للحركة اليهودية بالمعنى المدنى العلمانى، وعلى قراره بامتداد صلاحيات «الهستروت» لكى تشمل شئون التربية فى «أرض إسرائيل»، وكانشقاق على حزب «المزراحى» الذى هادن «الصهيونية السياسية» وتواطأ مع برامجها.

وفى عام ١٩٢٢ تأسس فى بولندا حزب «بوعلى أجودات يسرائيل»، (أى عمال رابطة إسرائيل) للدفاع عن حقوق العمال اليهود. وتأسس فرعه الفلسطينى عام ١٩٣٣.

مع بداية الثلاثينات وهجرة جماعات كبيرة من يهود بولندا وألمانيا المتطرفين دينياً، غيرت «أجودات إسرائيل» من موقفها فى مواجهة الحركة الصهيونية، وتبنت سياسة جديدة للتعاون مع مؤسساتها: حيث بدأت ترى فى بناء «وطن قومى» لليهود: «ملجأً مؤقتاً يقى اليهود شر كوارث المهجر»(٢). وقد أدى هذا التوجه الجديد إلى انشقاق مجموعة أطلقت على نفسها اسم «ناطورى كارتا» (أو حرّاس المدينة)*، التى لازالت حتى الآن لا تعترف

(١) لمزيد من التفاصيل عن برنامج الحزب أنظر: غازى السعدى، مصدر سبق ذكره ص ٣١٨ - ٣٤.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٣١٦.

* انظر فصل يهود ضد الصهيونية فى موقع آخر من الكتاب.

بإسرائيل، وترى فى إنشائها كارثة حلت بالشعب اليهودى، وهى تعترف بالدولة الفلسطينية وتقيم علاقات سياسية مع السلطة الوطنية الفلسطينية، ويمثلها وزير فيها.

يشرف على شئون «أجودات إسرائيل»، «مجلس كبار حكماء التوراة»، (موعيتست جدولى هتوراه)، الذى يمثل المرجعية الرئيسية للحركة، ويتكون من خمسة عشر عضواً من بينهم سبعة من «الأدمورائيم» [لقب يُطلق على كبار رجال الدين اليهودى من «الحسيديم»، (المتشددين)]، وثمانية من رؤساء «اليشيفوت»، المدارس الدينية، التابعة للحزب، ولا ينعقد هذا المجلس إلا للبت فى القرارات المصيرية للحزب، «مثل مسألة الانضمام إلى الائتلافات الحكومية، والقضايا المتعلقة بالدين والدولة»[1].

شارك حزب «أجودات إسرائيل» فى الحكومات الثلاث الأولى التى أعقبت إعلان الدولة (٤٩ ـ ١٩٥٣)، وظل منذ عام ١٩٥٢ وحتى عام ١٩٧٧ فى المعارضة لرفض «مجلس علماء التوراة» المشاركة فى الحكم، نظراً لعدم استجابة التحالفات العمالية لشروطه، وأولها المتعلقة بشئون التعليم، وشارك عام ١٩٧٧ فى الائتلاف الحكومى مع الليكود دون أن يُمثَّل فى الحكومة، وكذلك عام ١٩٩٠، وقد استغل هذا الوضع فى الحصول على مكاسب مادية ومالية ضخمة، وكذلك لإعفاء طلاب المدارس الدينية التابعة له من أداء الخدمة العسكرية.

لا تعترف حركة «أجودات إسرائيل»، فى الواقع بدولة إسرائيل، وهى تنظر إلى الكنيست نظرتها إلى البرلمان البولندى الذى كان أعضاؤها ممثلين فيه عن مدينة وارسو، ولا يحتفل الحزب بعيد (استقلال) إسرائيل ولا يُنشدون نشيدها الوطنى ولا يرفعون علمها، وهم يعارضون الجماعات اليهودية المتطرفة (مثل جوش إيمونيم)، وتناقض مواقفهم المواقف المعلنة

(١) د. رشاد عبد الله الشامى، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٣.

للحزب الدينى القومى، (المفدال)، وصوتت حركة «أجودات إسرائيل» إلى جانب اتفاقات «كامب ديفيد»، ووافقت على حكم الفلسطينيين ذاتياً.

٣ ـ اتحاد حراس التوراة السفارديم «شاس»

تشكّلت حركة «شاس» عام ١٩٨٣ لكى تضم فى صفوفها قطاعات من المتدينين الشرقيين الذى تخرجوا فى المدارس الأشكينازية (التوراتية)، وأتباع الحاخام «عوفاديا يوسف»، وكذلك جموع العائدين إلى الدين (أو من يطلق عليهم اسم «التائبين»)، إضافة إلى جمهور واسع من أبناء الطوائف الشرقية التقليديين ونفر من أتباع حزب الليكود السابقين[١]؛ أى أن مجال نفوذ الحركة يمتد أساساً فى أوساط اليهود السفارديم.

حصلت حركة «شاس» فى انتخابات عام ١٩٨٨، على ستة مقاعد وفى انتخابات ١٩٩٢ على أربع مقاعد، وخطها السياسى يميل إلى قبول الحلول السياسية للصراع فى المنطقة، ويرى زعيم الحركة الروحى الحاخام «عوفاديا يوسف» أنه «من الممكن لإسرائيل التخلى عن الأراضى المحتلة فى مقابل السلام» ذلك لأن «الأرض ليست أهم من حياة الإنسان»[٢].

تعترف حركة «شاس» بوجود «قضية فلسطينية» وتقبل بتقديم «تنازلات إقليمية» فى سبيل حلها[٣] غير أنها شديدة التطرف فى الناحية الدينية والتشريعات اللاهوتية، وكذلك تواجه بحدة وتعصب أى افتئات على حرمة يوم السبت أو غيرها من مرتكزات العقيدة اليهودية حسبما تعتنقها الحركة.

يتمتع زعماء «شاس» بجماهيرية واسعة بين أتباعهم، وتستخدم الحركة أساليب إعلانية تليفزيونية (على النمط الأمريكى) لنشر أفكارها، وهو ما دفع «يوسى ميلمان» إلى التصريح بأن «حزب شاس هو الحزب التبشيرى

(١) المصدر نفسه، ص: ١٩٢.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٠٨.

(٣) غازى السعدى، مصدر سبق ذكره، ص:٣٢٧.

الأكبر فى البلاد، الذى جعل من شعائر (التوبة) صناعة جماهيرية... حيث يوظف (صائدو الأرواح) من حزب «شاس» كل أدوات وتقنيات التسويق الحديثة من الدعايات والإعلانات وأجهزة التسجيل المرئية والسمعية»[1]، وهو يشن حملات مسعورة ضد مظاهر الحياة المدنية، وقد وُجِّهت للعديد من كوادره تُهم إساءة استخدام المال العام والثراء غير المشروع ومع هذا فقد شق حزب «شاس» طريقه ليكون منظمة سياسية لها جذورها داخل الدولة، حيث ضم إلى صفوفه عدداً من أعضاء الكنيست ومسئولى الدولة، وأسس شبكة مستقلة للتعليم، عززت من نفوذه، ومنحته وضعية مميزة داخل المجتمع.

٤ ـ حزب «ديجل هتوراة» (علم التوراة)

يصفه المختصون باعتباره المقابل الأشكينازى لحركة «شاس» السفاردية «بأطروحاته وأهدافه فى كل القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية»[2] أسسه الحاخام «مناحم أليعازر شاخ» عشية انتخابات الكنيست الثانى عشر ١٩٨٨، وقد لعب هذا الحزب دوراً مؤثراً فى تغيير المعادلة السياسية داخل إسرائيل، لصالح تكتل «الليكود»، وتحكم فى مسار العملية الانتخابية إلى الحد الذى أهاج العديدين ضده، فهتف «هيرس جوتمان» فى «الجيروزاليم ريبورتر ـ Jerusalem Reporter» يُحَرِّضُ ضد «صانع الملوك» قائلاً: «إن أكثر ما يبعث على الاكتئاب بشأن الحكومة المقبلة هو أن «الحاخام شاخ» هو الذى سيقرر، على الأرجح، من سيكون رئيس الحكومة الجديدة... لقد حمل «شاخ» مسدساً فوق رؤوسنا لمدة طويلة؛ وإن لم نتوخ الحذر فإن إصبعه قد تضغط على الزناد، ومن الأفضل أن نجرده من السلاح الآن»[3].

وقد أدى استفحال نفوذ «الحاخام شاخ»، الذى أهاج واستفز العديد من

(١) يوسى ميلمان، مصدر سبق ذكره، ص: ١٥٣ ـ ١٥٤.

(٢) د. رشاد عبد الله الشامى، مصدر سبق ذكره، ص:١٩٢.

(3) Jerusalem Reporter, Israael, June, 1992.

القوى السياسية، وعلى رأسها «حزب العمل» ضده، من جهة، وتعاليه على التجمعات الشرقية من اليهود، الذين اعتبرهم «غير ناضجين بعد لتسلم القيادة السياسية أو الدينية فى الدولة»[1]، من جهة أخرى، إلى محاصرة سطوة هذا الزعيم، وتجمع الخصوم فى مواجهته، وفى انتخابات عام ١٩٩٢ حاول إملاء شروطه على الائتلاف الحكومى الجديد، بعد أن فشل فى «تتويج» زعيم اليمين رئيساً للحكومة، كما فشل فى إبعاد حركة «ميرتس» (اليسارية) عن الائتلاف الحكومى،[2] أو حجب حقيبة وزارة التعليم والثقافة عن «شولاميت ألونى» الوزيرة (العلمانية) الصدامية،[3] جاء فشله الأكبر فى منع حركة «شاس»، وقد كان أحد مؤسسيها، من دخول ذلك الائتلاف على الرغم من حملة التشهير الإعلامى الصاخبة التى شنَّها على الحركة[4]، فيما اعتبر «موتاً للوصاية الأشكينازية» وتتويجاً للحاخام «عوفاديا يوسف» كـ «كبير لقادة الجمهور الدينى فى البلاد وفى العالم»[5].

بعد انتخابات عام ١٩٨٨، وافق رئيس الحزب، الحاخام «أفراهام رافيتش» على الانسحاب من الأراضى المحتلة مع إنشاء دولة فلسطين منزوعة السلاح، كما «أعرب عن استعداده لتأدية التحية لعلم هذه الدولة»[6].

(١) جريدة «معاريف» الإسرائيلية، ١٩٩٢/٦/٦٢.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) جريدة «يديعوت أحرونوت» الإسرائيلية، ١٩٩٢/٧/٩.

(٤) عطا القميرى، الانقلاب الدينى يكمل حلقة الانقلاب السياسى، مجلة الدراسات الفلسطينية، بيروت، العدد (١١)، خريف ١٩٩٢، ص:٢٤٦.

(٥) جريدة «هآرتس» الإسرائيلية، ١٩٩٢/٦/٢٦.

(٦) د. رشاد عبد الله الشامى، مصدر سبق ذكره، ص:١٧٥.

«إن الصهيونية السياسية هى مجرد صيغة مُجددة لعقيدة انتظار المُخَلص، جرى نقلها من العقول المتحمسة للقباليين الدينيين (Kabbalists) إلى عقول الزعماء السياسيين للجماعات اليهودية، (حيث) تُغشَى فيها النشوة المرتبطة بفكرة البعث العظيمة، الخطوط الفاصلة بين الواقع والخيال».

المؤرخ اليهودى الروسى

«سيمون دوبنوف Dubnov»

فى «رسائل حول اليهودية القديمة والجديدة»

(١٨٩٧ ـ ١٩٠٧)

الفصل الثانى

الحركة الصهيونية
رؤية براجماتية للدين

تلقفت الصهيونية السياسية الأفكار الدينية اليهودية، ووجدت فى مكوناتها أداة هامة وفاعلة لشحن وتعبئة قطاعات مؤثرة من اليهود المتدينين، فليس هناك ما هو أكثر تأثيراً فى النفس المكلومة، ولا أشد وقعاً فى الأرواح المعذبة، والمهانة على مدى قرون وقرون، من التلويح بالمهمة المقدسة الملقاة على عاتقها، وبفكرة «الخلاص» و«العودة» إلى أرض «اللبن والعسل»، والبلاد الموعودة التى وهبها الرب لهم.

وليس بخافٍ أن قادة الحركة الصهيونية السياسية الكبار (من هرتزل إلى بن جوريون) كانوا أصحاب مواقف سلبية من الدين، وبعضهم كان واضح الإلحاد؛ فهم لا يؤمنون به ولا بمضامينه «الأسطورية»، وقد رد «بن جوريون» على سؤال وجهه إليه «موشى بيرلمان»، نصه: «هل تؤمن بالله؟» فقال: «لا أستطيع أن أقول إننى أشارك معظم أصدقائى الورعين عقيدتهم»، معلناً رفضه لما احتوته التوراة بشأن «تصوير الله فى صورة مادية»، «مثال ذلك تلك الفقرات التى مثلته وهو يتكلم أو يُوَّجهُ له الكلام»، وهو يرفض ما جاء متناقضاً فى النصوص المقدسة (من وجهة نظره)، والتى تتعارض مع قوانين الطبيعة... «وعلى ذلك فليس فى وسعى أن أتقبل هذا الأمر على أنه سجِّلٍ حقيقى لما حدث[1]»

وحتى حينما لجأ «بن جوريون» للتفاعل مع الاتجاهات الدينية فى

(١) فى أحاديث مع «موشى بيرلمان»، «بن جوريون يستعيد الماضى»، بدون مترجم، القاهرة بدون دار نشر، ١٩٦٦، ص٢٦٢.

إسرائيل، لم يكن دافعه فى ذلك إيمان أو عقيدة، وإنما أملى هذا السلوك اعتبارات «براجماتية» بحتة؛ فقد برر تقديم تنازلات لما أسماه «السلطة الدينية» مثل منحهم حق النظر فى الأحوال الشخصية مقدماً سببين (دنيويين تماماً)، أولهما: «أن الحكومات التى رأستها كانت جميعها حكومات ائتلافية تضم ممثلين عن الأحزاب الدينية، وكان علىَّ أن أمنحهم بعض الامتيازات فى بعض المجالات، حتى أحصل على مساندتهم فى مجالات أخرى كنت أعتبرها أكثر أهمية»، والثانى: «أنا لم أعتبر أن مسائل الأحوال الشخصية تستحق أن يكون لها الأولوية على غيرها»(١)، وقد أكد «بن جوريون»، فى غير مرة «أننى كنت مصمماً على أن تكون (إسرائيل) دولة دنيوية تحكمها حكومة دنيوية لا سلطة دينية، وحاولت أن أبعد الدين عن الحكم وعن السياسة بقدر المستطاع، ولقد تكللت محاولتى بالنجاح فيما يتعلق بالدولة، فإسرائيل هى دولة دنيوية ليس لرجال الدين فيها أى سلطة». ومع هذا فقد كان «بن جوريون» مدركاً للخطر الكامن خلف القبَّعة والزى الأسود واللحية الطويلة، فهو يعرف أنه «لسوء الحظ» لم ينجح «فى إبعاد الدين عن السياسة بشكل كامل، فالأحزاب الدينية لا تزال قائمة فى إسرائيل، كشىء «مُنَفِّر» خلفته المؤتمرات الصهيونية التى كانت تعقد فى الفترات التى سبقت قيام الدولة»(٢).

ولذلك فإن الصهيونية السياسية، وإزاء إدراكها لأهمية وحيوية العنصر الدينى الكامن فى النفس اليهودية، والتى نمت فى المعازل «الجيتو» على امتداد أحقاب طويلة، استخدمت خليطاً من العقيدة والبُعد السياسى، واستغلته بذكاء وحنكة، لعزل العناصر التى كانت تدعو إلى «الاندماج» فى مجتمعات التواجد اليهودى من جهة، ولضرب فكرة «الخلاص المسيحانى» النقِّية، والتى كانت تربط بين هذه الفكرة وبين «التدخل الإلهى» المباشر كشرط لإنجازها، من جهة أخرى. فمن وجهة نظر «بن جوريون» فإن العقيدة

(١) المصدر نفسه، ص: ٢٦٣.
(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٦٦.

اليهودية هى «التعبير القومى»* عن تطلع «الشعب اليهودى» لتحقيق غاياته الوطنية، ذلك أنه «لا تتمثل العقيدة اليهودية فى الإيمان بالتوحيد ووجود إله فحسب، ولكن يلازمها دوافع (قومية) وإقليمية هى التى أدت إلى ارتباط اليهود ارتباطاً روحياً عميقاً بأرضهم القديمة حتى أثناء وجودهم فى المنفى، ينبع من المظهر (القومى) والإقليمى الذى يلائم عقيدتهم»[1].

«لقد كانت فكرة «الخلاص» تتغذى على الشعور الذى ظل سائداً بين اليهود، حتى نهاية القرن الماضى (بل ويسود بعضهم حتى يومنا هذا)، بأن الإقامة خارج إسرائيل، هى بمثابة إقامة فى المنفى أو فى ملجأ مؤقت»[2].

لقد اندمج الدين بسبب من وعى الحركة الصهيونية بأهميته، فى صلب برامجها وخططها السياسية، وتشعبت تداخلاته بحيث أصبح من الصعب الفصل بين الدين والسياسة فى أحيان متعددة؛ بل إن الدين ـ على الرغم من الادعاءات العلمانية لقادة الحركة الصهيونية ـ أصبح فى صلب دعاويها السياسية، ذلك أن «الفلسفة الصهيونية لا يمكن أن تقوم إلا بالاستناد إلى الدين الموسوى»، حسبما يقرر ناثان وينستوك Nathan Win Stock فى كتابه «الصهيونية ضد إسرائيل» Le Sionisme Contre Israel، «فإذا ما ألغينا مفهوم «الشعب المختار» وفكرة «أرض الميعاد» فإن أساس الصهيونية سينهار، ولهذا السبب تستمد الأحزاب الدينية قيمتها من التواطؤ مع الصهيونيين الذين لا يؤمنون بالدين، فالحزب الاجتماعى الديمقراطى (الماباى) هو الذى قرر، بناء على توجيه «بن جوريون»، تدريس الدين كمادة إجبارية فى البرامج الدراسية، ولم تقرر ذلك الأحزاب الدينية»[3].

* لابد من ملاحظة المغالطات العميقة الكامنة فى استخدام هذه المفاهيم، فلا اليهود «شعب واحد»، متجانس، متحد السمات، ثابت الصفات على مر حقب التاريخ، ولا الحركة الصهيونية العنصرية حركة «تحرر قومى» بأى معنى من المعانى.

(١) المصدر نفسه، ص: ٢٧١ ـ ٢٧٢.   (٢) المصدر نفسه، ص: ٢٧٣.

(٣) روجيه جارودى، ملف إسرائيل: دراسة للصهيونية السياسية، بدون مترجم، القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٣، ص: ٨٦.

وهكذا فخلال فترة مخاض الكيان الوليد الذى تم الإعلان عنه فى ١٥ مايو ١٩٤٨، اصطرع فى أوساط التكتلات اليهودية اتجاهان أساسيان:

الأول: يمثله قطاع ملموس فى أوساط التيارات السياسية الصهيونية (الخالصة) إذا صح التعبير، والذى كانت منطلقاته تميل إلى منازع علمانية، تخشى من عواقب التسليم بدور أكبر لدعاة تديين المجتمع، وترى فيهم جنوحاً إلى الارتدادية، والرجعية الفكرية، والتقليدية الكهنوتية، التى تنتمى إلى ماضٍ سحيق، مقبضٍ ومزرٍ ينبغى الخلاص منه، فلقد كانوا يعتقدون ـ مثلما عبر «بن جوريون» ـ أن «الحياة لو تركت لحاخامات اليهود لظلوا حتى الآن كلاباً ضالة فى كل مكان، يضربهم الناس بالأقدام، ويحتمى اليهود من أقدام الأغلبية الساحقة لهم فى كل مكان بأحلام العودة إلى أرض الميعاد والأجداد، وانتظار المسيح الذى سيهبط عليهم من السماء لينقذهم، ويقوم لهم بكل العمل، بينما هم يصلون الفجر والعشاء ويبكون ليلاً ونهاراً»[١].

والثانى: وتمثله القيادات البراجماتية العملية، وعلى رأسها «بن جوريون»، (أيضاً)، والتى كانت مع تسليمها بالتقويم السابق لدور دعاة التدين التقليديين، كانت تتقبل التسليم بدور ما للحركات الدينية ودعاتها، دور لا يقود المجتمع ولكنه يسهم فى حشده خلف الراية الصهيونية، ولا يعرقل توجهاتها أو يعوق خططها الاجتماعية والاقتصادية لكنه يخدم برامجها السياسية، ويحشد من خلفها قطاعات عريضة من «الجماهير المؤمنة»، التى مَثَّلَ الدين، وكان لا يزال يمثل، مرتكزاً أساسياً لفهم عِلّة الوجود، ومرجعية للتعامل مع معطيات الحياة... كان الدين فى عرف هذه القيادات هو «وسيلة مواصلات فقط ينبغى أن نبقى فيها بعض الوقت لا كله»[٢].

وانتصر الاتجاه الثانى، وتم التوصل ـ مع الاتجاهات الدينية ـ إلى ما

(١) د. رشاد عبد الله الشامى، القوى الدينية فى إسرائيل، سلسلة عالم المعرفة، رقم (١٦٨)، الكويت، يونيو ١٩٩٤، ص: ٥٤.

(٢) المصدر نفسه.

عُرف باسم اتفاق «الوضع الراهن»، أو «الأمر الواقع»، أو ما أطلق عليه اتفاقية الـ «Statuse Que».

ومضمون هذه الاتفاقية تضمنته رسالة أرسلها «ديفيد بن جوريون» - عام ١٩٤٧ - حينما كان يحتل موقع رئيس الوكالة اليهودية، إلى قيادات حزب «أجودات يسرائيل»، أعلن خلال سطورها تعهد قيادات الحركة الصهيونية بمجموعة من الالتزامات ذات الطبيعة الدينية، تمثلت فى ضمان الدولة لعدة مطالب للأحزاب الدينية من أهمها:

١ - تعترف الدولة بالقضاء الدينى فى قضايا الزواج والطلاق الخاص باليهود من مواطنى الدولة أمام المحاكم الربانية (الحاخامية)، وتلتزم هذه المحاكم بالحكم وفقاً لأحكام «الهالاخاه»*.

٢ - فى القضايا الأخرى المرتبطة بالأحوال الشخصية يتم الالتزام بأحكام «الهالاخاه» ويتم الأخذ بها أمام المحاكم المدنية.

٣ - تمنح الدولة «الحاخامية الرئيسية» صلاحيات لتحديد وتشكيل هذه المؤسسة التى تدعمها الدولة مادياً...

٤ - تمنح الدولة فى المجال المحلى صلاحيات لتحديد وتشكيل هذه المؤسسة التى تدعمها الدولة مادياً...

٥ - تهتم الدولة بالتعليم الدينى، وتقيم شبكة من المدارس الرسمية الدينية.

٦ - تنشئ الدولة وزارة حكومية للأديان، لها ميزانية خاصة للخدمات الدينية.

٧ - تُشَرِّعُ الدولة قوانين تستمد من الشريعة الدينية فيما يختص بالسبت والأعياد والكشيروت (الطعام الشرعى).

٨ - يتم إنشاء حاخامية عسكرية تكون لها صلاحيات فى مجال الجيش[١].

---

* الهالاخاه: الشريعة اليهودية.

(١) المصدر نفسه، ص: ٣٧.

لقد مثلت اتفاقية الـ (Statuse Que) نوعاً من حل وسط مقبول للطرفين، بموجبها تم منح الاتجاهات الدينية نوعاً من الشرعية والاعتراف، فى مقابل إطلاق يد الاتجاهات (العلمانية) ـ أو الصهيونية السياسية ـ فى إدارة شئون الدولة. وكان من جرّاء هذه الاتفاقية أن تبدت ملامح دينية عديدة فى الكثير من سمات الدولة الوليدة، فنجمة داوود السداسية وألوان العلم «الأبيض والأزرق السماوى» وهى ألوان «شال الصلاة»، (الطالوت)، والاستخدام المكثف للمسميات والرموز ذات الطابع الدينى... إلخ، كلها كانت تعبيرات عن هذا المعنى، ورغم ذلك فإن الأمر لم يخل ـ عموماً ـ من صراعات علنية أو مكتومة، ولا انتفت منه الضربات «تحت الحزام»، أو محاولات «لى الذراع» من طرف فى مواجهة الطرف الآخر، غير أن أبرز رموز التأثير الدينى على «دولة إسرائيل» كان فى مجال التشريع «الذى يقوم فى أساسه على الدين، وليس على أى طابع اجتماعى آخر، فلمؤسسات القضاء والحاخامية مكانة رفيعة كمؤسسات حكومية رسمية، وصلاحياتها مطلقة فى مجال الأحوال الشخصية». لقد حظى «الأرثوذكسيون» (فى هذا السياق) بمكاسب مذهلة»[1].

ومنذ عام ١٩٥٥ قُننت العلاقة بين حزب «الماباى»، القائد للدولة والأحزاب الدينية، ولمدة ٢٢ عاماً متواصلة على أساس هذه الاتفاقية، وحتى حينما انفكت عرى هذا الائتلاف ظلت الاتفاقية نفسها هى الأساس المعمول به فى التحالف الجديد، الذى تم بين الاتجاهات الدينية والاتجاهات الصهيونية اليمينية، (تكتل الليكود) عام ١٩٧٧.

كذلك كان الخوف من حسم هذه المسألة، مسألة وضع الدين فى علاقته بالدولة، تحسباً للمخاطر المحتملة على تماسك العناصر الداخلية لها، فى ظل عداوات وحروب مستمرة مع الوسط المعادى المحيط، هو أحد العناصر الدافعة لتأجيل مهمة إصدار دستور يحدد ـ بشكل قاطع ـ الملامح الرئيسية

(١) المصدر نفسه.

لتوجهات الدولة، حتى الآن.

غير أن هذا الأمر لم يحل دون الاستدعاء المستمر، من القيادات الصهيونية السياسية للتراث الدينى التوراتى، باعتباره أداة مُجَرَّبة وناجحة فى جلب المهاجرين والأموال والمساعدات، من اليهود والمتعاطفين معهم فى شتى أرجاء المعمورة، ولم تُثن «ديفيد بن جوريون»، الذى كان يستهدف عبور «المرحلة الحاخامية» فى التراث اليهودى بشتى السبل، عن أن يُصَرِّحَ بأن «خلود إسرائيل يرتبط باثنتين: دولة إسرائيل والتوراة»[1]؛ لكنه مع ذلك كان يتحرك وفى ذهنه تصور مبنى على الاعتقاد بأن دور الدين فى المجتمع الإسرائيلى، سيتجه إلى الاضمحلال التدريجى، فانتعاشه، حسب تصورُه يرتبط بظروف حياة اليهود فى الشتات، والتى تعرضوا فيها لمحن وأزمات عديدة، كان الدين خلالها وسيلتهم للمقاومة والبقاء، والنزاع بشأن قضايا لها أبعاد دينية سيصبح «أقل حدة مع مرور الزمن، مثله مثل الكثير من المشكلات التى تواجه إسرائيل، وبمرور الزمن سيتضاءل الأثر الذى يستطيع المتطرفون أن يتركوه فى نفوس خصومهم، ويصبح ضعيفاً للغاية»[2].

لكن نبوءة «بن جوريون» السابقة خانها التوفيق هذه المرة؛ فلا النزاع الدينى اضمحل، ولا تضاءل الأثر المترتب عليه، والذى استطاع المتطرفون من غلاة الصهاينة واليهود أن يتركوه فى نفوس الخصوم، بل تزايدت وتيرة نمو الاتجاهات الدينية (صهيونية وغير صهيونية)، (معتدلة) ومتطرفة، حتى أصبح لها ـ فى بعض الأحيان ـ الكلمة الحاسمة فى تقرير مصير الحكم وتوجهات السلطة، وفى تحديد من يقبض على مقاليد الأمور فى إسرائيل، وهى ـ بسطوتها المتزايدة تلك ـ تمنع حتى الآن، إقرار دستور الدولة نتيجة الخلاف حول تعريف طبيعتها الأيديولوجية، وتثير العقبات حول قضية «من هو اليهودى» وتحافظ على الانشقاقات الحادة فى المجتمع، وعلى الفوارق بين

(١) المصدر نفسه، ص:٥٢.

(٢) موشى بيرلمان، مصدر سبق ذكره، ص:٢٦٧.

الأشكيناز والسفارديم، حفاظاً على مصالحها ونفوذها المتزايدين دوماً، والمتطورين باضطراد، والأخطر من هذا، أن القوى الدينية اليهودية، قد خدمتها طبيعية العملية الانتخابية وطريقة إدارتها، بصورة لم تكن فى الحسبان؛ فنظراً لأسلوب الانتخ ب بالقائمة النسبية المعمول به فى الدولة الصهيونية، أصبح لهذه القوى - التى كانت ضعيفة فى بداية الأمر، ولا تشكل قيمةً تُذكر - القدرة على التحكم فى مسار العملية الانتخابية ونتائجها برمتها، فهى مثلت «عنصر الجسم» السياسى بين (اليمين) و«اليسار) الصهيونيين، وتمكن البعض من دهاقنة الحاخامات - اعتماداً على ذلك - من التدخل لتحديد من الذى يقبض على مقاليد السلطة، الأمر الذى سمح بإطلاق لقب «صانع الملوك، على واحد منهم، «الحاخام شاخ»، بكل ما يعنيه وما يستدعيه هذا اللقب من مفاهيم ومن معانٍ.

وفى مقابل هذا الدور، استطاعت الاتجاهات الأرثوذكسية «ابتزاز الدولة» للحصول على منافع وخدمات متزايدة الحجم والقيمة، وباضطراد وانهالت ملايين الدولارات على مؤسساتها ومراكزها التعليمية، التى أضحت مع مرور الوقت، «دولة داخل الدولة»، تصوغ طبيعة «إسرائيل» وتبنى صورتها المستقبلية. ثم كانت الخطوتان الحاسمتان فى هذا السياق:

الأولى: امتداد النفوذ الدينى إلى داخل المؤسسة العسكرية الإسرائيلية ذاتها، ممثلة فى الحاخامية العسكرية من جهة، وفى المعاهد الدينية - العسكرية، التى يُجند عبرها طلاب المدارس الدينية، (اليشيفوت)، من جهة أخرى.

والثانية: انتشار الوباء الاستيطانى، الذى تصاعدت وتيرته مع انفتاح شهية اليمين الصهيونى لابتلاع الأراضى المحتلة عقب وصوله إلى السلطة فى انتخابات عام ١٩٧٧، وبروز الدور «الريادى» أو «الطليعى» الذى لعبته العناصر الدينية، والأصولية بالذات، من خريجى المدارس التلمودية، ودور تنظيم «جوش إيمونيم» الأصولى المتطرف، على وجه الخصوص، هذا الدور

المدعوم بشدة من قبل الاتجاهات اليمينية المتطرفة داخل الحركة السياسية الصهيونية، أدى إلى انتعاش الحركة الدينية، وتنامى طموحها لكى تلعب دوراً شديد الوضوح فى رسم مجريات السياسة فى إسرائيل، بعدما لم يعد يقنعها دور المحرك من خلف الستار.

ويكاد كل المحللين يجمعون على أن وقائع حرب ١٩٦٧ بنتائجها التى لم تكن فى الحسبان، والتى جعلت إسرائيل بضربة ساحقة غير متوقعة الأثر، تضع يدها الشرهة على مساحات هائلة من الأراضى العربية، المعتبرة ضمن الحدود التوراتية لـ «أرتز يسرائيل» الكاملة، هى اللحظة الفاصلة فى سياق نمو الأصولية فى إسرائيل... وربما فى المنطقة أيضاً.

لقد اكتملت الدائرة إذن، وتحققت النبوءة، وأعاد الحاخامات إمساك أعنّة الأحداث من جديد. ودانت السيطرة لهم بعد عقود من الاستبعاد، ومحاولات الإزاحة، وحق لهم أن يقولوا مقالة أحدهم: «رب إسرائيل يلعب لصالحنا مجدداً».

■ ■ ■

«إن هذه البلاد لنا، ولا توجد هنا أية مناطق عربية، أو أراضٍ عربية، بل أراضى إسرائيل... تراث الآباء الخالد، وهى ـ فى جميع حدودها الواردة فى التوراة ـ تابعة للحكم الإسرائيلى»!.

الحاخام «كوك» الابن

الفصل الثالث

المرجعية الأيديولوچية
للأصولية اليهودية المعاصرة

على مر التاريخ اليهودى، لعب الحاخامات دوراً مركزياً، كانوا فيه واسطة العقد، التى التفت حولها الجموع اليهودية، وهم الذين قاموا بتفسير النصوص الدينية، وحماية الفرائض من الانقراض، والزود عن حياض «الشريعة ـ الهالاخاه» حتى لا تنزوى وتموت، ودافعوا، باستماتة ضد انصهار اليهود فى المجتمعات التى تواجدوا بين ظهرانيها؛ لأنهم كانوا يعلمون جيداً أن هذا الأمر يشكل الخطر الأساسى، الذى لا يمكن رده، على نفوذ العقيدة، ونفوذهم بالتالى، باعتبارهم حماتها ورمزها، وحافظى وصاياها، وهمزة الوصل ـ فى شئونها ـ بين «الإله» وشعبه «المختار».

وهكذا فقد برز على مر التاريخ، مجموعة من الحاخامات، الذين تحولوا بفعل الاضطهاد وظروف الحياة ليهود «الشتات» فى أحياء الجيتو بشرق أوروبا ـ على وجه الخصوص ـ إلى قادة وموجهين، وتمتعوا بتأثير معنوى ومادى كبير الأثر على الجاليات اليهودية المنتشرة هناك، وبلغ تعلق التجمعات اليهودية بهم حد رفعهم إلى مراتب القداسة، واعتبارهم «مراجع» دينية يُعتد بها: يُؤمن بفتاويها، وتُقتبس آراءها، وتُستشار سيرتها، لدى كل معضلة يواجهونها، بحثاً عن حلٍ وتطلعاً ليقين.

وفى العصر الحديث، برز فى صفوف الحاخامات اليهود شخصان تمتعا بهذه الهالة «الكارزمية» التى منحت كلا منهما وضعية مميزة، ومكانة ممتازة، فى الأوساط اليهودية، ولا زالا حتى الآن ـ بالرغم من رحيلهما ـ يمثلان،

بوصاياهما التى تُتَّبع، وتعليماتهما التى توضع موضع الاحترام، عنصراً مؤثراً للغاية، فى صياغة مواقف وتحركات الجماعات الأصولية اليهودية، وبالذات لدى أكثرها تطرفاً وعدوانية: جوش إيمونيم، وامتداداتها.

هذان الشخصان هما: الحاخام «إبراهام يتسحاق كوك» (الحاخام كوك الأكبر)، وابنه الحاخام تسفى يهودا كوك»، اللذان بسطا بنفوذهما، الروحى والفكرى، ـ ولازالا ـ على آيديولوچية الحركة الأصولية اليهودية، على امتداد ثلاثة أرباع القرن، منذ أن عَيَّنَ البريطانيون الحاخام «إبراهام يتسحاق كوك» (الأكبر) رئيسياً لحاخامى فلسطين الأشكيناز (عام ١٩٢١)، وحتى الآن، بالرغم من وفاة «كوك الأكبر» عام ١٩٣٥ ثم وفاة «كوك الأصغر»، (تسفى يهودا) عام ١٩٨٢، ويبدو الأثر الكبير الذى خلفه الأب والابن واضحاً للغاية لدى مراجعة الثوابت الأيديولوچية التى تحدد منطلقات الأصوليين اليهود فى إسرائيل؛ فالمرجعية والطاعة لهذين القطبين مطلقة، والسيادة لأفكارهما واجبة... إلا فيما ـ ندر وجحافل المريدين والأنصار والتلاميذ لا تنقطع، يستمر زخمها عاماً بعد آخر، وبالذات من خريجى مركز الحاخام، «مركاز هاراب» الدينى المتشدد والمتميز.

الحاخام إبراهام يتسحاق كوك (الحاخام كوك الأكبر)

ولد الحاخام «إبراهام يتسحاق كوك» فى شمال روسيا عام ١٨٦٥، واتجه منذ طفولته إلى تلقى أصول التعليم التلمودى، وتأثر بالفكر الصوفى اليهودى (القبالاة) قبل أن يُعيَّنَ حاخاماً لقرية «زجل» فى «ليتوانيا»، وهو المنصب الذى شغله بين عامى ١٨٨٨ و١٨٩٥، ومن عام ١٨٩٥ حتى عام ١٩٠٤ تولى منصب الحاخامية لمدينة «بويستك» فى «لاتفيا»، وهاجر إلى «فلسطين» عام ١٩٠٤، حيث أصبح حاخاماً لمدينة «يافا»، «وقد اُعْتُبِرَ تعيينه فى هذا المنصب ثورة حقيقية فى الحياة الدينية اليهودية فى فلسطين، حيث كان أول حاخام صهيونى بارز بها»[1].

(١) د. رشاد عبد الله الشامى، مصدر سبق ذكره، ص: ٢٣٣.

احتجز اندلاع الحرب العالمية الأولى الحاخام «كوك الأكبر» فى أوروبا التى كان وصلها ممثلاً لحزب «أجودات يسرائيل» للاشتراك فى الاجتماع الكنسى العالمى، وحين عاد إلى القدس من لندن، التى عمل بها حاخاماً مؤقتاً خلال الفترة (١٩١٦ ـ ١٩١٩)، أصبح الحاخام الرئيسى للمدينة و«أول حاخام أكبر» للطائفة اليهودية الأشكينازية فى فلسطين»[١]. واستمر بهذا المنصب منذ عام ١٩٢١، وحتى وفاته عام ١٩٣٥.

وللحاخام «كوك» الأكبر بحوثاً فى العلوم الدينية، والتصوف اليهودى، وأعمال شعرية وفلسفية، نشرت فى عدة مجلدات تحت اسم «أوروت» (أضواء).

وقد تمتع الحاخام «كوك» الأكبر بشخصية قوية، منحته (قداسة) ذاتية ونفوذاً روحياً واسع المدى وسط طائفة واسعة من مريديه، وجعلته «قوة» أفكاره و«أصالتها» ـ بعد أكثر من ثلاثين عاماً على وفاته ـ صاحب «الأساس النظرى والأيديولوچى لنشأة الأصولية اليهودية المعاصرة»[٢]، وقد صاغ أفكاره بأسلوب واضح شديد التأثير.

الحاخام «كوك الأكبر»: تجسير العلاقة بين المتدينين و«العلمانيين»:

اتجه الحاخام «كوك» الأكبر إلى تفسير «التفوق المميز للشعب اليهودى»، بـ «حضور الحس الإلهى فى لب وجوده»، وهو الأمر الذى يتيح لليهود، أفراداً وجماعات، فرصة لاختبار «النور الإلهى» فى صورة غير وثنية، وهو على عكس الكثيرين من حاخامات اليهود فى تلك الآونة، لم يتخذ موقفاً سلبياً من الصهيونية السياسية أو يعمد إلى رفضها والوقوف فى مواجهتها؛ بل نظر إليها كقوة ذات أهمية إيجابية، باعتبارها حركة رجوع لليهود من شتات طويل الأمد، ومَطهِّر للنفوس كى يستعيد اليهود «رسالتهم الإلهية»، وحتى يحققوا الخلاص فى «تمام بهائه»[٣].

(١) المصدر نفسه.

(٢) إيان لوستك، «الأصولية اليهودية فى إسرائيل»، ترجمة حسنى زينه، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩١، ص: ٣٨.

(3) Hanir (1909), The Road to Renewal, IBRAHAM ISAAC KOOK, Vol. 3 =

ولم يشتط الحاخام «كوك» الأكبر فى موقفه من الاتجاهات العلمانية التى سادت صفوف الحركة الصهيونية، ونحت منحنىً معادياً للدين، رافضاً للشريعة وطقوسها، مُعتبراً أن نبذهم «ليس إرادة الله فى شىء... فالجوهر الداخلى للقداسة اليهودية لازال فى قلوبهم»[١]، وبرر مسعى هذه العناصر للمجاهرة بمعاداة التوراة، والتمرد على التزاماتها باعتباره مظهراً من مظاهر المحنة، حيث يتزايد «فى أزمنة الخلاص الفسق والاستهتار، يتمرد الناس على كل شىء، يعصون ويرذلون ويطلبون الكلأ فى المراعى الغريبة... يعتنقون المُثُل الغريبة، ويستهترون بكل المقدسات»[٢]؛ لكنه آعلن ثقته فى مآل هذه العناصر إلى حضن الدين فى النهاية، بتأثير من احتكاكهم باليهود المتدينين، حاملى لواء الشريعة، حيث يدركون المعنى الروحى والخلاصى لمنجزاتهم: «إن شباب المستقبل الإسرائيليين، الحازمين بدناً وروحاً، المضطرمين بهدى حى عميق، سيتكلمون - إذا ما رأوا نهضة شعبهم وأرضهم - باعتزاز عن الأرض المقدسة، ومجد إله إسرائيل، وسوف تَهُبُّ قوة روحية شديدة الحيوية، تحرك العظام الجافة، التى استُمدت من المنطق البارد والميتافيزيقا الهامدة، وانحطاط الشك الفلسفى... وعندئذ تتم النبوءة»[٣].

لقد مد الحاخام «كوك» الأكبر جسراً للعلاقة بين الاتجاهات الدينية والصهيونية، وفى ظن كل منهما أنه سيستطيع استعمال الآخر لتحقيق آغراضه؛ حيث كان يعتبر آن الصهيونية العلمانية، ماهى فى التحليل الأخير «إلا آداة من أدوات صهيونيته الدينية الخالصة»[٤]، ومن هنا حاز تعيينه رئيساً لحاخامى فلسطين ترحيب الحركة الصهيونية ومباركتها.

= (Winter 1973), P. 144. Tradition Printed.

مذكورة فى إيان لوستك، مصدر سبق ذكره، ص: ٣٩.

(١) إيان لوستك مصدر سبق ذكره، ص:٤٠.		(٢) المصدر نفسه.

(٣) IBRAHIM ISAAC KOOK، مصدر سبق ذكره ص: ١٥٠ - ١٥١.

(٤) إيان لوستك، مصدر سبق ذكره، ص: ٤٠.

تعاليمه تبارك الاستيطان:

وقد وجدت الحركة الأصولية فى أفكاره، بعد مرور أربعة عقود على وفاته، التبرير الدينى الذى يُسَوِّغ الاستيلاء على الأرض الفلسطينية المحتلة، ويقدم التغطية لأطماعها ـ التى لا تحدها حدود ـ فى الاستيطان متزايد الوتيرة بأراضى العرب الفلسطينيين، واعتبرت «جوش إيمونيم»، التى رفعت لواء أفكار الحاخام «كوك» الأكبر وابنه، أن تعاليمه هى الأساس الذى يتيح لها المجال كى تستوعب فى تشكيلها التوراتى الاتجاه «أقلية مهمة من غلاة القوميين العلمانيين، ذوى الدافعية العظيمة للعمل»[١]... لقد قام الحاخام «كوك» ـ من مرقده ـ بمباركة علاقة الطرفين، على أرضية «القيمة الرفيعة المتزايدة» التى نسبها إلى «أرض إسرائيل»، والمزايا الفريدة التى أسبغها على عملية تجدد الصلة بين اليهود و«أرضهم» (التى تحققت بعد حرب ١٩٦٧).

ففتوى الحاخام «كوك» بأن «إرتس يسرائيل»، (أرض إسرائيل)، «جزء من صميم جوهر قومتينا، وهى مرتبطة ارتباطاً عضوياً بحياتها ولُبِّ كيانها، والعقل البشرى فى أسمى ذراه، لا يستطيع أن يبدأ فهم القداسة الفريدة التى تتسم «إرتس إسرائيل» بها... الأمل بالخلاص هو القوة التى تُحيى اليهود فى الشتات، واليهودية فى «إرتس يسرائيل» هى الخلاص نفسه، رأى فيها المتطرفون الدينيون والعلمانيون مسوغاً شرعياً للتشبث بالسيطرة عليها كاملة غير منقوصة، وراحوا يرددون تعاليم الحاخام «كوك» الأكبر القاضية بالتمسك بـ «الأرض»، وعدم التفريط فيها: «نحن مأمورون بأن نقضم بعمق من حلاوة «أرض إسرائيل» المجيدة اللذيذة، ومن قداستها المنَشِّطة القوية: «لكى ترضعوا وتشبعوا من ثرى تعزياتها، لكى تعصروا وتتلذذوا من دُرِّة مجدها» (أشعيا ٦٦ : 11)، وعلينا أن نعلن للعالم كله، لأولئك الذين يزورون ضارعين فى المنافى المظلمة، إن القناة التى تجرى فيها الحياة الملأى، والنور الغامر، والقداسة الحلوة، لأرضنا الحبيبة قد بدأت تتفتح»[٢].

---

(١) المصدر نفسه، ص: ٤١.
(٢) المصدر نفسه.

وتبرر الاحتلال:

ولتبرير عمليات التمسك بالأرض المحتلة، وتشريع الاتجاه لضمها إلى سابق الأراضى التى استولى عليها الصهاينة من أرض فلسطين، وأنشأوا فوقها الدولة الإسرائيلية»، أصدر الحاخام «كوك» الأكبر فتواه الشهيرة الذى اعتبر بموجبها أن العيش والعمل فى الأرض المقدسة «يتسفا»، (أى فريضة إلهية)، وتعادل فى قيمتها الفرائض الدينية الأخرى مجتمعة»[1]. ومن هنا يمكن إدراك لماذا تبوأ الحاخام «كوك» الأكبر منزلته الرفيعة فى قلوب كل دعاة الضم والترانسفير والإرهاب المستمر، الموجّه تجاه عرب فلسطين، أصحاب الأرض الشرعيين، الذين انتزعت منهم أوطانهم انتزاعاً، تحت زعم أنها «الأرض التى بلا شعب»، ومنحها «الوعد الإلهى» لـ «شعب الله المختار».

ومن الثابت أن واحداً من أهم إنجازات الحاخام «كوك الأكبر»، كان قيامه بتأسيس مدرسة «مركاز هاراب» (مركز الحاخام) الدينية عام ١٩٢٤، والتى اعتُبرت «أول مدرسة صهيونية دينية فى إسرائيل»[2]؛ وقد تلقى الآلاف من غلاة الدعاة المتزمتين دروسهم الدينية فى صفوف هذه المدرسة الأصولية المتشددة، حيث تشربوا تعاليم الحاخام «كوك» وأفكاره التى تُعلى من القيمة المركزية لـ «أرض إسرائيل» فى الحياة الدينية لليهود *، وتوحد بين «شعب إسراتيل والتوراة وأرض إسرائيل»... كـ «مزيج واحد»، وهو المبدأ الذى آمن به نفر من أتباعه المتشددين، الذين أسسوا فيما بعد جماعة «جوش إيمونيم»،

(١) المصدر نفسه. (٢) د. رشاد عبد الله الشامى، مصدر سبق ذكره، ص: ٩٠.

* يقول الحاخام «كوك الأكبر» بهذا الخصوص: «إن العقل البشرى فى أسمى مراتبه لا يستطيع أن يُحرك الحب الكامن فى أعماق شعبنا نحو هذه الأرض، وأن الإبداع اليهودى الأصيل، إن كان فى عالم الأفكار أو فى حلبة الأعمال الحياتية اليومية، لا يمكن تحقيقه إلا فى أرض إسراتيل ، واليهودى لا يستطيع أن يكون مخلصاً صادقاً فى أفكاره وعواطفه وخيالاته فى أرض الشتات، كما يكون فى إسرائيل، فالوحى المقدس بأية درجة كان، يكون نقياً فى أرض إسراتيل فقط، بينما يكون فى خارجها مشوشاً ملوثاً وغير نقى».

متبعين شعار: «شعب إسرائيل، فى أرض إسرائيل، بحسب توراة إسرائيل».

وأفكاره تمجد العنصرية:

ومن نافل القول بالطبع أن مثل هذه الأفكار التى تبناها الحاخام «كوك الأكبر»، وعَبَّرَ عنها، ونَظَّمَ صفوف أتباعه ومريدية على أساسها، تُستقى من معين عنصرى شوفينى، استعدائى، استعلائى، متعصب، يؤمن بتمايز وامتياز الجنس اليهودى ويعتقد بسمات راقية تخصه وحده دون غيره من البشر، وهو القائل فى هذا السياق: «إننا لا نختلف فقط عن باقى الشعوب... بل نختلف ونتمايز بحياة ذات قيمة دينية ممتازة لا مثيل لها لدى أى شعب فى العالم، لأننا أسمى وأعظم جداً من باقى الشعوب»(١).

ومن الجدير بالذكر أن تأسيس حركة «المزراحى» الدينية، التى تكونت بمدينة القدس عام ١٩٢١، قد تمت بتوجيه من الحاخام «كوك الأكبر»، وهى الحركة التى كان لها تأثير ملحوظ فى بلورة تواجد رموز الفكر الدينى على ساحة الفعل السياسى فى الدولة الصهيونية.

الحاخام تسفى يهودا كوك

هو الابن الأوحد للحاخام الشهير، أول حاخام لفلسطين، الحاخام «إبراهام يتسحاق كوك»، أو «كوك الأكبر» كما اشتهر بين اليهود المتزمتين والأصوليين المحدثين، والحاخام «تسفى» هو الزعيم المطلق الذى ارتضته جماعة «جوش إيمونيم» راعياً ومرشداً روحياً لها، منذ نشأتها وحتى وفاته عام ١٩٨٢، والمفسر المعتمد لمقولات والده الحاخام الأكبر وفتاويه وإرشاداته، صاحب الشخصية الكاريزمية المؤثرة، وأستاذ لجيل من عتاة الأصوليين ومتطرفى المستوطنين: على رأسهم الحاخام «حاييم دروكمان» والحاخام «موشيه ليفنجر»، والحاخامات «أليعيزر فالدمان» و«يؤيل بن نون»، و«يسرائيل

(١) د. رشاد عبد الله الشامى، مصدر سبق ذكره، ص:٩١.

آربتيل»، و«يعقوب آربتيل» وغيرهم، الذين ادّعوا جميعاً أنهم ناقلى الرسالة الأصلية التى جاء بها «إبراهام يتسحاق» و«تسفى يهودا» ومفسريها المعتمدين.

تولى إدارة هيئة «مركاز هاراب» الدينية التى أسسها والده، فجعل منها حاضنة لتفريغ الزعماء المتشددين للأصولية اليهودية؛ حيث اجتذبت أصحاب القبعات الدينية المنسوجة، من الخريجين الأوائل لمدارس «بنى عكيبا» الدينية، وأصبحت مركزاً لتجهيزهم الفكرى وإعدادهم الأيديولوجى، كدعاة لا يهمدون من أجل تحقيق «غايات الرب» وتجسيد تعاليمه. وكان الحاخام «تسفى كوك» قد أسس فى اواسط الستينات جماعة «نواة متعلمى التوراة الرواد» «جاحيليت» (جذرة، اختصاراً). وقد تربى بين جنبتها عدد كبير من القادة الأصوليين الذين تزعموا جماعة «جوش إيمونيم» بعد عدة سنوات لاحقة، بعدما تشربوا أفكار الحاخام «كوك»، واستوعبوا توجيهاته وتعاليمه.

تأثر الحاخام «كوك الابن» تأثراً شديداً بأبيه، الحاخام الراحل «كوك الأكبر»، فى موقفه الإيجابى من دعاة الصهيونية السياسية، الذين: «لا يحترمون مؤسسة السبت، ولا يتمسكون بالنواحى الدينية فى تناول الطعام، ولكنهم يبنون الاستيطان اليهودى فى فلسطين»[1]. وإضافة إلى ذلك، فقد اجتذبت شخصية الحاخام «تسفى كوك» الرسولية جماهير الشبّان المتزمتين ـ مثلما فعلت شخصية «كوك الاكبر» سابقاً ـ بتعصبها الشديد لـ «أرض إسرائيل»، الأمر الذى كان يعنى من وجهة نظره، «الحق المطلق والملكية التامة والوحيدة لشعب إسرائيل فى كافة أرجاء إسرائيل»[2] كذلك تميز بموقفه المنحاز للجيش الإسرائيلى الذى اعتبره: «المبعوث الذى سيحرر جميع أرجاء (أرض إسرائيل)»[3]:

إن جيشنا المدهش جاهز للقيام بمهماته، وضمان النجاح لكل الجهود

(١) دانى روبنشتاين، جوش إيمونيم، عمان ـ الأردن، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفسطينية، ١٩٨٣، ص:١٤.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٥. (٣) المصدر نفسه.

المبذولة من أجل ترسيخ جذورنا فى الأرض، والاستيطان فى أنحاء أرض آبائنا كلها... إن رب الجنود، إله يعقوب، سيكون معنا ويحمينا»[1].

دعوة للغزو والاستعمار والحرب:

ويقود هذا الموقف العنصرى بالتبعية إلى النتيجة المنطقية التى تبرر الغزو وتحلل الاستيطان باعتبارهما جزءاً من الشريعة المقدسة الهابطة من السماء، ويقول «تسفى يهودا»: «لقد أُمرنا بأن نستولى على الأرض وبأن نستوطن، أما معنى الاستيلاء فهو الغزو، ونحن إذ نؤدى هذه «المتسفا»، (الفريضة)، نستطيع تأدية الأخرى: فريضة الاستيطان. لقد فُرض علينا فى توراتنا الخالدة أن نستعمر الأرض اليباب، وهذا يعنى أيضاً التى ألمَّ الخراب الروحى بها... لا قِبَلَ لنا باجتناب هذه الفريضة: التوراة، الحرب، الاستيطان.. ثلاثة فى واحد»[2].

ومثله مثل الحاخام «كوك الأكبر»، نَظَّرَ «تسفى يهودا» للاستيلاء على الأراضى العربية، ومنح هذا التوجه العدوانى بُعداً دينياً توراتياً لا منجاة من الامتثال له:

يقول الحاخام «تسفى يهودا كوك»: «لقد أُمرنا بأن نستولى على الأرض وبأن نستوطن: التوراة ـ الحرب ـ والاستيطان... ثلاثة فى واحد»[3].

والذين يعرفون الحاخام «تسفى يهودا كوك»، ولديهم دراية بأفكاره، يستطيعون أن يدركوا خطورة مثل هذه الفتوى/ التوجيه، ومدى فداحة تأثيرها على الأجيال الجديدة من أصولى إسرائيل، لابسى «الطواقى المزركشة»، حاملى الرشاشات المنتشرين فى شوارع المستوطنات الصهيونية

(1) And Again to Break the Yoke of the gentiles from our neck, TZVI YEHUDA KOOK, Artzi, vol. 1, (1982), P: 3.

(2) Between The People and Its land, P.19. Artzi, vol. 2, (1982), P: 19.

(٣) إيان لوستك، مصدر سبق ذكره، ص: ١٢١.

المقامة على امتداد الأرض العربية الفلسطينية المحتلة. فالحاخام «تسفى يهودا كوك» هو بدون أدنى مبالغة الأب الروحى لحركة الاستيطان الصهيونية الحديثة، وعرّاب العنف والعدوانية الأصولية اليهودية المعاصرة.

لقد كانت أفكار الحاخام «تسفى كوك» بمثابة معزوفة لعبادة القوة والحرب، والتغنى بـ «رب الجنود»؛ إذ عندما تندلع الحرب، كما يقول «تسفى كوك» بلغة وجدانية شاعرية جذّابة: «تُستجاش قوة المسيح. لقد آن أوان العندليب أن يغنى على الأفنان... الأشرار يزولون من العالم، والأرض تُعطّر، وصوت القُمرى يُسمع فى ربوعنا» ويعلق الحاخام «فالدمان» مؤَمِّناً على هذه الدعوة لتجييش، الدين وتديين الصراع: «ومن سوء الطالع أنه ليس من الممكن بعد أن يتم الخلاص بأية طريقة أخرى... غير الحرب»[1].

وماذا عن أصحاب الأرض الأصليين من الفلسطينيين العرب الذين أطلقوا عليهم اسم «السكان»، أو «الأقليات»؟! يقول «تسفى كوك»: «عليهم أولاً أن يُقروا بعدم التقدم بأى مطالب تتعلق بالسلطة السياسية فمن المستحيل علينا إنكار حقيقة أننا لا نُقِّرُ لهم بأية حصّة فى الحكم، ولامجال للمناقشة معهم إلا بعد أن يعرفوا هذه الأمور». ويستند «تسفى كوك» فى هذه الفتوى إلى التضمينات الهالاخية، المعتمدة على «أصول الشريعة» لمفهوم الـ «جاز توشاف»، أو (الأجنبى المقيم)، الذى يتوجب مراعاة «وصايا نوح السبع» فى التعامل معه، ومضمونها يقوم على ضرورة قبوله بسيادة اليهود، ودفع الضريبة لحكومة إسرائيل، والإقرار بقداسة التوراة، والخضوع لقوانين الدولة اليهودية، وحظر تملك الأرض لغير اليهود فيها أو نقل ملكيتها... إلخ، وليس هذا فحسب، بل إن رؤية الحاخام «كوك الابن»، امتدت لكى تنسحب إلى حدود ما أُطلق عليه «أرض إسرائيل» أو «إسرائيل الكاملة» التى تتعدى واقع الحدود الحالية للدولة اليهودية بعد اغتصاب فلسطين، فقد

(1) The struggle on road of peace, ELEGAR WALDMAN, Artzi, vol. 3, (1983), PP. 18 - 20.

أفتى أن «كل عبر الأردن لنا، كل كومة تراب فى كل قطعة صغيرة، كل جزء من تلك الأرض هو جزء من أرض الله، فهل بوسعنا آن نسلم مليمتراً واحداً منها»[١]. بالقطع لا، خاصة فى وجود «جيش إسرائيل» المناط به، على حد تعبير «تسفى كوك» «تحرير كل أرض إسرائيل»[٢].

ومن الجدير بالذكر، أن نفوذ الحاخام الواسع، قد انتشر حتى فى أوساط الاتجاهات (اليمينية) الإسرائيلية (العلمانية)؛ أى: خارج الاتجاهات الدينية والأصولية، إلى الحد الذى مَكّنَهُ من التدخل لتحديد شخصية رئيس حزب «هتحيا»، (النهضة)، عندما أنشئ فى أوائل عام ١٩٧٩، بدعمه للبروفيسور «يوفال نئمان»، «أبو القنبلة النووية الإسرائيلية»، وأحد كبار علماء الطبيعة النووية فى إسرائيل، وأحد غلاة القوميين العلمانيين المتحالفين مع الاتجاهات الأصولية اليهودية، لاحتلال هذا الموقع الهام.

■ ■ ■

(١) المصدر نفسه: ص:٢٠.

(٢) إيان لوستك، مصدر سبق ذكره، ص:٤٥.

الفصل الرابع

اليهود اللوبافتش
(الحسديم من طائفة خَبَدْ)

طائفة شهيرة تعتبر واحدة من آكبر طوائف اليهود المتشددين، «الحسيديم»، تضم عدداً ضخماً من المتزمتين دينياً، الذين يعتمدون العقيدة التوراتية ـ حسب مفهومهم ـ باعتبارها مرجعية أساسية لحياتهم وكينونتهم، يحيون فى إطارها ومن أجلها، يصيغون واقعهم ونمط عيشهم صياغة خاصة محددة، وثقافتهم ذات سمات مميزة لا يُخطئها بصر.

ويصف الدكتور «رشاد الشامى» هذه الجماعة فيقول إنها، بسبب من أنماط نشاطها وتنظيمها وانتشارها تُشكِّل وحدة قائمة بذاتها «ويبدو أن اصطلاح (ميسدر)، «أتباع الطريقة»، يناسبها أكثر من الاسم «طائفة»، وهم يتميزون بالسمات الواضحة لأصحاب الطريقة، فهم يعترفون بالصلاحية المطلقة لمن يرأسها، ويتم توجيههم من مركز عالمى واحد، ويخضعون للأوامر والانضباط، ويشكلون شخصيتهم الذاتية فى إطار نمطى لا يمكن الخطأ فى تمييزه... وربما كانت هذه الجماعة أكثر الظواهر الاجتماعية إثارة للدهشة فى العالم اليهودى المعاصر»[1].

تأسيسها:

تأسست جماعة «اليهود اللوبافتش» على يد الحاخام «شنيور زلمان»، (١٧٤٥ ـ ١٨١٣)، لكنها استقت اسمها من المدينة التى عاش فيها الحاخام «دوف بر»، (١٧٧٣ ـ ١٨٢٧)، (مدينة لوبافتش الروسية)، وقد تولى زعامتها

(١) د. رشاد عبد الله الشامى، مصدر سبق ذكره، ص: ٢٤٣ ـ ٢٤٤.

سبعة من «الأدمورائيم» من أبناء وأحفاد الحاخام «زلمان» المؤسس، آخرهم وآكثرهم نفوذاً وسطوةً الحاخام «مناحم مندل شينورسون»، المولود عام ١٩٥٠، «آدمور» الطريقة الحالى، المقدس المبجل فى نظر أتباعه ومريديه، والمقيم فى مركز إدارة الحركة العالمى، المزود بالتكنولوچيا الرفيعة والإمكانات الضخمة، والواقع فى حى «بروكلين»، بولاية «نيويورك»، فى الولايات المتحدة الأمريكية.

وحركة اليهود «اللوبافتش» هذه يُطلق عليها أيضاً اسم «حَبَدْ» أو «خَبَدْ»: أى حركة «الحكمة» أو «المعرفة» و«الإدراك»، وهى حركة شديدة الثراء عظيمة القدرات، لها نحو ١٥٠٠ مركز منتشر فى أنحاء العالم، منها أكثر من ثلاثمائة مركز موزع على نحو مائة وعشرين مدينة أمريكية، ولها عشرين مركزاً فى روسيا، كما تمتلك فى إسرائيل وحدها ١٤٤ مركزاً، إضافة إلى عشرات الهيئات والمؤسسات الخدمية التابعة داخل أمريكا، وعلى امتداد العالم، شرقه وغربه، وفى إسرائيل بل وحتى فى العالم العربى كذلك: (فى سوريا وتونس والمغرب)، وفى جنوب إفريقيا، ومعظم الدول الأفريقية، وهى تمتلك محطات إرسال إذاعى وتلفزيونى، تبث عبرها شروح للتوراة وتعاليم زعيمها المطاع، ويتبع الجماعة العشرات من المعاهد والمدارس الدينية، فى العالم وفى إسرائيل، كما تمتلك صحفاً ومجلات ومراكز للنشر والتحرير، وتطبع إنتاجها الفكرى والدعائى بأربع عشرة لغة مختلفة (منها

الأدمورائيم: لقب يُطلق على كبار رجال الدين اليهودى من «الحسيديم» وهى اختصار للكلمات أدونينو ـ مورينو ـ ربينو أى (سيدنا ومعلمنا ومولانا)، انظر المصدر السابق، ص: ١٤٣.

كان الحاخام «شنيور زلمان» يرى أن العقل يحتوى على ملكات ثلاث مترابطة هى «حكماه» (الحكمة)، «بنياه» (الفهم)، «دعه» (المعرفة)، وهى ـ فى رأيه ـ أمهات الغرائز العاطفية المعروفة، ولتركيز مؤسس الجماعة على هذه القواعد الثلاث التى اشتهرت بها، أصبح فكر جماعة «الحسيديم اللوبافتش» يسمى «خبَدْ»، وهى كلمة مركبة من الحروف الأولى للكلمات العبرية السابقة، وتنطق «خَبَدْ» لأن اليهود ينطقون الحاء خاء، «وأصبحت الكلمة اسماً لفكر هذه الجماعة وعلماً عليها» انظر جعفر هادى حسن، حركة اليهود اللوبافتش: تأسست فى روسيا وانتشرت فى أمريكا. (١/٥)، جريدة «الحياة» الدولية، لندن، ١٩٩٢/٤/١٧.

العبرية والعربية واليديشية والفارسية... إلخ)، وتحتفظ الجماعة بواحد من أهم الأرشيفات اليهودية فى العالم، وعلاقاتها بالعديد من رؤساء الولايات المتحدة وثيقة، منهم «رونالد ريجان» الرئيس الأمريكى الأسبق، وكذلك بأعضاء مجلس الشيوخ، أما فى إسرائيل فقد انتمى لها العديد من الأعلام، منهم الرئيس الإسرائيلى الأسبق «زلمان شازار» (المسمى على اسم مؤسسها الحاخام «شنيور زلمان)، الذى زار الحاخام «شينورسون» قبل حرب ١٩٦٧، متلمساً دعمه وبركته كما أن نفراً من أهم القادة الإسرائيليين، كـ «شمعون بيريز» و«يوسف بورج» و«أهارون ياريف» و«مناحم بيجين» كانوا يستشيرونه، ويمثلون أمامه، ويطلبون وده.

الحاخام «مناحم مندل شينورسون»:

يمثل «الأدمورائيم» الأخير لحركة «خَبَدْ» الحاخام «مناحم مندل شينورسون»، حفيد المؤسس والزعيم السابع للجماعة، ظاهرة «كاريزمية» شديدة التأثير، متفردة النفوذ واسعة القدرة، يحيط به خمسة وعشرون ألفاً من أتباعه بصورة دائمة، وُلد عام ١٩٠٢ فى روسيا، ودرس العلوم الدينية على يد والده، كما درس الهندسة وعلوماً «دنيوية» أخرى فى جامعات: لينجراد وبرلين والسوربون، وهو حاصل على الدكتوراه فى الفيزياء وعلوم الطبيعة، هاجر إلى الولايات المتحدة عام ١٩٤١، ثم تولى زعامة الجماعة عام ١٩٥٠، يقترب عمره الآن من القرن، ويملك نفوذاً بالغ القوة إلى الحد الذى جعل الرئيس الأمريكى الأسبق «چيمى كارتر» يعتبر يوم ميلاده الثامن والسبعين يوماً «للتربية» فى أمريكا، فى حين دفع هذا النفوذ الرئيس «رونالد ريجان» إلى أن يُعلن يوم ميلاده الثمانين «يوماً وطنياً للتأمل»[1] وقد بلغ من اتساع مدى سطوة هذا الرجل أن خطبه التى يلقيها باللغة اليديشية، ويحضرها عشرات الآلاف من أتباعه، تُبثُّ بالأقمار الصناعية إلى مريديه

(١) جعفر هادى حسن، حركة اليهود اللوبافتش: تأسست فى روسيا وانتشرت فى أمريكا، (٥/٢)، جريدة «الحياة» الدولية، لندن، ١٩٩٢/٤/١٨.

بشتى أنحاء العالم، فى أوروبا وإسرائيل واستراليا وآمريكا اللاتينية.

فى يقين آتباع هذه الطريقة أن زعيمهم الحاخام شينورسون هو المسيح المنتظر فيؤمنون بقداسته، وارتفاع قامته، وسمو منزلته، ورفعة علمه، ويعتقدون، عن تسليم، أن شروط المُخلِّص قد تحققت فيه [1]، وفى منتصف شهر أبريل عام ١٩٩٢ غمرت الملصقات وإعلانات الطرق الدولة الصهيونية؛ حيث أعلن عبرها أتباعه أنه على وشك تحقيق النبوءة وإعلانه عن نفسه باعتباره المسيح المُخلِّص، بمجرد تلقى الأوامر الإلهية بذلك، وهو المشروع الذى رفضته بحسم المراجع الإسلامية، فوصفه الدكتورة أحمد عمر هاشم أستاذ الحديث والتفسير بجامعة الأزهر، آنذاك، باعتباره محض هوس فكرى وجنون يطبق على بعض العقول»، ورأى أن «شينورسون»: «مخرف يهودى لخزعبلات، وهو ليس أكثر من دجَّال، مثله مثل كثيرون فى مصر و لعالم كله [2]، وكان شينورسون قد مَهّدَ للإعلان عن هذا الأمر بقوله، فى مؤتمر عالمى عقد عام ١٩٩١، ن اليهود يريدون إنهاء حال الشتات لتى يعيشون فيها، وأن كل المؤشرات على ظهور المُخلص قد ظهرت وبانت، وأن الوقت حان للخلاص النهائى والخلاص الأخير، عن طريق مسيح مُخلِّص [3].

و لـ مناحم مندل شينورسون مجموعة من الافكار الغريبة التى ترتكز على الايمان المطلق بالتوراة وما احتوته من مفاهيم وتبنته من مواقف، حتى لو تعارضت مع العلم أو المنطق أو العقل؛ لان التور ة - من وجهة نظره - كلها مقدسة، وكلها أوحى بها من دون ستثناء، وليس هناك جزء منها غير الهى [4]. ومن هذا المنطلق على سبيل المثال، يرى «شينورسون» أن عمر الارض لا يزيد على سبعة وخمسين قرناً (كما ورد فى التوراة)، ويحل التناقض بين هذه

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) جريدة الحياة الدولية، لندن، ١٧/٤/١٩٩٢.

(٣) جعفر هادى حسن، مصدر سبق ذكره.

(٤) المصدر نفسه.

الرؤية، وما تثبته الحفريات والاكتشافات العلمية من وجود قرائن لحياة تمتد إلى ما قبل التاريخ المكتوب، على وجه البسيطة، فيقول عنها: «إنما هى أشياء وضعها الله على الأرض عند خلقه لها فى الفترة المذكورة»[1].

مواقف الجماعة من الصهيونية:

حدد الحاخام الأسبق «شالوم دوف بعد شينورسون من لوبافتش» منذ أوائل هذا القرن موقف الجماعة المعارض بشدة للصهيونية، التى رأى فيها «مبادرة سلبية لاستعجال النهاية بما يتناقض مع التقاليد اليهودية المستقرة، الأمر الذى يضر بنبوءة الخلاص الذى ينبغى أن يتحقق بصورة مطلقة و«يوتوبية»، وهو ما يتعارض مع الصهيونية»[2].

وقد تمسك خلفاء «الأدمورائيم» الخامس بهذا الموقف الرافض للعقيدة السياسية الصهيونية، وامتد هذا الموقف حتى الزعيم الأخير «مناحم مندل شينورسون»، الذى يعتقد أن اليهود لا يزالون يحيون فترة «المنفى»، ويعيشون مرحلة «الشتات»، وقد أعلن مراراً أنه لا يرى فى الدولة الصهيونية مثلما يرى البعض بداية للخلاص الدينى، إذ إن هذا الأمر - من وجهة نظره - يرتبط بظهور «المُخَلِّص» وإعادة بناء «الهيكل». أما ما فعلته إسرائيل فهو لا يعدو توفير فرصة لإنقاذ الكثيرين من اليهود خلال «عصر النفى»، وينظر إليها باعتبارها دولة كسائر الدول الأخرى التى يتواجد فيها أتباعه، فهو القائل: «إن هذه الدولة هى دولة فى حالة نفى، وليست دولة شرعية أصلية، ولذلك فالهجرة لها تكون هجرة إلى دولة النفى، وهى كأى هجرة إلى مكان آخر يعيش فيه اليهود فى الشتات».

وهكذا فلقد ارتكزت مواقف الجماعة المتشددة من المحاولات الصهيونية المتنامية لتأسيس دولة لليهود فى فلسطين، والتى تصاعدت فى أوائل القرن،

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) د. رشاد عبد الله الشامى، مصدر سبق ذكره، ص: ٢٦٢.

على أسس رؤيوية مسيحانية خالصة، تتأسس على مفهوم خاص لـ «الخلاص»، مبنى على يقين بأن اليهود لابد أن يظلوا منفيين، يعانون من عذابات الشتات، حتى ظهور «المسيح المُخَلِّص»، الموكل له وحده أمر انتشالهم من آلامهم، وساعتها فقط سيقوم بتأسيس «دولة اليهود» الحقيقية التى سيمتد عمرها لألف عام، ومن هذا المنطلق رفض «الأدموراتيم» الخامس للجماعة، «دوف باتر»، المتوفى عام ١٩٢٠، الصهيونية، مؤكداً على أنه «حتى لو اتبع الصهاينة أوامر الإله بشكل دقيق، فإن اليهودى لا يجوز له أن ينضم إليهم لكى يبحث عن الخلاص بجهود ذاتية»؛ فالأفكار الصهيونية لن تنجح من وجهة نظر «دوف» لأنها، «تحتوى على كل السموم التى تمزق الروح الإنسانية، وتحطمها، وأن كل قوتهم (الصهاينة) لن تحقق شيئاً، وأنهم سوف لا ينجحون تجاه إرادة الله، فالله وحده سوف يجمعنا من أطراف الأرض الأربعة»[1]. واستناداً إلى ضرورة أن يكون الخلاص «إلهياً»، أفتى «الأدموراتيم دوف بائر» بعدم جواز التعجيل الإرادى الذى يستهدف تحقيق «الخلاص» بواسطة قوة البشر، أو نشاطاتهم القصدية؛ حيث «لا يجوز أن تستعمل الأسباب المادية والسياسية لترك الشتات والذهاب إلى (فلسطين)، إذ إن هذه الطريقة تعارض وصايا التوراة، وكذلك تعارض العقيدة الصهيونية، وأمل اليهود الذين يأملون بالخلاص وينتظرون المُخلِّص النهائى»[2].

وقد اتخذت خطوة باتجاه الاقتراب من الدولة الصهيونية، على يد الحاخام الأخير «مناحم مندل»، حيث رأى مع تأكيده على ما تقدم، أن إنشاء الدولة «كان مبادرة من الإله والتفاته منه نحو اليهود ومن أجل خلاصهم» غير أنهم أضاعوا هذه الفرصة وبددوا تلك الإمكانية، حين «بنوا وجود المجتمع فى فلسطين على أسس لا يجمعها جامع مع توراة شعب إسرائيل»،

---

(١) جعفر هادى حسن، حركة اليهود اللوبافتش: نشأت في روسيا وانتشرت فى أمريكا، (٣/٥) جريدة الحياة الدولية، لندن، ١٩٩٢/٤/١٩.

(٢) المصدر نفسه.

وفى رسالة بعث بها إلى «ديفيد بن جوريون»، أول رئيس لوزراء إسرائيل، حَذَّرَ من خطر «نشوء جيل جديد، يحمل اسم إسرائيل، ولكنه مقطوع تماماً عن تاريخ شعبنا وقيمه الأصلية»[1].

لقد كانت هذه الرؤية «الإيجابية» نسبياً حول الدولة «التى أُنشئت بمبادرة من الإله»، على حد تعبير «مناحم مندل شينورسون»، خطوة محسوبة باتجاه اعتبار «شينورسون» نفسه هو ذات «المسيح المُخَلِّص» المرتقب، المناط به أمر جمع شمل اليهود وإلغاء نفيهم، وبناء «دولة يهودا» الألفية.

المواقف العنصرية لليهود اللوبافتش:

ولليهود اللوبافتش مواقف عنصرية فاضحة، تستند إلى أفكار مؤسسها «الأدمورائيم» الأول «شينور زلمان»، التى بثها فى ثنايا كتابه «تانيا»، من جهة وإلى أفكار الحاخام «مناحم شينورسون» من جهة أخرى، حيث يقف مع جماعته على رأس المطالبين بتعديل قانون «من هو اليهودى؟» لضمان «نقاء الجنس اليهودى المختار»، ويرى «أن الفرق بين اليهودى وغير اليهودى، هو من النوع الذى ينطبق عليه التعبير السائد (لا وجه للتشبيه): إذ كيف يمكن البحث عن فرق بين شيئين من مستويين مختلفين كلياً؟! ففى حين يجلس اليهودى فى المرتبة العليا، وينحدر من الصنف الأسمى، تقبع بقية الأمم فى الدرك الأسفل، وتنحدر من أدنى صنف... فحسبما جاء فى كتاب (الجمارا) المقدس، فإن الجسد اليهودى يختلف كلياً عن أجساد بقية الشعوب ـ وأصل أرواح شعوب العالم هو من طبقات النجاسة الثلاث، بينما أصل أرواح بنى إسرائيل هو من الروح القدس ذاتها، وكذلك الأمر بالنسبة للجنين... فلا وجه للتشابه بين جنينين من مرتبتين متناقضتين، لأن روح الجنين اليهودى، هى النقيض والضد تماماً للجنين التابع لأى شعب آخر»[2].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) من مجموعة محادثات الحاخام «شينورسون»، المجلد الثانى، ص:٢٩٧، مذكورة فى إيان لوستيك، مصدر سبق ذكره، ص: ٢٧٦.

وقد اعتبر الحاخام «شاخ» هذه التصريحات «نازية وتعود إلى أفكار بعيدة عن روح التوراة»[1]. ومع هذا، استمرت هذه المفاهيم العنصرية، وتطورت، وتبدت انعكاساتها فى الانفجارات اليهودية الدامية التى راح ضحيتها السود الأمريكيين، واستمرت عدة أيام فى شهرى أغسطس ١٩٩١، وفبراير ١٩٩٢، بمدينة «نيويورك»، وكذلك فى المواقف العنصرية تجاه العرب؛ حيث يتبنى الحاخام «مندل» أطروحات شديدة العداوة والكراهية.

الموقف من الاستيطان والعرب والحرب والفلسطينيين:

يؤيد الحاخام «مندل» فكرة «أرض إسرائيل الكاملة»، ويحض على توسيع مدى الاستيطان وتعميق أركانه فى الأراضى العربية، دونما اعتبار لردود فعل العرب أو العالم أو أمريكا ذاتها* ومن هنا كان حماسه لجماعة «جوش إيمونيم»، الاستيطانية وهو يرى أن على إسرائيل «ألاّ تعيد بوصة واحدة من الأراضى المحتلة عقب حرب ١٩٦٧، وكان يرى أن إسرائيل ساعتها، كان عليها «الشروع فى عملية استيطان واسعة، وأن تغزو أراضٍ عربية جديدة وتحتلها، لأنها ضرورية للمفاوضات المستقبلية، ولأمن الدولة»، وعقب حرب ١٩٧٣ (التى توقع حدوثها)، طرح خطة «نازية» لإجبار سوريا على قبول (السلام)، «بكل سهولة ويسر، وذلك عن طريق الوصول إلى «دمشق» وتطويقها، وقطع الإمدادات والمؤن عنها، ثم قصفها بالقنابل ليل نهار، وبلا انقطاع، والاستمرار على هذا المنوال حتى تطلب سوريا الصلح»[2].

ومن هذه المنطلقات فمن البديهى أن يرفض هذا الحاخام العنصرى رفضاً باتاً منح الفلسطينيين أى شكل من أشكال الحكم الذاتى؛ حيث يعتبر

---

(١) المصدر نفسه، ص:٢٦٧ ـ ٢٦٨.

* يقول الحاخام «مندل شينورسون» فى رسالة إلى سكان مستوطنة «عتسمونا» برفح: «ليبارك الله كل واحد منكم حيث قمتم بالعودة إلى أرض آبائكم واستيطانها، ونعاهدكم على أن نسير منتصبى القامة، رافعى الهامات، لأننا بهذا العمل نسير وفق تعليمات التوراة».

(٢) د. رشاد عبد الله الشامى، مصدر سبق ذكره، ص: ٢٧٩.

أن مجرد الحديث عن هذا الأمر «فيه تدنيس للرب وتدنيس للمقدسات»[1]، ونكوص عن «العودة إلى أرض الآباء» بحسب وصايا التوراة التى «تعرض علينا المحافظة على كامل التراب، ورص الصفوف ووحدة الشعب»[2].

منح أرضنا للأغيار جريمة عقوبتها القتل.. واغتيال «رابين».. «عمل طيب»

ومما له دلالة أيضاً. فى هذا السياق، التصريح الذى أثار عاصفة كبيرة للحاخام «إبراهام هيكت»، من بوسطن، وأحد زعماء حركة اليهود «اللوبافتش» الكبار، الذى عارض «منح» أية (أرض إسرائيلية)، فى إطار عملية (السلام) (الجارية)، للعرب وقال: «إن الذين «يعطون» الأرض من أعضاء حكومة «رابين» هم «موسريم» أو «خونة لليهود»، ويستحقون القتل بالتالى،... «فمن الناحية الأكاديمية، من ناحية القانون اليهودى... فرابين خائن»... «فالقانون اليهودى يقول إن أى إنسان يتعمد تسليم ثروة (الشعب) اليهودى إلى غرباء، يرتكب خطيئة عقابها الموت»... «إن ما فعله «إيجال عامير»، (بقتله لرابين)، عملٌ طيب»[3].

■ ■ ■

(١) المصدر نفسه، ص: ٢٨٠.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٨٠.

(٣) جهاد الخازن، عيون وآذان، جريدة «الحياة» الدولية، لندن، ١٩٩٥/١١/١٤.

«ألمانيا لهتلر... وإيطاليا لموسولينى... وفلسطين لنا»

«هتاف صهيونى»

«إن مأساة التاريخ المعاصر لليهودية يتلخص فى أنه بدلاً من اكتساب درس من معاناتهم، يتعامل اليهود مع العرب مثلما تعامل النازيون معهم».

«توينبى»

«إن اليهود، (المهددين بالإبادة)، يقومون، باسم الموتى، بمد حدودهم بلا عقاب، ويكثرون من الفتوحات، ويتمادون فى اغتصاب الحقوق والأعمال الانتقامية تجاه ضحاياهم، الذين لا ذنب لهم سوى رفض التسليم بالمصير الظالم الذى فُرض عليهم... لقد أصبح لهم أخيراً بدورهم «يهودهم العرب»».

«بيير ديميرون»

من كتاب «ديميرون ضد إسرائيل»

«لكنهم ليسوا بشراً... إنهم عرب»

«أحد قادة حزب العمل»

من كتاب «الصهيونية على لسان قادتها»، يونيل داديانى

«المجزرة... هى استمرار للسياسة عند الصهيونية»

«إيلان هاليفى»

من كتاب «إسرائيل من الإرهاب إلى مجازر الدولة»

الفصل الخامس

«مائير كاهانا»... الفاشية تتقدم

١ـ سيرة حياة صهيونى أصولى فاشى

وَصَفَهُ كاتب إسرائيلى فقال:

«إنه ذئب وحيد... لقد ترعرع على الخوف وحقوق العظمة والمقت، وما جاءت منظمته داخل إسرائيل إلا لتؤكد الكُره العنصرى ضد العرب، ولكى تلجأ إلى المقاومة الإرهابية ضد المعارضة السياسية.

إنها حركة غير ديمقراطية المسعى، وفاشية الأصل؛ بيد أنه ما برح وهو فى أوج شعبيته غريباً على السياسة الإسرائيلية، فلكنة حديثه الأمريكية، وأسلوبه السياسى الأجنبى، وعالمه المشوَّش، قد أضفت عليه وعلى مجموعته صورة السفاحين»(١).

فهل حقاً أن الحاخام «مائير كاهانا» غريب على السياسة الإسرائيلية أجنبى اللكنة والأفكار والأسلوب؟!! أم أنه جزء عضوى من البنية الأيديولوچية والتركيبة النفسية، لمجتمعٍ جُبِلَ على العنف وكراهية «الأغيار»، واحتقار كل ماعدا الذات؟!

يحاول «يوشى ميلمان» هنا، وحاول غيره كثيرون، أن يتبرأوا من «كاهانا» وحركته وتصرفاته، بعدما استفزت العالم وأثارت الغضب العارم على هذه التكوينة المرضية السادية، لكن قبل هذا كان قد مضى أكثر من عشرين عاماً وهو يعيث فى الأرض فساداً، يدمر ويفجر ويقتل ويتوعد، دون أن يعترض معترض، أو يرتفع صوت صهيونى بالاحتجاج.

---

(١) يوسى ميلمان، مصدر سبق ذكره، ص:١٨٦.

وفى الوقت الذى كان ضابط بوليس إسرائيلى يقول إن «كاهانا وأتباعه من الأمريكان قد آتوا إلى إسرائيل لكى يلعبوا لعبة رعاة البقر والهنود الحمر»[1] (وطبعاً معروف فى هذه اللعبة من سيكون الهندى الأحمر)، كانت أبواب الكنيست الصهيونى تنفتح على مصراعها لاستقباله استقبال الأبطال، وأنصاره فى كل مكان يرددون مقولاته وينفذون أوامره... فيحيلون الأرض الفلسطينية إلى جحيم، تتفجر بالموت والدمار، تحت أقدام أصحابها الشرعيين...

فمن هو «ماتير كاهانا»؟ ومن هى «كاخ» و«كاهانا حى»؟ ولماذا أثاروا ما آثاروه من عواصف؟؟.

مع أن «مائير كاهانا» ـ على غرابة أطواره ـ لا يمثل حالة خاصة أو نسيج وحده داخل «المنظومة الصهيونية»... إلا أنه حالة متفردة ذات سمات قَلَّ نظيرها فى سوقيتها وابتذالها.

عاصفةٌ هوجاء من الحقد والكراهية الممضة؛ وكتلة كئيبة من الغلظة والإجرام... إنه الصهيونية فى انكشافها وعريها... على طبيعتها الفجة، مُجَرَّدَةً من كل عناصر الخداع، وحيل التمويه، وعمليات التجميل، اللازمة للتسويق والعرض العام.

مائير كاهانا سيرة حياة فاشى أصيل

وُلد «مائير كاهانا» فى الأول من أغسطس عام ١٩٣٢، لعائلة حاخامية ممتدة، كانت تقيم فى صفد بفلسطين ثم تركتها وهاجرت إلى الولايات المتحدة فى مطلع القرن. استقر أبوه الحاخام «تشارلز كاهانا» فى حى «بلانبوس» النيويوركى، وتولى الإشراف على تعليم ابنه «مائير» ولم يأل جهداً فى تربيته وإعداده ـ كإرهابى واعد ـ لكى يلعب دوره المستقبلى المقدر.

فى صباه انضم «مائير كاهانا» إلى حركة «بيتار»، «الشبيبة الصهيونية»، التى أسسها «زئيف جابوتنسكى»، عرّاب العنف الصهيونى وزعيم «الحركة

(١) د. رفائيل ميرجى ـ د. فيليب سيمونو، مصدر سبق ذكره، (جـ١)، يوليو ١٩٨٧.

التصحيحية» المتطرفة، واشتهر كعنصر صدامى استفزازى حينما قام عام ١٩٤٧ (وكان عمره وقتذاك خمسة عشر عاماً) بقذف «إرنست بيفان» وزير الخارجية البريطانية الأسبق، بحبات الطماطم العفنة، أثناء مناقشة للمسألة الفلسطينية بمقر الأمم المتحدة...

ثم لم يلبث «كاهانا» أن ترك «بيتار» لنزاع مع قادتها. درس القانون لكنه فشل فى الحصول على إجازة فيه فكان أن اتجه إلى الدراسات الدينية، حيث نُصِّب حاخاماً عام ١٩٥٥ بالمحفل اليهودى بنيويورك، ثم ما لبث أن فُصل بعد عامين «بتهمة الهوس الدينى المفرط»، ومن هنا كان اتجاه أنظاره إلى فلسطين المحتلة بحثاً عن دور يلعبه، بعد أن انضم إلى واحدة من المؤسسات الدينية اليهودية المتعصبة، «حركة بنى عكيفا». وفى فلسطين المحتلة؛ (إسرائيل) فشل فى الحصول على اعتراف بأحقيته فى (الحاخامية) فعاد خائب المسعى ثانية إلى أمريكا.

وبعد عودته إلى نيويورك انضم «كاهانا» إلى هيئة تحرير المجلة اليهودية الأسبوعية المتطرفة «Jewish Press»، ثم أصبح رئيساً لتحريرها، وراح من خلالها ـ ينفث سمومه ويبث أحقاده.

فى مطلع الستينيات استعاد «كاهانا» علاقة قديمة بزميل سابق فى حركة «بيتار» هو «يوسف توربه» الوثيق الصلة بأجهزة الأمن الأمريكية. كانت الهزيمة الأمريكية فى فيتنام آنذاك تشد انتباه الملايين من الشباب الأمريكى وتدفعها القسوة العسكرية الأمريكية المتناهية للتعاطف مع الشعب الفقير، الذى يأبى التفريط فى استقلاله ويقاتل بكل ما يملك من قوة وعزم فى مواجهة أعتى قوة عدوانية فى التاريخ الإنسانى.

وعلى الضفة الأخرى... كانت مؤسسات الأمن وأجهزة الاستخبارات الأمريكية تبذل جهوداً طائلة لاختراق حركات الشباب والطلبة الأمريكيين المناهضين للحرب العدوانية، عن طريق خلق مؤسسات (علمية) تحت مسميات

مختلفة، ومنها «معهد الأبحاث الموحد للاستشارات» الذى أسسه «توربه»، وشاركه فى نشاطاته «مائير كاهانا»، بعد أن حمل اسماً مستعاراً هو «مايكل كنج»، والذى عمل لخدمة المخابرات الأمريكية تحت إشراف الضابط «جوزيف تشيرباش»، وبعدها أسس الزميلان معاً «حركة الرابع من يوليو»، (نسبة إلى يوم الاستقلال الأمريكى)، التى استهدفت أيضاً تجنيد الطلاب الأمريكيين فى الجامعات المختلفة لتأييد الحرب الإجرامية على ڤيتنام ودعم العدوان.

ويحاول «كاهانا» فى حواره مع مؤلفى كتاب «مائير كاهانا: الحاخام الذى يخيف اليهود» تبرير عمالته لأجهزة الأمن الأمريكية، بأن دوافعها كانت التجسس على جمعيات طلابية معادية للسامية، ولدعم الولايات المتحدة فى حربها ضد ڤيتنام، لإيمانه بأن أمريكا الضعيفة ستكون «شيئاً بغاية السوء بالنسبة لإسرائيل»، باعتبار أن الولايات المتحدة هى التى تحمينا (إسرائيل/اليهود) من الاتحاد السوفييتى[١].

وباعتباره «ملكياً أكثر من الملك» ذاته، فحينما قرر الرئيس الأمريكى الأسبق «ريتشارد نيكسون» إذابة جليد العلاقات مع الطرف السوفييتى، احتج «كاهانا» وقرر قطع صلته بالمخابرات الأمريكية لكنه لم يُضع وقتاً إذ استبدل هذه العلاقة بأخرى جديدة مع عصابات مجرم المافيا المعروف «جوكولمبو»، زعيم «رابطة حقوق الأمريكيين ذوى الأصل الإيطالى» واستمر فى ممارسة أعمال الإجرام و«البلطجة»، حيث حُكم عليه بالسجن لخمسة أعوام (مع إيقاف التنفيذ)، بتهمة القيام بتصنيع متفجرات وحيازتها.

كانت حرب ١٩٦٧ لحظة فاصلة وهامة فى مسار حياة «مائير كاهانا» إذ اتجه عقبها نحو المزيد من العمل المكثف المرتبط بالحركة الصهيونية المباشرة، فأسس ١٩٦٨ **«رابطة الدفاع اليهودية» (كاخ)** كتنظيم شبه عسكرى مقره مدينة نيويورك، على غرار منظمات الشبيبة النازية، ثم قام بتنظيم عمليات

(١) د. رفائيل ميرجى ـ د. فيليب سيمونو، مصدر سبق ذكره، (جـ٤)، أكتوبر ١٩٨٧.

تدريب عسكرى لمنتسبى الرابطة والجدد، فى معكسر «كاتسكيل» حيث أُعدّوا فيها إعداداً حربياً متميزاً، وتدربوا خلال مرحلة الإعداد على الرماية وتصنيع القنابل والمتفجرات... وخلال فترة زمنية وجيزة بلغ عدد أعضاء الرابطة نحو أربعة عشر ألف عضو، منتشرين على امتداد الولايات المتحدة وكندا وفى دول أوروبية مختلفة، أهمها انجلترا وهولندا، وجعل لها مهمة محددة: تصفية «أعداء الصهيونية» وضرب معارضيها... ثم انطلق فى حالة من السعار الإرهابى - دون خشية من عقاب - لتدمير مراكز ورموز العمل العربى والفلسطينى، وكذلك المؤسسات الدبلوماسية ومراكز النشاطات الفنية السوفيتية، تحت زعم إجبار الاتحاد السوفيتى على إطلاق حرية خروج اليهود ومنحهم حق الهجرة إلى «إسرائيل»؛ وقد حُكم عليه بالسجن لمدة عام (مع النفاذ هذه المرة)، قضاها مدللاً مُنعَّماً فى أحد فنادق «منهاتن»، متناولاً وجباته «الشرعية» فى الخارج على نفقة الحكومة الأمريكية، بحجة أنه من غير الدستورى إرساله إلى معتقل «ألن وود» فى بنسلفانيا، الذى لا يقدم طعاماً يهودياً حلالاً إلى نزلائه... أما التهمة فقد كانت محاولة اختطاف «أناتول دوبرين»، السفير الروسى فى أمريكا، ووضع عبوات ناسفة فى السفارة العراقية بواشنطن، والأغرب مما تقدم أن سجن «مائير كاهانا» هذا لم يمنعه من ممارسة كافة أنشطته التنظيمية مع أعضاء رابطته، أو الدعائية بالاجتماع مع الصحفيين ومندوبى التليفزيون ووكالات الأنباء.

وإزاء ردود الفعل السلبية، ثم المعادية، خاصةً بعد مقتل الفتاة اليهودية «إيريس كونز»، (٢٧ عاماً)، سكرتيرة الوكيل الفنى للفرق السوفييتية الراقصة، اليهودى «سول هاروك»، اضطر «كاهانا» إلى تجميد نشاط «رابطة الدفاع اليهودية»، ثم الهرب ثانية باتجاه فلسطين المحتلة، فى الوقت ذاته الذى كان ينشر له فى نيويورك كتاب **«لن تتكرر أبداً»**، مانيفستو الإرهاب الصهيونى المستحدث والفاشية الجديدة، أو الطبعة الكاهانية المنقحة من كتاب **«كفاحى»** لأدولف هتلر، كما وصفوه... والذى زعم فيه أن اليهود

يواجهون حرب إبادة منظمة تمتد باتساع الكون كله، ويدمغ ـ عبر سطور الكتاب ـ المؤسسات اليهودية كافة بـ «التعفن» و«الخيانة»، وقدم نفسه على صفحاته، باعتباره رمزاً لأبطال «يهودا» وخليفة «المكابيين» على مر الأجيال.

رحل كاهانا إلى فلسطين المحتلة، حسبما يشير «تايمير كوتلير» فى كتابه «هايل كاهانا»، قادماً من أمريكا إلى (إسرائيل)، لكى «يخدم أهداف السياسة الأمريكية الخارجية، ومؤديًا دوره الإرهابى الكلاسيكى»[1].

عقب وصوله مجدداً إلى فلسطين المحتلة (عام ١٩٦٩)، أسس «كاهانا» حركة «دوب» (قمع الخونة) بالقدس، وميَّزها بنفس شعار «رابطة الدفاع اليهودية»: نجمة داود التى تخترقها قبضة فولاذية مهددة، وبدأ نشاط حركة «قمع الخونة» بسلسلة من الممارسات الإرهابية المصحوبة بأشكال مدروسة من «البروباجندا» الإعلامية (والتلفزيونية أساساً)، استهدفت الطلاب العرب ومجموعات الشباب المعارضة لتوجهاته فى الجامعات.

وإذ وقعت أحداث دورة الألعاب الأوليمبية فى ميونخ (١٩٧٢)، والتى أدت إلى مصرع اثنى عشر رياضياً صهيونياً، اعتبر «كاهانا» نفسه مندوباً للعمل الدموى فى مواجهة العرب، وأعلن ساعتها بوضوح أنه «ليس هناك إلا رد واحد على «الإرهاب العربى» هو الإرهاب اليهودى المضاد، باستخدام العنف»، مؤكداً أن تحت تصرفه العديدين من المتطوعين، من بينهم أعضاء سابقين فى المنظمات الإرهابية الصهيونية «الأرجون» و«شتيرن» وعقب هذا الإعلان خطط كاهانا لتهريب متفجرات وأسلحة ـ على طائرة تابعة للخطوط الجوية البريطانية ـ لاستخدامها فى اختطاف طائرة مدنية مصرية وتحويل مسارها باتجاه «تل أبيب»، كما اكتشفت قوات الأمن فى ٦ أكتوبر ١٩٧٢ مخبأ للأسلحة والقنابل اليدوية والمتفجرات، داخل قاعدة تل أبيب الجوية، كان «كاهانا» يعتزم تهريبها إلى الولايات المتحدة، لاستخدامها فى الهجوم على

(١) مذكورة فى: وجيه حسن قاسم (أبو مروان)، نظرة جديدة فى التحالف الصهيونى الإمبريالى، القاهرة، دار البيان، ١٩٨٧، ص:٩١.

الدبلوماسيين السوفييت والعرب مجدداً، واعتُقل «كاهانا» من جراء هذه الوقائع لكن تم الإفراج عنه بكفالة عشرة آلاف دولار، ويعلق على ذلك مؤلفاً كتاب «مائير كاهانا: الحاخام الذى يخيف اليهود» قائلاً إننا «إذا كنا نعرف مرات التهريب الفاشلة، فنحن بالقطع نجهل ما نجح منها»[1].

وبعد أن أنهى «مائير كاهانا» انتسابه إلى فرقة عسكرية، بالضفة الغربية المحتلة، لاستكمال فترة الاحتياط العسكرى الضرورية بحسب القوانين الإسرائيلية، عاود ممارسته الإرهابية التى تم توجيهها، بإحكام وتصاعد، تجاه العرب الفلسطينيين فى الأراضى المحتلة، بغية إكراههم على الرحيل من وطنهم؛ فنظم عام ١٩٨٠ سلسلة اعتداءات ضد عُمد مدن وقرى الضفة الغربية من العرب، وكان «كاهانا» قد اعتقل مع سكرتير حركته «بارون جرين»، فى مايو ١٩٨٠، إدارياً بسجن الرملة، بعد أن تسربت معلومات إلى جهاز الأمن الإسرائيلى تكشف عن مخابئ هائلة للمتفجرات والأسلحة منتشرة فى مواقع مختلفة، تكفى حسبما وصف الخبراء فى شرطة القدس «لنسف الحى اليهودى برمّتَهُ»، وبعدها بيومين ألقت أجهزة الأمن القبض على عنصرين من الجيش الإسرائيلى على علاقة بالجناح العسكرى لحركة «كاهانا»، لكن «كاهانا» لم يمض فى السجن سوى سبعة أشهر قبل أن يفرج عنه بتدخل مباشر من «مناحم بيجن» رئيس الوزراء الصهيونى آنذاك، وفى مارس ١٩٨٢ قام «هارى جودمان»، بتحريض من «كاهانا»، بإطلاق الرصاص على عربيين فى المدينة القديمة بالقدس، فأرداهما قتيلين، ثم قام عدد من أتباعه باقتحام مسلح لأتوبيس فلسطينى على مشارف «رام الله»، كما أبدى «كاهانا» مساندته لعملية قتل طلبة الجامعات الإسلامية بالخليل.

أما عام ١٩٨٣، فقد شهد وقوفه أمام محكمة العدل الدولية بالقدس، حيث وصفه محامى الدولة بأنه: «نازى بكل معنى الكلمة، والنظرية التى يُرَوِّجُ لها، وكذلك ممارسته، متجانسة مع النظرة النازية البغيضة»، وكان

(١) د. رفائيل ميرجى ـ د. فيليب سيمونو، مصدر سبق ذكره.

ممثل الدولة يدافع عن قرار وزارة التعليم الصهيونية بحرمان «كاهانا» من دخول المدارس الحكومية والالتقاء بطلابها، والترويج بينهم لأفكاره.

مع بداية عام ١٩٨٤، أُعلن عن بداية نشاط جماعة حملت اسماً موحياً «T.N.T.» (إرهاب ضد إرهاب)، زالتى دشنت أعمالها بنسف أتوبيس فى القدس، الأمر الذى أدى الى استشهاد أربعة من الفلسطينيين، واشتُبه فى أن هذه الجماعة هى الذراع المسلح لحركة «كاخ» الكاهانية، وخلال السنوات الخمس التالية أُوقف «كاهانا» أكثر من عشر مرات، وتم التحقيق معه بشأن انتهاكاته وانتهاكات حركته، «كاخ»، للقوانين، واعتداءاته الدامية على العرب، لكن بدون إدانة... والسبب دائماً: «عدم كفاية الأدلة».

ومع تصاعد المد اليمينى، الصهيونى الذى جسَّده وصول تكتل «الليكود» إلى السلطة، واتجاه المجتمع، فى أغلبه إلى مواقف أكثر تطرفاً ومحافظة، ومع تصاعد عمليات التحريض العامة ضد العرب والفلسطينيين، والحملات الداعية إلى مزيد من التشبث بـ «أرض إسرائيل الكبرى» المزعومة، استطاع «مائير كاهانا»، بعد محاولتين فاشلتين عامى ١٩٨١ وقبلها ١٩٧٧، أن يصبح عضواً بالكنيست، بعد أن حصل على خمسة وعشرين ألف صوت (١,٢ ٪ من إجمالى الناخبين) وذلك فى انتخابات عام ١٩٨٤، وقد كان لهذه النتيجة وقع الصدمة على الأوساط السياسية الصهيونية فى إسرائيل؛ إذ استطاع زعيم حركة «كاخ» العنصرية أن ينجح فى فرض اسمه كسياسى وعضو فاعل فى «الكنيست»، بالرغم من إقرار المحكمة العليا الإسرائيلية بأن «حركة «كاخ» تعمل لفرض الأوضاع العنصرية والمعادية للديمقراطية، وتساعد فى العلن أعمالاً إرهابية، وتشعل نار الكراهية بين القطاعات المختلفة من السكان، وتنال من المشاعر الدينية لبعض الجماعات، وتُقَوِّضُ أسس (الديمقراطية) الإسرائيلية ذاتها».

وبمجرد أن نال «كاهانا» الحصانة البرلمانية بدأ مجدداً فى التحرش

بالسكان الفلسطينيين، بقرى مثلث الجليل، حاثاً سكانها العرب على الرحيل، الأمر الذى أدى إلى رفع الحصانة عنه ـ جزئياً ـ فى ٢٥ ديسمبر ١٩٨٤، مع تحديد حرية حركته فى مناطق سكنى العرب، ثم بعدها عاود الكرّة بالذهاب إلى الخليل، فى مظاهرة استعراضية، للاحتفال بمقتل القيادى العربى «فهد القواسمة» على يد إرهابى من أتباعه واستمرت ظاهرة «كاهانا» وتنظيمه «كاخ»، وأتباعه، تستقطب الآراء حولها بشدة؛ ففى حين رآه مشايعوه مثل «يوشع» منطلقاً فى غزوه لـ «أرض الميعاد»، نظر منتقدوه إلى أفكاره واعتبروا أن تطرفه «يُضفى على «اليمين المتطرف» احتراماً»، ومن سخرية التاريخ يقول مؤلف كتاب «مائير كاهانا: الحاخام الذى يخيف اليهود» أن هذا التطرف قد دفع بالليكود إلى وسط اليمين، على لوحة الشطرنج السياسية الإسرائيلية» مقارنة بـ «أدولف كهانا» وجماعته كما كان يطلق عليه خصومه عن حق.

كان «كاهانا» كما يصفه أتباعه، يعتبر نفسه «خلفاً لأنبياء إسرائيل» ويؤمن بأن الله قد اختاره لإنقاذ «شعب إسرائيل»، وهو صاحب الرسالة، والمرجع الأول بين أتباعه، وهو وحده مقياس الصواب والخطأ، يدرك ما ينبغى فعله، ومالا يتوجب عمله، هو سيدهم بلا منازع، اعتاد الانعزال فى جبال القدس كالناسك فى صومعته، «حين يتكلم بين أتباعه يُصاب بالهذيان، والزبد يرغى من فمه، وأجفانه تتقلص وترتخى بحدة سريعة كأن الرجل أصابه مس، يكثر الاقتباس من الكتاب المقدس، أمنيته دولة يهودية دستورها الشريعة اليهودية المتعصبة، البشرية فى مفهومه منقسمة إلى يهود وأغيار... وهؤلاء فى نظره مخلوقات منحطة»[1].

فى يوم ٦ نوفمبر ١٩٩٠ فى قاعة محاضرات بفندق «ماريوت ماركيز» بحى «مانهاتن» فى «نيويورك»، بينما كان «كاهانا» يلقى واحدة من محاضراته

---

(١) درويش ناصر (المحامى)، الفاشية الإسرائيلية، عُمان ـ الأردن، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ١٩٩٠.

العنصرية على جمهور من مشايعيه أتوا للاحتفال بتأسيس «المنظمة الصهيونية للإغاثة العاجلة والتهجير»... دوت رصاصات هادرة، سقط على أثرها «ماتير كاهانا» مضرجاً بدمائه... ثم لفظ أنفاسه... واتُّهِمَ شاب مصرى من بورسعيد اسمه «سيد نصير» بقتله*، وأخيراً: العدالة تتحقق، وحسب شريعة التوراة والتى ظل كاهانا يزعم أنه ينافح عن تطبيقها، فالعين بالعين والسن بالسن، ومن قتل يُقتل ولو بعد حين.

٢ ـ أيدولوچية الفاشية الكاهانية

يُجَسِّدُ «ماتير كاهانا» أبلغ تجسيد نموذج الغوغائية السياسية التى تتوجه لاستثارة الغرائز الدنيا للجموع البسيطة، ولاستدعاء المخزون العدوانى الذى تم تكريسه على امتداد عشرات طويلة من السنين... إن تجربة «هتلر» تتكرر مرة ثانية؛ لكنها هذه المرة بصورة معكوسة، وعلى يد واحد من ضحاياه المفترضين، وفى مواجهة شعب برىء لم يكن له ضلعُ فيما حدث، فكما أشارت الشخصية المسيحية الفرنسية البارزة «الأب بيار» فى كلمة ألقاها لدى زيارته لغزة: «فإن أوروبياً مُعَمَّداً ومارقاً يدعى «أدولف هتلر»، هو الذى تسبب فى هذه الفظاعة المرعبة، التى نسميها «المحرقة»، المتمثلة بإبادة يهود على أيدى النازيين، وقد حاول الأوروبيون بعد انتهاء الحرب، البحث عن بعض السبل لتصحيح الضرر الذى أُلحق فى شكل عبثى وجنونى بأحد (الشعوب)، لكنهم ألقوا عملياً مستولية إبادة اليهود على العالم

* بعد مقتل «كاهانا» تصاعدت صرخات الانتقام من أتباعه، وقتل مستوطنون من جماعته زوجين فلسطينيين بالرصاص فى نابلس. وأطلق جنود الجيش الإسرائيلى النار عشوائياً على المواطنين الفلسطينيين فى شوارع فلسطين المحتلة. فقتل وأصيب أكثر من خمسمائة فرد، واعتقلت قوات الأمن المئات من العرب، كما اعتقل «جوران جولدن»، وهو يهودى إسرائيلى/أمريكى من عناصر «كاخ» بينما كان ينقل قنابل ومتفجرات، بهدف إلقائها على المصلين فى حرم المسجد الأقصى، وفى الذكرى السنوية الأولى لمقتله، حسب التقويم اليهودى، نفذ «باروخ جولد شتاين» (عضو حركة كاخ). مذبحة الحرم الإبراهيمى يوم ٢٥ فبراير ١٩٩٤، التى راح ضحيتها تسعة وعشرون شهيداً، بينما كانوا يؤدون صلاة الفجر.

العربى الذى لم يضطهد يوماً، على مر العصور، (الشعب) اليهودى... لقد أردنا نحن الأوروبيون ـ أضاف الأب بيار ـ غسل أيدينا عبر تحميل أناس غير مذنبين ثمن المغفرة... ولهذا أطلب منكم أنتم عرب فلسطين وأشقاؤنا المغفرة»[1]... غير أن الشكل الوحيد للمغفرة التى كان يطلبها «مائير كاهانا» من عرب فلسطين، هى أن يتركوا وطن الأجداد ومثوى الأحفاد... لأن العربى الطيب، كما ارتأته الصهيونية، وعَبَّرَت أصواتها من قبل، هو العربى الميت، أو فى أحسن الأحوال، «العربى المغادر».

لكن بساطة «كاهانا» ليست بساطة ساذجة، إن أفكاره المصاغة بكلمات واضحة وصريحة، وشعاراته الحزبية ليست إلا «ثمرة ديالكتيك بارع ورهيب: هل من الممكن للدولة أن تكون يهودية وعلمانية فى نفس الوقت؟ بمعنى آخر: هل تتفق اليهودية والديمقراطية؟... لا: هكذا يرد الحاخام الغريب، الذى يمتلك من الجرأة ما يجعله يقول بصوت عالٍ إنه ليس ديمقراطياً، وأن استمرار حياة اليهود يمر عبر طرد العرب خارج «إسرائيل»..

وبخليط من الهلوسة الدينية، والعدوانية السياسية المعجونة بالعنصرية، والمدفوعة بإحساس عميق بالنبوة والرسالة، نمت حركة «كاخ» واتسع نطاقها، وصار بطشها سيفاً معلقاً على رؤوس الجميع، وتصرف زعيمها الحاخام «مائير كاهانا» باستمرار، بجرأة مقطوعة النظير تطاول حدود الصفاقة والوقاحة، لكنه لم يجد أبداً من يردعه... لماذا؟ لأنه، على حد تعبيره،: «كان يقول ما يفكر فيه الآخرون، ولا يجرأون على البوح به»... إنه يعرفهم جيداً، ويعرف أكثر أنه يفضح مكنونات صدورهم، هم الذين أجادوا ـ على مر التاريخ ـ النطق بما لا يؤمنون به، والتعبير عما لا يعتقدون فيه، وفى الوقت الذى كان الجميع يغنى معزوفة السلام الوهمى، ويُقّبلون الوجنات ويبتسمون لعدسات الكاميرات، كان «مائير كاهانا» يقول صادماً الجميع يهوداً وعرباً،: «إن التوراة

---

(١) جريدة «الحياة» الدولية، لندن، ١٥/١٠/١٩٩٥.

لا تمنع القتل ولكنها تمنع الاغتيال» وإذن فهو «الفعل والفعل دائماً، بما فى ذلك الإرهاب»[1]. ثم إنه يملك القدرة على السخرية المريرة المعبرة: «عندما رأى موسى المصريين يضربون يهودياً، لم يشكل لجنة لدراسة جذور معاداة السامية»[2]... وهو، كموسى أيضاً، لن يشكل لجنة، وإنما سيبادر إلى الفعل، وسيتحرك لكى يقتل/المصرى/العربى/الفلسطينى، الذين اجتمعوا على اليهودى كى يقتلوه، (كما يدّعى)، وقبل أن يقتلوه كما (يزعم).

ويتفق كل الذين يتناولون دراسة ظاهرة صعود «كاهانا» وحركته الفاشية على أن هناك أسباباً موضوعية ساعدت على سرعة انتشار هذه الظاهرة واتساع نطاقها، وأول هذه الأسباب، بلا جدال، الظروف التى واكبت عملية «زرع» اليهود الشرقيين الفقراء، الذين أتوا بتراثهم الروحى وعاداتهم وتقاليدهم وأفكارهم «الشرقية»، وكان من العسير عليهم تجاوزها أو التنكر لها. فـ «لازدهار الفاشية لا يكفى وجود طبقة فقيرة تعيش عيشة الكفاف والمذلة. الفاشية بحاجة إلى طبقة جُرِّدَتْ من ثرواتها الروحية والمادية، اليهودى المراكشى والعراقى الذى قدم إلى هذه البلاد، خسر كل ثرواته التربوية، حيث قُذف به إلى حياة كان نصيبه فيها المذلة أينما وجد، وحيثما كان إذلاله أمام نفسه وأمام أبنائه».

«ومثل هذا الإنسان قد يجد عزاءه بالانتساب إلى العنصر المختار، «شعب الله» المختار، بالهتاف لزعيم مختار، قادر على كل شىء... بالانتساب إلى عصابة مغاوير، وعلى الأخص باضطهاد إنسان أضعف منه: عربى، زنجى، أو يهودى... وبتعذيبه وإذلاله».

«الفاشية هى عُكّاز الإنسان المعوَّق»[3].

(١) د. رفائيل ميرجى ـ د. فيليب سيمونو، مصدر سبق ذكره.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) درويش ناصر (المحامى) مصدر سبق ذكره، ص:٦٥ ـ ٦٦.

وهذه الفكرة التى أشار إليها الكاتب العربى الذى يحيا تحت الحراب الإسرائيلية، «درويش ناصر»، هى ذاتها ما يؤكده الكاتبان الفرنسيان «د. رفائيل ميرچى، د. فيليب سيموند» فى كتابهما: «مائير كاهانا: الحاخام الذى يخيف اليهود» أنهما يقولان بوضوح إن جذور «كاهانا» ليست فقط سياسية، إنما هى أيضاً اجتماعية وأيديولوچية، فالذين يعطون أصواتهم لـ «كاهانا» هم الفقراء من اليهود الشرقيين، القليلو الحساسية للغة الأرستقراطية العمالية المتخشبة، إن «السفارديم»، اليهود الشرقيون الأكثر حرماناً، منبوذو المجتمع اليهودى قد تبنوا منبوذ السياسة، لقد حصل «كاهانا» على ٣٢ ٪ من أصوات سكان مدن التطوير (مجمعات فقيرة خصصت لليهود الشرقيين)، وعلى ٣٢ ٪ من داخل الموشاف (القرى التعاونية) الدينية، وعلى ٢٣ ٪ من داخل الأحياء الفقيرة بالمدن الكبرى، وكلها يسكنها يهود شرقيون، ونفس الظاهرة فى الجيش أيضاً[1].

وقد يرفض البعض هذه الرؤية، ويحاجج بأنه فى أوروبا وحتى فى أمريكا بكل ما تمثله من غنى وبحبوحة، فإن الفاشية أخذت تطل برأسها فى السنوات الأخيرة، وهذا صحيح إلى حد كبير، غير أن ما يتعلق بنمو ظاهرة «الفاشية الصهيونية»، وما يجعلنا ننظر إلى اليمين الصهيونى المتطرف بخطورة أكبر ـ مجموعة من الأسباب رئيسية ذات أهمية بالغة:

أولها: على حد ما يشير «باتريك سيل» أنه يجرى فى الأقطار الأوروبية، (وبالذات فى فرنسا وبريطانيا وألمانيا) إدانة هذه المجموعات الإرهابية والتشهير بها بانتظام، أما فى إسرائيل فإن الأمر على العكس تماماً؛ حيث لم يقم سياسى بارز أو حتى حاخام واحد، بإدانة هذه الجماعات علناً، أو إدانة برنامجها الداعى للتمييز، إن «مائير كاهانا» لم يكذب، فلو مددنا خط الأفكار اليمينية المتطرفة، أو أفكار كتلة «ليكود» والمعسكر «القومى» حتى منتهاها، لوجدنا أن دعاوى «كاهانا» «تفضلها ببساطتها». فالمطالبة بطرد

(١) د. رفائيل ميرجى ـ د. فيليب سيمونو، مصدر سبق ذكره.

العرب ليست فقط متفقة مع السياق، وإنما هى تترجم بكل تأكيد الأفكار الحقيقية لبعض السياسيين، والجنرالات الأكثر لباقة. «فهم يحلمون بطرد العرب، ولكن «بلطف»، أو عن طريق هجرة جماعية، تكون مسببة عن نزاع مسلح تتحمل الدول المجاورة مسئوليته»[1].

و«كاهانا» نفسه كان مُدركاً كل الإدراك لهذا البُعد الهام فى حركته، وهو القائل فى تقديمه لكتابه «شوكة فى عيونكم»: إن الخطر الذى يمثله بالنسبة للحكومة الصهيونية المرتبكة، إنما يكمن فى «وجود شركاء صامتين لى فى أفكارى. إنهم مئات الآلاف من يهود إسرائيل «الذين بدأوا الإعراب عن تأييدهم لى، ومنحى القوة اللازمة لتقوية أفكارى»[2]، وهنا مكمن الداء.

وثانيا: أن المتطرفين الدينيين الإسرائيليين يعملون، فى إطار تفكير معين خاص بهم، لا يمتُّ إلى المنطق أو العقل بصلة، وعقولهم ملأى بالأفكار والآراء الخاصة بالخلاص اليهودى، والكثير منهم يعتقد أن نهاية العالم صارت وشيكة للغاية، وأن على إسرائيل أن تطهر نفسها بطرد العرب الذين يدنسون «الأرض الموعودة»، ويعتبر هؤلاء أن «بيجن وشارون» خونة لإقدامهم على تسليم سيناء مرة آخرة للمصريين.

وثالثها : أن الخطر الكبير من هذه الحركات المتطرفة، ينبع من كونها تحظى بدعم عدد متزايد من الشباب (١٨ ـ ٢٢ عاماً)[3].

وإذ علمنا أن فى إسرائيل الآن عشرات الآلاف من الشباب يتابعون دراستهم الدينية بشكل يستغرق كل وقتهم، ويتلقون دروسهم على أيدى حاخامات شديدى التطرف، فى مدارس دينية شديدة الانغلاق، ويدرسون

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) مائير كاهانا. شوكة في عيونكم، عُمان ـ الاردن، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ط١، ١٩٨٥، ص: ١٤.

(٣) باتريك سيل، مخطط حافل وراء المتطرفين الإسرائيليين: مجلة «المجلة»، لندن، العدد (٢٤٦)، ١٧ ـ ١٩٨٤/١١/٢٠.

أفكار عتيقة شديدة العنصرية... لأمكننا تصور المستقبل مع هذه النوعية من الشباب، وتوقع ملامحه.

والأخطر من ذلك أن نسبة مهمة من أصوات المجندين الشباب فى الجيش الإسرائيلى (١٠ ـ ١٥ ٪)، صوَّتوا لحزب «تحيا» (النهضة) اليمينى، و٢,٥ ٪ لكاهاناً فى آخر انتخابات خاضها، وبواسطتها احتل موقعه فى الكنيست عام ١٩٨٨.

وهذه الأفكار، التى يكمن من خلفها حاخامات الدم والموت الإسرائيليين، هى ذاتها التى دفعت «إيجال عامير»، الشاب اليهودى المتزمت لاغتيال «إسحق رابين» رئيس الوزراء الإسرائيلى السابق، وهو شديد الاقتناع بأنه نفذ أمراً إلهياً، وأنه بفعلته هذه يُرضى الرب، ويُنفذ مشيئته، وفى كل الصور التى نشرت له عقب إلقاء القبض عليه، وأثناء التحقيق معه، يبدو شديد الرضا عن نفسه، هادئ البال مبتسماً... وبراءة الأطفال فى عينيه.

٣ ـ حدود الكاهانية: كاهانية بلا حدود

محور الأيديولوچية الكاهانية يدور حول فكرة مركزية واحدة: كيف ينبغى طرد العرب الفلسطينيين من بلادهم، واستكمال الهيمنة الإسرائيلية عليها، بصورة مطلقة، غير قابلة للنقض أو الانتقاص.

وهى الأيديولوچية التى شرحها «كاهانا» باستفاضة، وأعاد شرحها مراراً وتكراراً، فى الكتب العديدة التى كتبها مثل: **«شوكة فى عيونك»، و«أربعين عاماً»، و«عن الإيمان والخلاص»**، وكذلك فى الحوارات الصحفية التى أُجريت معه، وفى مشاريع القوانين التى قدمها ـ باعتباره عضواً فى الكنيست ـ وكذلك فى وثائق حركة «كاخ» الأساسية وإعلاناتها السياسية.

ينفى «كاهانا» بدايةً ـ أية إمكانية لأن يعيش العرب الفلسطينيون، أو من يطلق عليهم «عرب أرض إسرائيل»، مع يهود «أرض إسرائيل»، تحت راية دولة «يهودية/صهيونية»؛ ذلك أن «الدولة اليهودية» تعنى تفكيراً وعلاقات

يهودية، وتعنى حضارة يهودية، وروحاً يهودية، فى جمهور يهودى، وفوق ذلك كله تعنى «سيادة يهودية» و«سيطرة يهودية» فى هذه البلاد[1].

فوثيقة «الاستقلال»، (إعلان قيام دولة إسرائيل)، تحدد بحسم أن هذه البلاد (أى فلسطين السليبة)، هى وطن اليهودى وليس العربى، كما يقول «كاهانا»، والعرب لا يشعرون بأية علاقة إيجابية أو شعور طيب تجاه دولة يهودية الروح، بل إن كل العرب وضمنهم «عرب إسرائيل»، يعتقدون بأن الإسرائيليين لصوص، جاءوا إلى المنطقة لكى يسلبوا جزءاً منها، من أصحابها الشرعيين، والظاهرة الخطيرة ـ يقول «كاهانا» ـ أن أشد العرب عداءً للدولة الصهيونية هم المثقفون. فالعرب المتعلمون بالذات هم متطرفو المستقبل، وقادة وزعماء الثورة الوطنية القادمة ضد إسرائيل ، وهم يرفضون لقب «عرب أرض إسرائيل» ويجاهرون بالانتماء إلى فلسطين، وهم يقولون علناً ـ كما عَبَّرَ واحد منهم ـ بأنهم لا يعترفون «بالحقوق التى تسمونها تاريخية للشعب اليهودى فى هذه الأرض، هذا هو مبدؤنا الأساسى، يوجد على هذه الأرض حق تاريخى للشعب العربى الفلسطينى فقط»[2].

ويزيد من قتامة مصير الدولة الإسرائيلية فعل ما يُطلق عليه «كاهانا» إسم «شيطان الديموجرافيا»؛ حيث يرى «كاهانا» أن أخطر أسلحة العرب فى صراعهم ضد العدو الإسرائيلى هو الأطفال[3]. فالعرب، الذين لم يتوقفوا عن العمليات «الإرهابية»، ظلوا يلدون الأطفال «بكثافة قاتلة»، وإذا استمر الوضع على هذا المنوال، فالتوقعات الإحصائية تؤكد أن العرب سيشكلون نحو ثلث سكان الدولة عام ٢٠٠٠، (٢ مليون عربى فى مقابل ٤ ملايين يهودى)؛ إذ أن نسبة التكاثر السنوى لدى «عرب إسرائيل» تحتل المكانة الرابعة فى العالم (قبل الهند) وتصل إلى ما بين ٤٠ ـ ٤٥ بالألف، فى حين

(١) مائير كاهانا، مصدر سبق ذكره، ص: ٢٠.

(٢) المصدر نفسه ص:٩٤.

(٣) المصدر نفسه ص:١١٦.

أن نسبة التكاثر الطبيعى اليهودى تتراوح بين ١٧ ـ ٢٢ بالألف، ونصف عدد السكان العرب فى إسرائيل هم فى سن ١٥ عاماً، وثلثى السكان يبلغ عمرهم ٢٢ عاماً، فيما متوسط عمر السكان اليهود يقارب الـ ٣٠ سنة، ونسبة وفياتهم أعلى من مثيلاتها العربية، والهجرة اليهودية المضادة تُزيد الأمر سوءاً، إضافة إلى تأخر سن الزواج بالنسبة للشباب الإسرائيلى (بسبب ظروف الخدمة العسكرية)، كما أن ظاهرة الإجهاض، المقصورة تقريباً على الفتيات اليهوديات، وتأثر اليهود الشرقيين (السفارديم) بعادات الغرب فى تحديد عدد الأطفال... كل هذا، وغيره من العوامل، تضاعف من الآثار السلبية المدمرة لـ «شيطان الديموجرافيا» القاتل[1]. وهو يهدد بانفجار الوضع فى البلاد حينما يشعر الفلسطينيون بقوتهم، بعد أن تتحق لهم نسبة الربع أو الثلث من عدد السكان فى الدولة، وسيشاهد العالم الاضطرابات والثورات على شاشات التليفزيون، وستنفجر القنابل، ويسقط عشرات القتلى فى الاصطدامات التى ستقع بين المواطنين العرب والجنود الإسرائيليين[2].

ويضاعف من حجم الكارثة ـ من وجهة نظر «مائير كاهانا» ـ مزاعم (الديموقراطية) التى تعلنها الدولة، والتى نصت عليها «وثيقة الاستقلال»، فى فقرتها الرابعة، بتضمنها «المساواة فى الحقوق الاجتماعية والسياسية، بصورة كاملة، بين جميع مواطنيها، رغم كونهم عرباً وليسوا يهوداً»[*]... ال «الديموجرافيا» و«الديمقراطية» يتحدان معاً لنشر التضليل والخداع، فالتناقض بين العرب واليهود «مطلق تماماً»[3]، ويستحيل حله على أسس ديمقراطية تكفل للطرف العربى حقوقاً معترفاً بها فى الدولة اليهودية، بل

---

(١) المصدر نفسه، ص: ١١٦ ـ ١١٨.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٢٦.

* يُلاحظ بالطبع كذب الادعاءات الديمقراطية الصهيونية وقد أثبتت ممارسات الأيام التالية، العنصرية والإرهابية، هذه المسألة تماماً.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٢٧.

يجب الاعتراف - مرةً وإلى الأبد - بأن هناك مجابهة بين الدولة واليهودية - الصهيونية والحلم اليهودى؛ وبين النظريات الحديثة للديمقراطية والمدنية، ولا يجب أن يعتذر اليهود عن طابع دولتهم وطبيعتها، فالدول العربية أو الإسلامية التى ينص دستورها على طابعها العربى أو الإسلامى لا يحتج أحد على عنصريتها، يقول «كاهانا» محاججاً: كما أن الافريقيين لا يعتذرون عن إصرارهم على الاحتفاظ بلون دولهم الأسود[1] واليهود، الذين عانوا طوال ألفى عام من الشتات والاضطهاد تعلموا الدرس جيداً، وهو ألا يكونوا أقلية مرة أخرى أبداً: فهذا وطنهم وهم لن يسلموه للعرب مطلقاً وإذا كان العربى يفضل أن يعيش فى بيته ووطنه الذى يسوده الجو العربى، فليرحل الى واحد من أكثر من عشرين دولة (عربية)، أقيمت من أجله. ففيما تمثل هذه الأرض أرضنا الوحيدة. فإن لدى «عرب إسرائيل» الإمكانية بأن يعيشوا حياتهم والاندماج فى آية واحدة من تلك الدول، مع أبناء شعبهم العربى[2].

وإذا لم تقبلهم الدول المحيطة فماذا سيكون الحل؟ يرد «كاهانا»: ببساطة، لم أطلب من أحد أن يقبلهم... سأحتل مداخل الأردن من الجانبين، ونحاصرهم هكذا لمدة أسبوعين، ثم نقوم بإخلاء العرب، وفى هذا السياق... فإن مذابح «صبرا وشتيلا» التى نفذتها عصابات الكتائب الفاشية بدعم القوات الاسرائيلية العنصرية لدى احتلال بيروت (١٩٨٢)، تمثل عملا مجيداً كان ينبغى على الاسرائيليين أن يتولوه بأنفسهم... لقد كان على إسرائيل أن تفعلها أثناء دوران القتال... كان لابد لهذه المعسكرات أن تُقصف، وللمساكن المدينتين أن تُدك[3].

إن «عرب إسرائيل»، كما يعترف «مائير كاهانا» يمثلون أقلية لها طموحاتها الوطنية التى لا يمكن شراءها ببعض التحسينات فى مستوى

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٣١.

(٢) المصدر نفسه، ص:١٣٤، ٦٣ - ٦٤.

(٣) د. رفائيل ميرجى - د. فيليب سيمونو، مصدر سبق ذكره، (جـ٢)، اغسطس، ١٩٨٧.

معيشتهم، كمدّهم بالكهرباء، أو السماح لهم بالتعليم العالى... إلخ، ذلك أنه كلما ازداد التقدم الاجتماعى والاقتصادى والسياسى لدى العرب ـ يقول «كاهانا» ـ كلما زاد تطرفهم وتعصبهم القومى، ومعاداتهم ومقاومتهم للدولة الصهيونية[١]، فالصراع العربى ـ اليهودى فى إسرائيل، ليس صراعاً اجتماعياً أو اقتصادياً أو حتى سياسياً، إنه أعمق من ذلك بكثير: إنه يتصل بجذور الدولة بالذات، فطالما ظلت إسراتيل مُصِّرةً على وصف هذه الدولة كدولة يهودية، وطالما ظلت متمسكة بالعقيدة اليهودية والصهيونية، القائلة بأن الأرض ملك للشعب اليهودى، ستزداد الكراهية والاصطدامات وسفك الدماء، وهذه هى الحقيقة التى لا يملك زعماء إسرائيل الجرأة على الاعتراف بها[٢].

وكيف تُحَلُّ هذه المعضلة إذن؟! لا يوجد سوى حل واحد، من منظور الفاشية الكاهانية: هو طرد العرب خارج الأرض، أرضهم، بدلاً من إعادتها لهم، وللسخرية المرة فإن «كاهانا» يرى أن الذين يدعون إلى إبعاد العرب خارج «إسرائيل»، إنما يفعلون ذلك من خلال احترام الإخلاص العربى وإيمانه، القائل بأن هذه الأرضُ سلبت منه، ومن خلال المعرفة بأن العربى لن يستطيع محبة «الدولةاليهودية»، أو التضامن معها[٣].

ولابد من إنجاز هذا الأمر قبل استفحال المشكلة وتعذر السيطرة عليها، فإن جيوش الدول العربية المرابطة على (حدودنا) لا تشكل مشكلة... انما المشكلة الرئيسية تكمن فى القنبلة الزمنية التى تدق بهدوء، ومن ثم سيرتفع صوت دقّاتها داخل إسرائيل... وكل يوم يمضى يُقَرِّبُ العرب من تحقيق هدفهم: الأغلبية، بينما يجلس اليهود الصهاينة «مشلولين، مكتوفى الأيدى»[٤].

ولذا فليس هناك من أمل سوى «أن نطرد العرب من أرض إسرائيل»[٥].

(١) المصدر نفسه، ص:٦٦.

(٢) ماثير كاهانا، مصدر سبق ذكره، ص:٦٦.

(٣) المصدر نفسه، ص:٦٤. (٤) المصدر نفسه، ص:٢٠١.

(٥) المصدر نفسه.

لقد كانت «أكبر بركة» حظى بها اليهود، مع قيام دولتهم عام ١٩٤٨، هى الهروب العشوائى وعديم المنطق، الذى جاء نتيجة للرعب الذى تَمَلَّكَ العرب وجعلهم يهربون من دولة اليهود الجديدة، مُخَلِّصاً الدولة من أقلية كبيرة كان من شأنها تخريبها من الداخل، لكن الإسرائيليين لم يكملوا عملية إخراج العرب من حدود الدولة اليهودية، لو فعل اليهود ذلك، لكانت هناك فى الواقع عملية «تبادل سكانى»، يتم فى إطارها إعادة العرب واليهود (المقيمين فى الدول العربية والذين هاجروا إلى إسرائيل)، كل إلى أبناء شعبه. لكن هذه الفرصة الذهبية ضاعت، وضاعت مثلها فرصة أخرى عام ١٩٦٧؛ حيث أهدرت المنحة التى منحها الرب لشعبه مرة ثانية لطرد جميع أعدائه... فقد كان باستطاعة إسرائيل التخلص من «السرطان» والانتهاء من «الكابوس» المزعج، الذى يتمثل بضم ٨٠٠,٠٠٠ عربى، حاقد على إسرائيل، إليها[1].

الخطة الكاهانية:

وعن طريق لعبة سياسية مخادعة، تبدأ من الحسم النهائى لموضوعه أن الأرض الفلسطينية هى «أرض إسرائيل»، الممنوحة من الرب لشعبه المزعوم، ينطلق «كاهانا» ليبنى مجموعة من المشابهات النظرية الكاذبة تدعم حججه، وتُقَوِّى براهينه: إننى أريد أن أطرد العرب من المسجدين اللذين فى هضبة (المعبد)، (المسجد الأقصى وقبة الصخرة). ليس للعرب الحق فى أن يتواجدوا بها. هل باستطاعتكم أن تتخيلوا ما كان المسلمون سيقولونه لو أن اليهود بنوا معبداً فى مكة، فى هذا المكان الإسلامى المقدس؟! إن هضبة المعبد ليست مكاناً مقدساً للمسلمين... إنها المكان الأكثر قداسة بالنسبة لليهودية.. إننى أريد أن أقتلع العرب منه. إننى أريد أن أقتلعهم من هناك... إننى لا أريد أن أُفَجِّرَ المسجد (الأقصى)، ولكن لو قام أحد بتفجيره، فبكل تأكيد سأصفق له[2].

---

(١) المصدر نفسه، ص:٢١٠ ـ ٢١٢.

(٢) د. رفائيل ميرجى ـ د. فيليب سيمونو، مصدر سبق ذكره، (جـ٥)، أكتوبر، ١٩٨٧.

ومن أجل تحقيق هذه الغاية المنحطة، يقترح «كاهانا» من تسعة نقاط بمقتضاها يمكن تصفية الوجود العربى فى أرض فلسطين السليبة نهائياً، وإتمام عملية الإحلال اليهودى الصهيونى محله:

١ ـ إن دولة إسرائيل قامت، وقائمة الآن، من أجل الأمة اليهودية فقط، وبذلك تشكل الدولة اليهودية وطناً للشعب اليهودى، وكل من هو ليس من الشعب اليهودى لا يحق له الحصول على هذه الجنسية، والعضوية فى شعب إسرائيل يمكن الحصول عليها بالدخول فى الديانة اليهودية[١].

إن من هم ليسوا يهوداً، يحق لهم العيش فى إسرائيل بدون جنسية، وبدون حقوق سياسية، ووفقاً «للاعتبارات الأمنية» التى تحددها الدولة اليهودية[٢].

٢ ـ يُعرض على كل عربى فى أرض إسرائيل أن ينتقل بمحض إرادته الحرة إلى دولة عربية، أو إلى أية دولة أخرى يريدها، على أن يتم تحديد قيمة التعويضات التى ستُدفع له مقابل ممتلكاته التى سيتركها فى إسرائيل، مع الأخذ فى الاعتبار الديون التى تتحملها الدول العربية للطوائف اليهودية التى هاجرت من تلك الدول، وسيُطلب من دول النفط دفع تعويضات عن ممتلكات اليهود الذين لم يُدفع لهم أى تعويض[٣].

٣ ـ العربى الذى يرفض هذا العرض يطلب منه أن يعلن ولاءه للدولة اليهودية، بصيغة تظهر اعترافه بكون «أرض إسرائيل» وطناً للشعب اليهودى، وبالسيادة اليهودية الكاملة، وبحق الشعب الإسرائيلى الوحيد والأوحد فى السيادة على هذه الأرض، ومن يتصرف وفق هذا الطلب يظل فى البلاد كمواطن إسرائيلى، بدون جنسية، وبدون مطالبة بسيادة وطنية، وبدون حقوق سياسية (مثل حق الانتخاب)، والحكومة من جانبها تحدد عدد مواطنيها من

---

(١) مائير كاهانا، مصدر سبق ذكره، ص:٢١٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٢١٨.

غير اليهود وفقاً لاعتباراتها الأمنية[1].

٤ ـ العربى الذى يرفض القبول بهذا الوضع، تُدفع له تعويضات عن ممتلكاته، ويتم إبعاده إلى دولة عربية وليس إلى دولة غربية، ولكن إذا أصر العربى على رفضه، يتم إبعاده بالقوة وبدون تعويضات، ويتم نقل المبعدين إلى حدود لبنان، أو إلى الأردن، أو المنطقة الفاصلة بين مصر وإسرائيل[2].

٥ ـ يتم توضيح مشكلة العرب أمام كل يهود العالم، ويتم تفسير وبيان أخطارها إذا لم تُحل، خاصةً هنا. وسيُطلب من يهود العالم تمويل خطة الهجرة، تمويلاً طارئاً[3].

٦ ـ فى هذه الأثناء، يُطلب من كل مواطن لا يحمل الجنسية الإسرائيلية أن يعمل مدة ثلاث سنوات فى إطار كتيبة عمل. لن يُقبل أى طلب عربى فى الجامعات إلا بعد أن يُقسم يمين الولاء للدولة اليهودية[4].

٧ ـ تُجبى الضرائب بكاملها من عرب إسرائيل، ولا يسمح بالتهرب من الضرائب، وكذلك تتبع سياسة صارمة لمنع استيلاء العرب على (أرض إسرائيل)، وكذلك منع إقامة مبان غير قانونية.

٨ ـ تُدفع مخصصات التأمين الوطنى لحاملى الجنسية الإسرائيلية فقط.

٩ ـ فى إطار الخدمة العسكرية والوطنية، تُقام كتائب عمل لغير اليهود الذين سيتم إعدادهم للقيام بأعمال يدوية وحمائية قاسية. وبنفس الوقت تنفيذ حملة جماهيرية واسعة النطاق من أجل تشغيل عمال يهود (مكان العمال العرب)[5].

---

(١) المصدر نفسه، ص: ٢١٨.

(٢) المصدر نفسه، ص:٢١٨.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٢١٨.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٢١٨، ومن اللافت أن أغلب هذه الاشتراطات، ومنها رقم (٦)، قد جرى تنفيذ أغلبها، فيما بعد!.

(٥) المصدر نفسه، ص: ٢١٩.

إن إبعاد العرب من إسرائيل سيمكن الحكومة من نقل مليارات كثيرة من الدولارات، التى كانت تُصرف على العرب، لتصرف على العائلات اليهودية التى تعانى من الضائقة المالية.

إن معارضى «مبادرة التهجير العربية» هذه ـ يقول «كاهانا» ـ يصفونها بأنها «خطة للتحريض على الثورة»، لكن الحقيقة، يُذَكِّرُ «كاهانا» محقاً هذه المرة، أن وجود دولة إسرائيل بالذات هو العنصر المحرِّضُ على الثورة(١)، ومن يُصِّرُ من العرب على عدم ترك البلاد، ونفى ذاته خارجها «بمحض إرادته»، سيكونون أعداءها الحقيقيين والخطيرين، والذى يُعتبر طردهم «آمراً حيوياً جداً»؛ ذلك آن عملية طرد كل عربى لا يُسَلِّمُ بسيادة اليهود المطلقة على آرض إسرائيل، ليست فقط هى الأسلوب المنطقى والعملى لكل يهودى يشعر بوجوده الذاتى، بل هى واجب دينى أيضاً(٢).

فشعب إسرائيل ـ كما يزعم «كاهاناً» ـ ليس «مجرد شعب»، وإسرائيل آيضاً غير قابلة للإبادة، «إنها فريدة من نوعها، مقدسة، اختارها الرب وميَّزها عن غيرها. لقد اختار الله الشعب اليهودى وآلزمه بأن يطبق تعاليم التوراة. ورفضنا لحل مشكلة العرب وفقاً لتعاليم التوراة، هو بالذات الذى سيلحق بنا المعاناة المميتة، فى حين آن جرآتنا فى طرد العرب، تُعتبر من العناصر الرتيسية فى تعجيل تحقق الخلاص الكامل»(٣)... إن دولة إسرائيل ليست صيغة سياسية: «إنها مخلوق دينى(٤) ولذا فإن أية قوة فى العالم لن تستطيع الحيلولة دون إقامتها، ولن توجد قوة فى العالم تستطيع تدميرها»(٥)، و«عرب إسرائيل» يشكلون تدنيساً للرب (المعصية)، «وعدم تسليمهم بالسيادة

(١) المصدر نفسه، ص: ٢١٩.

(٢) المصدر نفسه، ص:٢١٧.

(٣) المصدر نفسه، ص:٢٢٧.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه،ص:٢٢٨.

اليهودية على «أرض إسرائيل»، على الرغم من وجود العهد بين اليهود وبين رب إسرائيل، يُعتبر رفضاً لسيادة الله رب إسرائيل وملكوته... لذا فطردهم من البلاد هو عمل دينى أكثر من كونه قضية سياسية: إنه واجب دينى. موضوع دينى. آمر بإزالة المعصية»[1].

«سنواجه مأساة إذا لم نطرد العرب من البلاد، لذا فهيا نطرد العرب من إسرائيل ، ونكون قد جلبنا الخلاص لأنفسنا»[2].

حلم «إسرائيل الكبرى»

لقد جاء فى التوراة، يذكر «كاهانا»: «أرض إسرائيل... لقد منحت هذه الأرض لذريتك، من نهر مصر (النيل)، حتى النهر الكبير (نهر الفرات)»،... لقد أعطى اليهودى (أرض إسرائيل) كمنحة من الرب، وأُمر بالعيش فيها، وعندما كان شعب إسراتيل يستعد لاجتياز نهر الأردن، وبينما كانوا فى منتصف النهر، قال لهم «يوشع»: «لتعرفوا لماذا تجتازون النهر؟! من أجل أن ترثوا سكان البلاد الذين قبلكم. إذ فعلتم هذا فهو جيد، وإن لم تفعلوه ستأتى المياه وتجرفنا جميعاً»؛ ومعنى ذلك ـ يوضح كاهانا» مرتكزاً على مزاعم توراتية أسطورية ـ أنكم إذا قضيتم على سكان البلاد (الأصليين العرب)، فإنكم عندئذ ستحظون بحق توريث الأرض لأبنائكم... وإذا لم تقضوا عليهم، ولم تحتلوا الأرض، لن يكون لكم الحق فى أن تورثوها لأبنائكم... لقد أُخذت الأرض من الغرباء ـ الكنعانيين ـ لتمكين اليهودى من تنفيذ مهمته التى خلقه من أجلها الله، خالق البشرية، كل البلاد له. لقد أخذ من الكنعانيين أرضاً من أرضه، و«أعطاها» لشعب إسرائيل، شعبه الذى اختاره[3]، وإبقاء سلطان الغرباء على قسم من البلاد، مثله كمثل محو اسم

---

(١) المصدر نفسه. (٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه، ص:٢٢٦.

- واضح تماماً الأكاذيب والإدعاءات الزائفة التى يرتكز عليها «كاهانا» لتبرير دعوته

اللّه عن الأراضى التى بأيديهم... هكذا قضى «موسى بن ميمون»، فى «تعاليم الكفرة»: «فى زمن سلطان بنى إسرائيل... محظور علينا إبقاء الكفرة بيننا»... إن التنازل عن أجزاء من «أرض إسرائيل» هو بمثابة إثم يتوجب منعه حتى وإن كَلَّفَ ضحايا بشرية... لأن الحرب من أجل البلاد هو جزء أساسى من الحرب التى يَحُثُّ عليها التلمود، والتى تسميها التوراة «حربا مقدسة»[1]، وهذه الحرب تستهدف تحقيق الخلاص بأركانه الأربعة:

١ ـ القرار الحاسم لتطبيق سلطان شعب إسرائيل ودولة إسرائيل على جميع أجزاء «بلاد إسرائيل».

٢ ـ القرار الحاسم بطرد كل من هو غير يهودى، ولا يعترف بالحق القطعى للشعب اليهودى على كل «بلاد إسرائيل»، ولا يقبل بوضع أجنبى، قاطن، مبتور الحقوق.

٣ ـ القرار الحاسم بترك المقبرة، المسماة «المهجر»، والعودة إلى «بلاد إسرائيل»[2].

ولأن «مائير كاهانا» يدرك جيداً أن أصحاب الأرض الأصليين من العرب الفلسطينيين لن يتركوا وطنهم ببساطة، ولن يرتضوا بالخضوع لأوهامه دون مقاومة، فهو يعرف أيضاً أن سلاح القهر والإرهاب والعدوان هو سلاح أساسى لحسم مصير الصراع، وهو يرد على الذين يطالبون بقدر ـ ولو

= لإنشاء إسرائيل الكبرى، فلم تكن أرض مصر يوماً ـ على سبيل المثال ـ ملكاً للكنعانيين حتى يمنحها رب إسرائيل لشعبه المختار المزعوم، وهذه التبريرات ـ فى النهاية ـ يسهل لكل الشعوب ترددها بشأن أراض أخرى فى دول أخرى تدعى ملكيتها، استناداً إلى تراثها الدينى والأسطورى الخاص؛ الذى يبرر المطالبة بملكيتها، كما يفعل الصهاينة والمهووسون من دعاة أرض إسرائيل الكاملة.

(١) مائير كاهانا، من كراس: عن الإيمان والخلاص، مذكوره فى درويش ناصر (المحامى)، الفاشية الإسرائيلية، عمان ـ الأردن، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ١٩٩٠، ص:٣٢.

(٢) المصدر نفسه، ص:٣٥.

محدود ـ من المرونة والدبلوماسية لتنفيذ ذات الغايات، قائلاً إنهم ـ فى هذا السلوك ـ لا يصدرون عن فهم صحيح وعميق للتوراة، ويزيد أنه يستطيع أن يعرض لهؤلاء ما قاله الأنبياء فى استشهادات توراتية كفيلة ببث القشعريرة فى الأوصال؛ وهو يطالبهم بأن يقرأوا ما ذكره أشعيا عن «الطريقة الدموية والعنيفة التى سيُعامل «المسيح»، عندما يأتى، بها الأمم»[1].

وهو، أى «كاهانا» إذا كان ينصح أتباعه بعدم استخدام العنف الآن، فلا يعود ذلك إلى سبب أخلاقى (لا سمح الله)؛ بل لأن الوقت غير مناسب وحسب، لكن كما أن للصلاة والابتهال وقت، فللعنف والقتل وقت آخر، ومن اجل هذا الزمن القادم فإن «ماثير كاهانا» لا يخفى عمله على تهريب السلاح سراً من العالم أجمع، من أجل تسليح اليهود[2]، فى مواجهة من؟ ـ فى مواجهة العرب وغير العرب، الذين يقفون فى وجه أطماع «كاهانا» وزمرته، ذلك أن العرب لا يريدون السلام، إنهم يريدون بلداً، والصهيونية لم تأت هنا لإحلال السلام. لقد أتت لتحصل على دولة يهودية سواء عنى ذلك وجود السلام أم لا[3].

.. إن الدم العربى السيّال على أيدى الصهاينة أمرَ يبشُ له «مائير كاهانا» ويبهجه، فرغم أن التوراة ـ كما يرى الحاخام الفاشى ـ بكل تأكيد، تذكر: لا تشمت فى عدوك حينما يسقط، ولكن عندما يتعلق الأمر بعدو للشعب اليهودى، هنا يصبح الأمر مختلفاً: إن علينا أن نشمت ـ يقول «كاهانا» ـ حتى لو تم ذلك فى أماكنهم المقدسة.. فعندما أُعدم مجرمو النازية بعد محاكمات «نورمبرج»، ألم يشرب اليهود أنخاباً مهللين (آلحايم)، (فى صحة الحياة)[4]؟

(١) د. رفائيل ميرجى ود. فيليب سيمونو، مصدر سبق ذكره، (جـ٢)، أغسطس ١٩٨٧.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٥.

(٣) المصدر نفسه، (جـ٥)، نوفمبر ١٩٨٧.

(٤) د. رفائيل ميرجى ود. فيليب سيمونو، مصدر سبق ذكره، (جـ ٥)، نوفمبر ١٩٨٧.

ويلاحظ هنا ـ بوضوح ـ عمليات الإسقاط التى يقوم بها «كاهانا»، والتماثل الذى يصطنعه بين «العرب» و«النازيين» من جهة، ثم تقمصه لدور مُعَذِّبَهُ السابق، وممارسته لنفس السلوكيات الوضيعة التى جأر بالشكوى من جراء تعرضه لها، من جهة أخرى.

وليس هذا الرأى لنا وحدنا، إنه ـ وهذا مهم للغاية ـ رأى محامى الدولة الصهيونية ذاتها، الذى وصف «كاهانا» فى محكمة العدل بالقدس، عام ١٩٨٣، بأنه «نازى بكل معنى الكلمة، وبأن النظرية التى يروج لها وممارساته متجانسة مع النظرية البغيضة»[١]، وقدم استشهادات من واقع برامج «كاهانا» ومطالبه السياسية المقتبسة كلية من المرجعيات النازية (الملعونة):

ـ طلب «كاهانا» تحريم التمازج والاختلاط، وفرض عقوبة الحبس لمدة خمس سنوات على اليهوديات اللواتى يقمن علاقات جنسية مع العرب، وعقوبة خمسين سنة على العرب الذين يقيمون علاقات جنسية مع اليهوديات: مقتبس من «كفاحى» لأدولف هتلر: «الشاب اليهودى أسود الشعر، يتربص ساعات بالفتاة الألمانية الوديعة فيدنِّسها، ويسلبها من شعبها».

ـ طلب «كاهانا» بجعل الزواج بين اليهود وغير اليهود جريمة يعاقب عليها بالسجن ـ مقتبس من قوانين «نيرنبيرج».

ـ نداء «كاهانا» بمقاطعة التجّار العرب والشراء من اليهود فقط ـ شبيهه بالمقاطعة التى فرضها النازيون على التجار اليهود عام ١٩٣٥.

ـ إثارة مشاعر العداء وأعمال العنف ضد الطلاب العرب فى الجامعات ـ على غراء ممارسات جلاوزة النازية ضد اليهود.

ـ طلب «كاهانا» بطرد جميع العرب من البلاد إلى الدول العربية، وحرمان كل من هو من أصل غير يهودى من الحقوق المدنية ـ شبيهه بالبند الخامس والعشرين من البرنامج الانتخابى للحزب النازى.

(١) درويش ناصر (المحامى)، مصدر سبق ذكره، ص: ١٦.

ـ نداء «كاهانا» لإقصاء العرب عن الحرم القدسى، أقدس مقدسات الإسلام، بحجة أنه قائم على أنقاض المعبد الثانى، والاستشهاد بآية من الكتاب المقدس «الغريب الذى يقترب يُقتل».

ـ اشتراط كل المفاوضات مع العرب على أساس اعترافهم أولاً بسيادة «اليهود على أرض إسرائيل»[(١)].

وهو أيضاً الذى يقترح أن يقوم الجيش الإسرائيلى بتصفية الفلسطينيين الذين يقعون فى قبضته ـ فى الحال ـ بصرف النظر عن محاكمتهم أو مستوى (جرمهم).. فبكل تأكيد، لابد من تصفية الفلسطينيين على الفور، ومرة أخرى: «تماماً كما كنا سنصنع بالنازيين»، وهكذا، يتنبأ الحاخام الإرهابى: «فإنهم سيفكرون مرتين قبل أن يشرعوا فى القيام بفعل.. إننى أريدهم أن يموتوا.. أريد أن يعرف كل أولئك الذين يتأهبون لارتكاب أعمال (إرهابية) أنهم إن أُخذوا سيقتلون فى الحال»[(٢)].

ومرة أخرى تعود الدائرة الكاهانية الجهنمية لكى تُقفل مجدداً: «من الجنون أن ندفع (من أموال إدارة الضمان الاجتماعى) للعرب، كى يُنجبوا أطفالاً.. إن هذا النظام يعطينى انطباعاً بأن اليهود مرضى بعقولهم إننى أريد أن أجعل حياة العرب هنا صعبة، إلى الدرجة التى يقول فيها الكثير منهم إن الأمر لم يعد يستحق عناء العيش هنا.. من الأفضل أن نأخذ تعويضاً ونرحل.. ولو كنت فى السلطة فلن يُقتل أى عربى، لأننى لن أكون قد تركت عربياً هنا»[(٣)].

إن هذه الروح البغيضة المجنونة المشبعة بالشر والعدوان ليست روحاً قلقة، على أية حال، بل هى تفعل هذا كله معتقدة، عن يقين ـ وهنا مكمن

---

(١) درويش ناصر (المحامى)، مصدر سبق ذكره، ص: ١٦ ـ ١٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه، (جـ ٣)، سبتمبر ١٩٨٧.

الخطورة ومصدر المأساة ـ أنها تُنَفِّذُ تعاليم «رب الجنود»، «الرب المحارب»: ذلك أن الرب الذى توجّه إلى موسى ـ كما يقول «كاهانا» ـ هو نفس الرب الذى كلم «يوشع»[1]، رمز الحرب والدم والموت والدمار فى التراث التوراتى، واليهودية، كما يراها، تقول ذلك، بكل تأكيد، «والحاخامات جميعاً يعرفون ذلك، وهو عين ما سيقوله لك كل واحد منهم لو ناقشته على حدة.. سيقول لك: «كاهانا» عنده حق.. لكن الشجاعة تنقص هؤلاء الحاخامات ليقولها على الملأ»[2].

والمشكلة معهم هى «أنهم حين يتوقفون عن الحديث كحاخامات (أى بمقتضى ما تمليه التوراة ويوجهه التلمود) يبدأون فى الحديث.. كما الأرانب[3] ليقولوا ماذا؟! ليقولوا ما يجاهر به «كاهانا» وصحبه: إن الأرض لا تتسع للجميع فإما اليهود وإما العرب».

إما اليهود.. وإما العرب.. هذا هو درس الحاخام الفاشى «مائير كاهانا»، وأمثاله من المتدينين العنصريين وهذه هى رسالته ورسالتهم، إنها «كاهانية» بلا حدود.. لها بداية وليس لها من نهاية.. واليوم «عرب أرض إسرائيل» وغداً «عرب إسرائيل الكبرى».. وهلمَّ جرا.

«ولنا أن نتصور يوماً ترتفع فيه النسبة العددية للمتدينين فى إسرائيل، بالدرجة التى تُمَكِّنهم من السيطرة على الحكم، وبالتالى على ترسانة السلاح التقليدى وما فوق التقليدى، فحينئذٍ ستخضع التكنولوجيا العسكرية المتطورة (لمثل هذه) الفتاوى الأسطورية»[4].

---

(١) المصدر نفسه، (جـ ٢)، أغسطس ١٩٨٧.

(٢) المصدر السابق، (جـ ٤)، أكتوبر ١٩٨٧.

(٣) درويش ناصر (المحامى)، مصدر سبق ذكره، (جـ ٥)، نوفمبر ١٩٨٧.

(٤) من مقدمة الطبعة العربية لكتاب: العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل، إعداد وإشراف: يشعياهو ليفمان، ترجمة: محمد محمود أبو غدير، مراجعة وتقديم: إبراهيم البحراوى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠، ص: ٣.

«نحن جيل من المستوطنين، ودون الخوذة الفولاذية والمدفع لا نستطيع أن نزرع شجرة، أو أن نبنى بيتاً»..

يورى أفنيرى

«أنا أحارب.. إذاً أنا موجود»

«كن أخى.. وإلا سأقتلك».

مناحم بيجن

التمرد The Revolt

الفصل السادس

جوش إيمونيم

«إن جذور حركة جوش إيمونيم موجودة فى التفسير الميتافيزيائى لما ورد فى الكتب المقدسة، وفى أفكار بداية الخلاص التى ترعرعت فى الصهيونية المتدينة، ووصلت ذروتها فى حرب الأيام الستة»(١).

١ ـ القِلَّة التى تصنع التاريخ

لم يكن وقع مفاجأة حربى ١٩٦٧ و ١٩٧٣ بنتائجهما الصادمة على الجانب الإسرائيلى، بأقل منه على الجانب العربى، وإن تباينت المشاعر واختلفت المردودات، فكما دفعت الهزيمة ثم الانتصار النسبى المحبوس ـ على الجبهة العربية ـ القوى الأصولية لبدء انبعاثة جديدة تحت شعار أن ما حدث هو نتاج لتخلينا عن الله فتخلى الله عنا، رأت الأصولية اليهودية فى الانتصار الساحق لجيش «الدفاع» الإسرائيلى عام ١٩٦٧ ثم الهزيمة النسبية، عام ١٩٧٣ تحقيقاً للوعود التوراتية المزعومة، وبدء مرحلة جديدة تتجسد فيها الأفكار التوراتية التى كانت هاجعة فى الخلفية اليهودية: «لقد بدأ الميل الأصولى يبرز مُجدداً فى حياة اليهود (القومية) فى أواسط السبعينيات، فبعد فترة هجوع دامت أكثر من ثمانية عشر قرناً، انتفض ذلك المزيج من التوقعات المسيحانية، والعمل السياسى النضالى، والانغلاق الفكرى الشديد، والولاء المتفانى لأرض إسرائيل، الذى ميَّزَ فيما مضى تلك الفرقة من غلاة اليهود أيام الرومان، فألهب مُخَيِّلَةَ الألوف من الشباب الإسرائيلى، من الصهيونيين العلمانيين خائبى الرجاء»(٢).

(١) دانى روبنشتاين، مصدر سبق ذكره، ص: ١٦.

(٢) إيان لوستك، مصدر سبق ذكره، ص: ٦.

وعبر حركة جدل عنيفة بين الواقع والمثال، الفكرة وتجسيدها، انبثق تنظيم أصولى شديد العدوانية والتطرف، هو «جوش إيمونيم» الذى حمل شعار **«أرض إسرائيل، لشعب إسرائيل، بحسب توراة إسرائيل»**[1]، ورفع تنظيم «جوش إيمونيم» راية العمل «الطليعى» أو «الريادى»، التى كانت محمولة بأيدى دعاة حركة «الكيبوتسات» (اليسارية) فى الخمسينيات والستينيات، قبل أن يصيبها العطب، ومن خلال «حلف عضوى» أو علاقة «تكافل حيوى» أقامها التنظيم مع تكتل «الليكود»، عصب الحركة اليمينية الصهيونية، استطاع الفكر الأصولى الزاحف، أن يوفر «نظاماً متماسكاً من الرموز الملهمة فى تصرف ساسة «الليكود» الصاعدين، أمثال «آريئيل شارون»، ومكنهم من إحاطة طموحاتهم بهالة من الأصالة اليهودية، والمثالية الصهيونية»[2]. وفى المقابل استفادت حركة «جوش إيمونيم»، أيَّما استفادة، من دعم حكومة «الليكود» المطلق، مادياً ومعنوياً، لحركتها السياسية والاستيطانية، حتى أصبحت قوة يُعمل لها حساب كبير فى الواقع السياسى الإسرائيلى، الأمر الذى اعتبرت معه: «أنجح حركة غير برلمانية ظهرت فى إسرائيل منذ تأسيس الدولة سنة ١٩٤٨»[3].

حددت حركة «جوش إيمونيم» برنامجها فى العمل من أجل تحقيق هدف مركزى رئيسى: هو بسط السيادة اليهودية على «أرض إسرائيل الكاملة»، وإحلال نظرتها الجذرية الرؤيوية (نظرة تنبؤية لما تنطوى عليه من أهوال يوم الحشر) إلى مصير اليهود، محل الصهيونية البرجماتية، التى جعلها مؤسسو إسرائيل «الرأى البديهى المشترك» فى المجتمع الذى أوجدوه[4]، وارتكزت فى سعيها إلى تحقيق غاياتها السياسية/ الدينية، على قاعدة استيطانية كبيرة

(١) المصدر نفسه، ص: ١٣.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٤.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٧.

ضَمَّتْ عشرات المستوطنات، أُقيمت فى الأراضى العربية المحتلة بالضفة الغربية وقطاع غزة ومرتفعات الجولان، حَوَّلتها من مجمعات سكنية إلى قلاع حربية، أو ترسانات عسكرية، كُدِّسَتْ فيها الأسلحة والذخيرة القتالية من كل نوع.

لكن وجه الخطورة فى حركة «جوش إيمونيم» لا يتوقف على ما سلف وحسب، وإنما ـ وهذا هو المهم ـ يعتمد على سريان منهجها وأيديولوچيتها فى أوساط إسرائيلية واسعة، حتى ممن هم خارج الجماعة، واعتمادها كأيديدلوچية مُعترف بها، يتبناها قطاع متزايد من شباب المؤسسات التعليمية الدينية المعروفة باسم «بنى عكيفا»، و«الهسدر»، أو مُجَمَّعات المعاهد الميدانية، شبه العسكرية، التى يقضى بها طلاب «اليشيفوت»، المدارس الدينية، فترة خدمتهم العسكرية، والمدارس الدينية التقليدية أيضاً، ويضاف إلى ذلك انتماء «قطاع مهم من أبناء الطبقة الوسطى الإسرائيلية، من ذوى الالتزام السياسى الشديد بالصيغة التوسعية للصهيونية العمالية، أو الصهيونية التصحيحية»[1]، وهذه الأيديولوچية، التى على الرغم من كونها «غير حزبية بصورة رسمية»، تحظى «بتأييد فاعل» من قِبل وزراء بارزين فى الحكومة، فهناك ستة من أعضاء الكنيست هم من القادة الأساسيين للحركة، كما أن تحالفاً برلمانياً أنشئ عام ١٩٨٥، ضم خمسين وزيراً وعضواً، من خمسة أحزاب سياسية إسرائيلية، (٣٢٪ من مجموع أعضاء الكنيست)، ظهر كـ «لوبى»[2]، يمارس الضغوط بهدف تحقيق برنامج حركة «جوش إيمونيم» الاستيطانية، ومما له دلالة فى هذا السياق نتائج استطلاع للرأى أجرى فى ربيع عام ١٩٨٧، بناء على طلب من مجلة «حداشوت» الإسرائيلية الأسبوعية، لاختيار «شخصية الجيل»، (رجلاً أو امرأة)، التى خلقت أبعد الأثر فى المجتمع الإسرائيلى خلال الأعوام العشرين السابقة. وقد تقاسم صدارة الشخصيات المختارة كل من «مناحيم بيجن» الإرهابى الصهيونى

(١) المصدر نفسه، ص: ١٦.

(٢) المصدر نفسه.

العتيد، والحاخام «موشيه ليفنجر»، مُرشد «جوش إيمونيم» الأيديولوچى العام، ومؤسس أول مستعمرة يهودية فى الخليل عام ١٩٦٨[١].

فى تفسير «بوعز أبلباوم» أحد مستشارى «شمعون بيريز» لسبب اختياره، ذكر: «جاء رؤساء الحكومات وذهبوا، أما «ليفنجر» فلا يزال فى الذروة، وكل واحد منا قد كيّف نفسه بأبعاده ومقاييسه»[٢] لقد اعتبر المحللون هذا الاختيار رمزاً للتغيير الذى طرأ على إسرائيل ودفعها باتجاه (اليمين) والتطرف والأصولية منذ سنة ١٩٦٧، وقد جاء تأكيداً على أن «الأصولية اليهودية»، كما يرى البروفيسور «أيهود سبرنيتساك»، «أشد القوى الاجتماعية والثقافية حيوية فى إسرائيل اليوم»[٣]، فتأثيرها لم يتوقف فقط على النظام السياسى الإسرائيلى، على أهميته، وإنما تعداه لكى يحدث «تأثيراً جوهرياً فى نسيج المجتمع الإسرائيلى، بطرائق تتخطى ساحة السوق السياسية، وتتعلق بقلب المجتمع الإسرائيلى»[٤].

فلم تعد دعاوى «جوش إيمونيم»، النزّاعة للصدام والعنف والإرهاب والتطرف، مرفوضة من قطاعات واسعة فى المجتمع الإسرائيلى، وأفكارها الأصولية التى كانت تثير الرفض والاشمئزاز فى العقود السابقة، أصبحت محط إعجاب وإيمان عدد كبير من الإسرائيليين، والبرامج «المنغلقة»، (مثل العمل على تدمير المقدسات الإسلامية، وبناء الهيكل قبل ظهور المسيح) لم تعد برامج «مجنونة» يتبناها نفر من المارقين، وإنما أضحى نحو ٣٠٪ إلى

---

(١) المصدر نفسه، ص: ١٩.

(2) THOMAS L. FREDIMAN, History's Favorite Israelis, New York Times,U.S.A, june 11, 1987, p. 44.

(3) EHUD SPRINZAK, GUSH EMUNIM: The politics of Zionist Fundamentalism in Israel - EHUD: Jewish Committee, New York, 1986.

(4) DAVID SCHNALL, An Impact Assessment.

مذكورة فى: إيان لوستك، مصدر سبق ذكره، ص: ٢٠.

٥٠٪ من يهود إسرائيل يتبنونها، بل إن استفتاءا أُجرى فى أبريل ١٩٨٧، أشار عبره ما بين ٤٥٪ إلى ٥٠٪ من الإسرائيليين إلى تأييدهم لمطالب «جوش إيمونيم» بأن تظل الضفة الغربية وقطاع غزة «فى ظل الحكم الإسرائيلى الدائم وغير المشروط»[١]، وقد بررت هذه البيانات استنتاج «إيان لوستك» المنطقى: «إن الصورة التى تبرز من المعطيات الاستطلاعية والبحوث الجارية على تأثير الحركة الأصولية، تُشير إلى أن «جوش إيمونيم» سوف تظل بلا أدنى شك لاعبة أساسية فى الصراع الكبير الدائر حالياً لتحديد شكل المجتمع الإسرائيلى وغاياته، وهو صراع فرضته وحددت معالمه نشاطات الأصوليين الاستيطانية فى الضفة الغربية وقطاع غزة»[٢]، ومن هنا يرى «إيان لوستك» أن أهم النتائج التى نجمت عن تأثير «جوش إيمونيم»، وأشيعها ذكراً، هى إقامة مستعمرات يهودية فى مناطق حسّاسة كثيفة السكان فى الضفة الغربية، مستعمرات تُكذِّب، إن لم نقل تنفى، الاستعداد الإسرائيلى لمبادلة الأرض بالسلام»[٣].

لكن غايات الجماعة لم تتوقف عند هذا الحد، كان الموقف من الأراضى العربية المحتلة، وحشد الأنصار والمتعاطفين من أجل الضغط على الدولة لإتمام عمليات ضمها الفعلى إلى إسرائيل، باعتبارها جزءاً عضوياً من كيان «أرض إسرائيل الكاملة»، هو المدخل فقط إلى ولوج باب خطة واسعة النطاق، واستراتيجية تسعى إلى هز تركيبة النظام من الأعماق، وإنجاز تطور جذرى يستهدف تغيير «الأسس الثقافية والأيديولوجية التى يقوم عليها المجتمع»[٤].

لقد أصبحت «جوش إيمونيوم»، بمنطلقاتها العنصرية، وأيديولوچيتها الفاشية، فى غضون سنوات قليلة، وبحق: «القلة التى تصنع التاريخ»[٥] الإرهابى الجديد، فى المنطقة.

---

(١) المصدر نفسه، ص: ٢٢.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه، ص: ٢٠.
(٤) المصدر نفسه، ص: ٥٢.
(٥) المصدر نفسه.

٢ ـ حيث «يحقق الجنون انتصاره العظيم»

«إنها حركة غير ديمقراطية المسعى وفاشية الأصل»[١].. هذا الوصف الذى أطلقه «يوسى ميلمان» على حركة الحاخام العنصرى «مائير كاهانا»، حركة «كاخ»، يصلح لاستخدامه فى وصف حركة «جوش إيمونيم»، بل هو ينطبق كل الانطباق، بالفعل عليها.

ويتفق «دافيد جروسمان» مع هذا الرأى، بل ويزيد عليه إشارة ذات دلالة إلى مناهج التربية التى تتبعها «جوش إيمونيم»، لخلق أجيال جديدة متأثرة بأفكارها. يقول «جروسمان»: «إن تربية آلاف الصبيان وتنشئتهم فى مستعمرات «جوش إيمونيم» تكفلان بروز الكثير من المجموعات الإرهابية السرية اليهودية فى المستقبل[٢]، وهو الأمر الذى حدث بالفعل، وترتبت عليه نتائج بالغة الخطورة فيما بعد (اغتيال «إسحق رابين» رئيس الوزراء الإسرائيلى السابق، على سبيل المثال).

ويزيد من خطورة هذه الظاهرة، ما يلاحظه المراقبون من ارتفاع نسبة المواليد ارتفاعاً كبيراً فى أوساط عناصر الحركة الأصولية اليهودية، ككل حركة أصولية، وهو ما يعنى ارتفاعاً متزايداً موازياً، لاحتمالات نمو ظواهر الإرهاب والنزوع العنصرى الفاشى فيما بين الشباب حديثى السن داخل الدولة الصهيونية.

وما يهمنا، هنا بالأساس، هو التركيز على انعكاسات بروز هذه الظاهرة تجاه صراعنا المصيرى فى مواجهة الغزوة الصهيونية المكثفة التى تستهدفنا. فلاشك أن جيلاً صهيونياً ـ أصولياً جديداً، سيكون ـ فى العقود القادمة ـ فى مواقع المسئولية ومراكز صنع القرار، مُعَبَّئاً بالأفكار الفاشية والرؤى الأسطورية العنصرية، مُدججاً بالسلاح والكراهية، سيمثل بؤرة شديدة

(١) يوسى ميلمان، مصدر سبق ذكره، ص: ١٨٦.

(2) DAVID GROSSMAN, Don't Have So Much Mercy On Them, Koteret Rasheit, Israel, No. 230, April 29, 1987, P. 26.

العدوانية، عنيفة، لا تقبل الحلول الوسط، ولا تؤمن بتقديم أدنى (تنازل)، ولو كان شكلياً. هذا الجيل هو الذى سيتوجب علينا التعامل معه، والتفاعل فى مواجهة أيديولوچيته، ومواجهة نتائج خطواته العملية فى أرض الواقع، وفى إطار رؤيته لنا، وفهمه لتاريخه وتراثه وأساطيره الميثولوچية والدينية أيضاً.

ويؤمن هذا الجيل بالأفكار التى يبثها فى أعماق عقله ووجدانه، نفر من دهاقنة الحاخامات العنصريين، الأصوليين، الذين يمارسون عمليات «غسيل مخ» مكثفة، تستهدف خلق العناصر المناسبة لتنفيذ عمليات الإبادة الجماعية للعرب والفلسطينيين، وأساساً للعرب الفلسطينيين فى الأراضى العربية المحتلة، وفلسطين فى قلبها، وجوهر هذه الأفكار تصدر عن «مماهاة العرب الفلسطينيين، أو العرب إجمالاً بالعمالقة»[1]، أو «العماليق»، الذين كانوا محل تحامل الرواية التوراتية، بعد أن اتهمتهم، فى القرون الغابرة، بمهاجمة الإسرائيليين خلال فترة «التيه»، لذلك، أمر الله، (على ما تقول التوراة)، (الشعب) اليهودى، بأن «يمحو ذكر عماليق» من على وجه البسيطة، وقد عَدَّ اليهود ـ على مر التاريخ ـ كل أعدائهم الكبار من نسل الـ «عماليق»، وتنظر حركة «جوش إيمونيم» إلى العرب من هذا المنظور، فتعتبرهم من سلالة «العمالقة» الذين يتوجب محو ذكرهم من الوجود وهناك عشرات المقالات والكتب التى تشرح وتفسر هذه الأفكار الفاشية العدوانية، وتبرر ـ انطلاقاً منها ـ المواقف العنصرية المعادية ـ راديكالياً ـ للعرب، ولعل «حاييم تسوريا» كان الأبرز، فى هذا المجال، حينما عَبَّر ـ بدقّة وتركيز ـ عن أصول هذه الرؤية ومضمونها: «ثمة فى كل جيل «عمالقة»، أما عمالقتنا فهم العرب الذين يعارضون انبعاث وجودنا القومى، فى أرض أسلافنا»[2].. «إن محاربة العرب ـ يقول الحاخام «ش. يسرائيلى» ـ مثلها مثل الحرب المقدسة التى وصفها الحاخام «موسى بن ميمون» بأنها يجب أن تُشن ضد ثلاثة:

(١) إيان لوستك، مصدر سبق ذكره، ص: ١٤٦.

(٢) المصدر نفسه.

«العماليق»، والشعوب السبعة، ولمساعدة إسرائيل ضد أى جيش أجنبى يعتدى عليها»[1]، أما الحاخام «ليفنجر»، المرشد الروحى لـ «جوش إيمونيم»، فحينما سُئل: «ماذا تقترح عمله إزاء العربى الذى يرفض أن يكون مواطناً خنوعاً، بل يريد لنفسه دولة يعيش بها سيد نفسه؟.» أجاب: إن العربى (أى الفلسطينى) سيجد مكاناً بالطبع فى إحدى الدول العربية التى يتمتع فيها العرب بالسيادة»[2]، وهو إعلان صريح بتبنى فكرة «الترانسفير»، والتى تعتمد على طرد «كافة» العرب (الفلسطينيين) من وطنهم، وتوطينهم إكراهاً فى البلدان العربية المحيطة.

أما الحاخام «فايزر»، فقد رد على سؤال جندى له حول «طهارة السلاح إبان الحرب»: «إن الأمر يختلف إذا كان الأمر يتعلق بمعاملة أجنبى (أى عربى).. الذى يجب قتله، ولو شَكَّلَ ذلك مخالفة للقوانين العسكرية»[3]، وتُصِّرُ أدبيات الحركة ونشراتها على أنه «لا ثقة بالعرب حتى بعد موتهم بمائة عام»[4]، وعلى أن «العربى الجيد هو العربى الميت»[5].. وهلمَّ جرا.

رؤية مشتركة:

والحق أن هذه الرؤية «الأصولية» للعرب، وكيفية «التعامل» معهم، ليست حكراً على الاتجاه الموصوم بالتطرف فى الحركة الدينية اليهودية، بل هى ـ إلى حد كبير ـ سمة عامة تنتشر منهجيتها لدى أغلب الدعاة المتزمتين فى الحركة الدينية/ الصهيونية، الرسمية منها وغير الرسمية، وفى أحسن الأحوال، فإن أولئك الذين يُكَرهُون على الاعتراف بـ «دين إسماعيل» باعتباره عبادة «ليست غريبة»، بحيث يمكن لمعتنقيها البقاء فى «أرض إسرائيل» حسبما تنص مفاهيم الشريعة، «الهالاخاه»، يضعون شروطاً مُذِّلةٌ ينبغى على أتباع هذا الدين «أى المسلمين»، الالتزام بها، **أولها** : أن يعترفوا بالسيادة

(١) دانى روبنشتاين، مصدر سبق ذكره، ص: ٢٠.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٤٧.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٧٧.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٥٠.

(٥) المصدر نفسه.

المطلقة لإسرائيل، وأن يُسَلِّمُوا بحكم شعب إسرائيل وأن يُخلصوا لدولته **وثانيها** : أن «لا يرفعوا رؤوسهم فى إسرائيل»، تطبيقاً لإرشادات «موسى ميمون»[1] الكليِّة الاعتبار، كمرجعية أساسية لدى أشياعه من الحاخامات، ومع هذا فلأن العرب «الإسماعيليين» لا يوافقون على سيادة إسرائيل، وينكرونها، فلقد حق عليهم ألا «يتمتعوا» بهذه الميزة، ووجب طردهم، أو استباحة دمهم، تطبيقاً لوصية «الحاخام الرئيسى للجيش الإسرائيلى» (الرسمى)، «شلومو جورين» الذى طالب جنوده بألا يرحموا (القتلة)، رجالاً ونساءا وأطفالاً»... و«القتلة» كانوا مُخَيَّماً للاجئين الفلسطينيين المسالمين، «المروَّعين بنتائج حرب ١٩٦٧، فى المنطقة التى كانت تحت السيطرة الأردنية قبل الحرب»، على نحو ما يصف «دانى روبنشتاين»، فى كتابه[2]، وهو الذى يؤكد فيه أيضاً، بشكل قاطع أن «جميع المشاريع الاستيطانية التى أُقيمت فى الضفة الغربية، من قبل حركة «جوش إيمونيم»، تحصل على المال من مصدر واحد: هو حكومة إسرائيل[3].

إن هذه الرؤية المريضة، التى تشبه هلوسات مختل عقلياً، مُشَبّع بفكرة إجرامية تتملكه تَمَلُّكاً، وتأخذ عليه جماع نفسه، تفسر لنا خلفيات مقولة البروفيسور «دافيد بلوسر»: «من الواضح الآن أن اليهود المتدينين مصابون - أكثر من غيرهم - بعدوى حملتها إليهم جرثومة الوطنية المؤمنة بظهور المسيح... فهناك فى أوساط المتدينين، يحقق الجنون انتصاره العظيم»[4].

٣ - «جوش إيمونيم»: من الجنون إلى الإبداع

أُسست حركة «جوش إيمونيم»، على ماهو ثابت، عقابيل الزلزال الذى هز إسرائيل من جرّاء نتائج حرب أكتوبر، «يوم كيبور»، عام ١٩٧٣، غير المتوقعة، والتى جاءت متناقضة مع الروح السائدة والمنتشية بنصر يونيو ١٩٦٧ الساحق. إنها حركة «انبثقت من حال الإحساس بفقدان الاتجاه، التى أعقبت حرب

(١) المصدر نفسه، ص:٤٧.
(٢) المصدر نفسه، ص:٩٠.
(٣) المصدر نفسه، ص:٤٥.
(٤) المصدر نفسه، ص:٨١.

١٩٧٣: لقد حدث ضياع للروح المعنوية داخل المجتمع الإسرائيلى، وقد مهّد ذلك السبيل أمام انبثاق الحركة الأكثر تطرفاً»[1]، واستهدفت ـ على نحو ما أشار عضوها المؤسس «حنّان بورات» ـ «السير قدماً بصهيونية الخلاص»[2].

فعلى عكس التيار التقليدى الحركة الدينية اليهودية، والذى آمن بأن بناء «الهيكل» مهمة موكولة إلى «الرب فى سماه»، فَسَّرَ دعاة «جوش إيمونيم»، وأترابهم من غلاة المتطرفين اليهود، نتائج ١٩٦٧ تفسيراً مغايراً بصورة قاطعة، واعتبروا أن الخيانة بعينها هى التنازل عن أى شبر من «أرتز يسرائيل» (أرض إسرائيل!) (المحررة)، بعد ما عادت إلى حظيرتهم، ودعوا إلى فكرتهم المركزية التى تدور حول الاحتفاظ بكل «أرض إسرائيل» بأبعادها التوراتية، ونشر حركة الاستيطان اليهودى، «الطليعى»، فى ربوعها، فـ «الهتخلوت»، (الاستيطان)، من وجهة نظرها، هو السبيل العملى لتحقيق غاياتها «الأصولية» فى التعجيل بالخلاص، وإعادة بناء الهيكل، تحقيقاً لوعود الإله فى نصوصه المقدسة، وارتكزت فلسفتها على رؤية بسيطة مفادها أن «ما أن تُقام مستوطنة فلن يتم أبداً التخلى عنها»[3]، ومن هنا بدأ سيل المد الاستيطانى للحركة انطلاقاً من مستوطنة «كيشيت»، (القوس)، التى أنشأتها فى مرتفعات الجولان، السورية المحتلة عام ١٩٧٤، ومروراً باستيطان منطقة «سبسطية»، التي مَثَّلَتْ أول «موطئ قدم للحركة فى الضفة الغربية»[4] المحتلة.

وقد نجحت حركة «جوش إيمونيم»، بالتوافق مع باقى التوجهات الاستيطانية للدولة، وللأحزاب والقوى السياسية الدينية الإسرائيلية الأخرى، فى تحقيق إنجازات فعلية فى هذا السياق، فبحسب دراسة حديثة، أُعِدَّتْ عن «المستوطنات فى الأراضى العربية المحتلة»، تأكد أن عدد المستوطنين ـ فى الأراضى العربية المحتلة ـ قد ارتفع من «بضعة آلاف» فى آواسط السبعينات

(١) ديفيد نيومان، الاستيطان الصهيونى: دور جوش إيمونيم، بيروت، كمبيو نشر للدراسات والإعلام والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩١، ص:٤٥.

(٢) إيان لوستك، مصدر سبق ذكره، ص:٥٤.

(٣) ديفيد نيومان، مصدر سبق ذكره، ص:٤٨.

(٤) المصدر نفسه، ص:٤٩.

(تاريخ بدء نشاط «جوش إيمونيم»)، إلى أكثر من ربع مليون مستوطن فى أواخر عام ١٩٩١، كما وصل عدد المستوطنات الإسرائيلية في هذه الأراضى، خلال نفس العام إلى ما يزيد عن ٢١٠ مستوطنة، وبلغت نسبة الأراضى العربية التى استولت عليها إسرائيل أكثر من ٥٠ ٪ من إجمالى المساحة الكلية للأراضى العربية المحتلة عام ١٩٦٧، وفى تقرير صادر عن اللجنة التابعة للمجلس الاقتصادى والاجتماعى فى «الأمم المتحدة» ما يفيد أن مساحة الأراضى التى استولت عليها إسرائيل، فى الضفة الغربية، منذ عام ١٩٦٧ وحتى عام ١٩٩٠، بلغت حوالى ثلاثة ملايين دونم، أو ما يعادل ٥٣,٦ ٪ من إجمالى مساحة الضفة الغربية، وحوالى ١٥٤ ألف دونم من قطاع غزة (ما يعادل ٤٢,٣ ٪ من إجمالى مساحة القطاع)، فيما تجاوزت المساحة المستولى عليها ثلثى المساحة الكلية لمرتفعات الجولان المحتلة (٦٩ ٪)، وإضافة لذلك فقد أصدرت السلطات الإسرائيلية، يوم ٦/٣٠ /١٩٩١، أمراً يقضى بـ «إغلاق» مليون دونم من أراضى الضفة المحتلة لـ «دواعٍ أمنية»[١].

وكانت «جوش إيمونيم» إحدى الكتل السبّاقة فى النشاط الاستيطانى بالأراضى العربية المحتلة، وقد تركزت مستوطناتها فى تلك المواقع التى تتهرب من غزوها الجماعات والمشاريع الاستيطانية الأخرى، إما لصعوبات الحياة فيها، أو لمخاطر التواجد وسط حشود عربية معادية، وبدا أن هدف «جوش إيمونيم» من هذا الأمر هو «محاولة سد الثغرات في المشاريع الاستيطانية الأخرى، حيث تقوم منظمة «جوش إيمونيم» بزرع المستوطنات بين القرى أو أماكن التجمع السكانى العربى فى المرتفعات»[٢].

---

(١) د. عمران أبو صبيح، دليل المستوطنات الإسرائيلية فى الأراضى العربية المحتلة، عمان ـ الأردن، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، طـ١، ١٩٩٣، ص:١٣ ـ ١٤.
ومن المهم ملاحظة أن أعداد المستوطنين، ومساحات الأراضى المنتزعة من الشعب الفلسطينى لإنشاء مستعمرات صهيونية فوقها، قد تضاعفت على امتداد العشرين سنة التى تفصل بين تاريخ إصدار هذه الإحصاءات وتاريخ الطبعة الثانية لهذا الكتاب.

(٢) عبد الرحمن أبو عرفة، الاستيطان: التطبيق العملى للصهيونية، عمان ـ الأردن، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، طـ١، ١٩٨٦، ص: ١٧١.

خطط «جوش إيمونيم» الاستيطانية

طرحت «جوش إيمونيم» مجموعة من الخطط والبرامج الاستيطانية المتكاملة، منذ أن بدأت تمارس نشاطاتها في هذا المجال، بحلول منتصف السبعينيات، وأهمها: مشروع «توطين المليون يهودى» الذي قدمته «جوش إيمونيم» فى ١١ فبراير ١٩٧٦، واستهدفت من خلاله توطين مليون يهودى فى مائة موقع عبر مختلف أرجاء الضفة الغربية على مدى عشر سنوات، ووصفت «جوش إيمونيم» مشروعها هذا بأنه «مشروع لما سوف تكون عليه إسرائيل فى العقد الرابع من عمرها، فبينما كانت العقود الثلاثة الأولى فترات هجرة، واستيطان ودعم زراعى وتنمية صناعية، فسوف يشهد العقد الرابع استيطاناً للجبال»[1]، وقد استهدفت هذه الخطة تلبية الحاجة إلى السيطرة الاستراتيچية، وإحاطة المواقع التاريخية اليهودية بسياج من المستوطنين، لكن هذه الخطة «لم تلق غير اهتمام قليل من جانب الحكومة (العمالية)»[2]، التى كانت قائمة آنذاك، لاختلاف أولياتها، على نحو ما يذكر «ديفيد نيومان»، غير أن نقطة التحول الفاصلة في مشاريع «جوش إيمونيم» الاستيطانية، كان وصول «الليكود» إلي الحكم عام ١٩٧٧، فى إطار حكومة (يمينية) حكمت إسرائيل لأول مرة في تاريخها، وقد انتُخبت حكومة «مناحم بيجن» على أساس برنامج انتخابى، وعدت الحكومة عبر بنوده بأن «تخطط وتقيم وتشجع الاستيطان الحضرى والريفى على (أرض الوطن)[3]، وقد تلاقت أفكار الحركة، مع أفكار الحكومة اليمينية، ورمزها «آريئيل شارون»، الذى ترأس «اللجنة الوزارية للاستيطان»، بعد أن أعلن بوضوح أن «سياسة الحكومة تتمثل فى تحقيق استيطان واسع فى «يهودا» و«السامرة»، (الضفة الغربية والقطاع)»[4]، وفى إطار تقويمه الإيجابى لأعضاء «جوش

(١) ديفيد نيومان، مصدر سبق ذكره، ص:٥١.

(٢) المصدر نفسه، ص:٥٢.

(٣) المصدر نفسه، ص:٥٢.

(٤) المصدر نفسه.

إلى مونيم» الذين وصفهم بأنهم «طلائعيين كبار، وهم «ملح» هذه البلاد، وأملها الكبير»[١].

وقد قدمت «جوش إيمونيم» بعد فوز الليكود «خطة عاجلة» للاستيطان إلى الحكومة، اقترحت بموجبها بناء اثنتى عشر مستوطنة جديدة فوراً، على طول السلسلة الجبلية لـ «يهودا والسامرة» وإضفاء الشرعية على المستوطنات (المؤقتة)، القائمة وإقرار تشريع جديد بشأن وضع وملكية الأرض فى الضفة الغربية[٢]، وهو ما استجابت له الحكومة بإصدارها للقانون المطلوب فى نوفمبر عام ١٩٨١[٣].

ولتحقيق هذه الأهداف، أنشأت «جوش إيمونيم»، قسماً خاصاً للاستيطان بها، عُرف باسم «أمناه» (الميثاق)، يتألف من «أشخاص مهتمين بالأطر الاستيطانية وحدها»[٤].

كذلك قدمت الحركة (فى يونيو ١٩٨٠) خطة استيطانية تضمنت إنشاء ١٥ مستوطنة جديدة بالضفة، إضافة إلى خمس مستوطنات أخرى حول مدينة القدس، مع ثلاث مستوطنات مركزية «للسيطرة على مفارق الطرق: «نابلس ـ جنين ـ طولكرم»، إضافة إلى إقامة ثلاث مدن فى جنوب «نابلس، الظاهرية، الخليل»، وتوسيع مستوطنات عديدة مقامة، بهدف زيادة قدرتها الاستيعابية من ١١٩٥ عائلة إلى ٢٧٤٠ عائلة حتى نهاية عام ١٩٨١، ينضم إليها ٢٨٤٤٠ عائلة يتم استيعابها فى المستوطنات الجديدة فى نفس الفترة، لتحقيق هدف أبعد هو توطين من ٧٥٠ ألفاً إلى مليون مستوطن فى الضفة الغربية[٥]، ومن أجل تحقيق «الأهداف الأمنية» المتمثلة فى:

---

(١) عبد الرحمن أبو عرفة، مصدر سبق ذكره، ص: ١٧١.

(٢) ديفيد نيومان، مصدر سبق ذكره، ص:٥٤.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٥٨. (٤) المصدر نفسه، ص: ٥٨ ـ ٥٩.

(٥) عبد الرحمن أبو عرفة، مصدر سبق ذكره،ص:١٧٢.

١ ـ المحافظة على عمق «البلاد» من نهر الأردن وحتى الساحل الشمالى.

٢ ـ السيطرة على سلسلة الجبال فى الضفة الغربية.

٣ ـ السيطرة والإشراف على وادى الأردن.

٤ ـ إنشاء شبكة كبيرة من الطرق، تسمح بالحركة العسكرية السريعة، ولتنفيذ هذه الأهداف تدعو الخطة إلى «نسف» الكتل السكّانية العربية[١].

لقد حققت «جوش إيمونيم» نجاحاً ملحوظاً فى مساعيها الاستيطانية ونجحت فى أن تكتسب «الاعتراف» بها، فى ظاهرة نادرة لجماعة بدون تمثيل برلمانى أصبحت تؤثر فى سياسات الحكومة والهيئات العامة[٢]، ومع حلول منتصف الثمانينيات دخلت حركة «جوش إيمونيم» طور الانحلال، ومرت بمرحلة من الانشقاقات والصراعات أثرت فى حيويتها، وتبعثرت قيادتها على عدة جماعات وأحزاب سياسية، ولم يبق يعمل بفاعلية من بين مؤسساتها، (وربما هذا أيضاً له دلالة) سوى هيئة الاستيطان بها (حركة أمناه)، وانتقل لواء التعصب الاستيطانى نقلة أكثر فعالية وأشد خطراً إلى الدولة نفسها، حيث تبنته رسمياً، كسياسة معترف بها، بمؤسساتها وأشخاصها، ففى البداية «تنافس وزراء حكومة الليكود مع بعضهم البعض لصالح المستوطنين والاستيطان بوجه عام»[٣]، ثم بعد ذلك تنافس «التجمع»، العمالى، مع الليكود على هذا المضمار أيضاً.

مصادرات «السلام»

بل وحتى حينما تم توقيع «اتفاق غزة ـ أريحا»، وانضم الطرف الفلسطينى إلى مسيرة (السلام) الأمريكية ـ الإسرائيلية، كان تمسُّك

(١) المصدر نفسه.

(٢) أليشع إنعيرات (البروفيسور)، الاستيطان الإسرائيلى: جغرافيا وسياسياً، عمان ـ الأردن. دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، طـ١، ١٩٩١، ص:٧٢.

(٣) المصدر نفسه، ص:٧٢ ـ ٧٣.

إسرائيل ببقاء نحو ١٤٠ مستوطنة فى قطاع غزة والضفة الغربية المحتلة، حتى يتقرر مصيرها فى مباحثات الوضع النهائى، دليلاً على استمرارها فى سياستها المتبناه، وفى تقرير لبعثة تقصى الحقائق، التابعة لـ «منظمة العمل الدولية»، عن «الأوضاع فى قطاع غزة والضفة الغربية المحتلة، كُشِّف الستار عن أن إسرائيل «أخضعت لسيطرتها، بشكل تدريجى حتى نهاية عام ١٩٩٤، نحو ٧٣٪ من مساحة الضفة والقطاع بمقتضى أوامر عسكرية، (٥٤)٪ منها أراضى دولة، (٢٠)٪ لدواعى الأمن، (١٢)٪ ممتلكات «الغـــائبين»، (١٢)٪ للأغراض العامة بإجمالى أراض مساحتها خمسة ملايين و٥٧٣ ألف دونم فى الضفة بما فيها القدس الشرقية، و٣٦٧ ألف دونم فى قطاع غزة، كما أكد التقرير أن ١٨٦ مستوطنة إسرائيلية فى الضفة و٢٠ مستوطنة فى غزة، و١٤١ ألف مستوطن فى الضفة و١٦٠ ألفاً فى القدس ٢٠ ألفاً فى غزة «يشكلون تهديداً للسلام»[١].

وتذكر دراسة حديثة لـ «مجلة الدراسات الفلسطينية»[٢]، أن عدد المستوطنين قد بلغ (عام ١٩٩٥) مائة وعشرين ألف شخص، يضاف إليهم نحو مائة وثمانين ألفاً فى «الأجزاء المضمومة من القدس»، كما ذكرت صحيفة «هاآرتس» الإسرائيلية أن معدل المصادرات الصهيونية للأراضى العربية، بين توقيع اتفاق أوسلو، وتوقيع اتفاق القاهرة (فى مايو ١٩٩٤)، قد بلغ ٨٦٣٠ دونما فى الشهر الواحد[٣].

ويقول «خليل السواحرى» الكاتب الفلسطينى الذى عاد إلى «الوطن» مجدداً بعد توقيع الاتفاقية الإسرائيلية ـ الفلسطينية: «إن الوطن لم يكن هو الوطن الذى غادرته قبل أربعة وعشرين عاماً، لقد ازداد هذا الوطن ابتعاداً وازداد اغتراباً. تمزقت أشلاؤه بالمستوطنات، وأصبح شوارع أو مناطق جرداء،

(١) جريدة «الحياة» الدولية، لندن، ١٩٩٥/٧/٣١.

(٢) مجلة الدراسات الفلسطينية، بيروت العدد (٢١)، شتاء، ١٩٩٥، ص:١١٤ ـ ١١٥.

(٣) جريدة هاآرتس، الإسرائيلية، ١٩٩٥/١/١٠.

أو آهلة بالسكان، تفصل بين مستوطنة وأخرى. المستوطنات تتربع على صدور الوطن فى كل مكان. وحيثما تقع العين على امتداد الطريق بين أريحا وبيسان، أو بين القدس والخليل، أو بين القدس ورام الله، أو حول القدس نفسها من كل اتجاه: **«عدنا إلى الوطن ولكن الوطن لم يعد إلينا، ولم يعد لنا»**(١).

«جوش إيمونيم»: من الجنون إلى الإبداع

لقد تلاشت «جوش إيمونيم» بعد أن آدت وظيفتها. لقد صارت بدعاويها الاستيطانية جزءاً عضوياً من النظام، وتحولت عقيدتها إلى عقيدة رسمية تتبناها الدولة بأجهزتها ومؤسساتها وأحزابها ووسائل إعلامها، لقد هيمنت منطلقات «جوش إيمونيم» على مجمل مؤسسات الدولة الحركة الصهيونية، وأصبحت نخبة الأصوليين، وأفكارهم «جزءاً من المشهد السياسى الإسرائيلى المألوف»(٢)، وقادت هذه النخبة النظام السياسى فى إسرائيل إلى مأزق تاريخى، من الصعوبة بمكان إيجاد مخرج منه: فإسرائيل لا تستطيع ابتلاع كل الأراضى المحتلة لأسباب دولية ومحلية، وهى فى الوقت ذاته أصبحت مرتبطة بحركة أخطبوط الاستيطان المسعور، الذى أطلقت سُعاره جماعة «جوش إيمونيم» وغيرها من الجماعات الاستيطانية الدينية أو الصهيونية.

لقد نجحت «جوش إيمونيم» مراراً، بالفعل، على حد قول «دورون روزنبلوم»، فى تحويل «ما هو إجرامى إلى ما هو ضرب من الجنون، وما هو جنون إلى ما هو مستغرب، والمستغرب إلى ما هو خطأ، وما هو خطأ إلى ما هو جيد، وما هو جيد إلى ما هو ممتاز، وما هو ممتاز إلى ما هو أمر واقع، والأمر الواقع إلى رأى يحوز الإجماع»(٣).

---

(١) مجموعة الوطن بين الحلم والواقع: فلسطينيون يصفون عودتهم إلى فلسطين وعودتهم منها، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد (٢١)، شتاء، ١٩٩٥، ص:١٢٤ ـ ١٣٣.

(٢) ايان لوستك. مصدر ذكره، ص: ١٩٧.

(3) BORON ROSENBLUM, The Temple Mount Will Be Blown Up, Koteret Rasheit, Israel, No. 131, June 5, PP.20 - 21.

القـدس

«إن القـدس هـى مـركـز العـالم، إنهـا قلب العـالم، ومـا يحـدث فيها هـو حـرب روحية سِرّية تؤثر على مصير العالم كله».

الأب «مارسيل دويبوس»

راعى كنيسة القديس قزحيا فى القدس

الفصل السابع

بناء (الهيكل الثالث): نحو حرب أصولية مقدسة

يُشَكِّلُ الصراع حول قضية «هدم المسجد الأقصى» وبناء «الهيكل الثالث» محله، واحدة من قضايا الصراع الرئيسية بين الدين والدولة، أو السلطة الدينية والأصولية من جهة، والسلطة الدنيوية، أو العلمانية (الصهيونية السياسية) من جهة أخرى، التى تتفاعل تأثيراتها بشدة داخل إسرائيل وخارجها.

وهى قضية شديدة الأهمية ـ فى انعكاساتها المباشرة ـ على أوطاننا، لما يُشَكِّلُهُ هذا الموقع الفريد، الذى يدور حوله الصراع، من أهمية قصوى لمقدسات أتباع الديانات الثلاث: اليهودية والمسيحية والإسلام.

وتمثل هذه القضية معضلة مثلثة الأبعاد، أطرافها: الصهيونية السياسية (المحلية والعالمية)، ثم الأصولية اليهودية، من جهة، والعرب من جهة أخرى.

والعلاقة بشأن هذا الأمر بين الطرفين الأولين (اليهود الإسرائيليين)، هى علاقة وحدة وصراع بين أطراف معسكر واحد، أما العلاقة بينهما وبين الطرف الثالث فهى علاقة تناقض استراتيجى، عدائى، حَلُّه ليس بالسهل اليسير، وقد يُفَجِّرُ دوامة من التوترات والتفجرات، التى لا قِبَلَ لأحدٍ على توقع مجرياتها أو نتائجها.

وجوهر الأزمة تتمثل فى أن القوى الأصولية اليهودية تستهدف هدم المسجد الأقصى لبناء «الهيكل الثالث» مكانه، بزعم أن المسجد بُنى فوق أنقاض الهيكل، وفى نفس موقعه، وهى ترى فى هذا الأمر مسألة محورية فى توجهاتها، فهى أساس من أسس معتقداتها التوراتية، لا سبيل إلى

تجاوزه، ولا مهرب من تنفيذه، أو مخرج للتحلل من الالتزام به.. إنها قضية مركزية جوهرية بالنسبة إلى التاريخ والشريعة اليهوديين، ملزمة لكل يهودى مؤمن بالتعاليم التوراتية إلزاماً لا يقبل التأجيل: «فلئن كنا من أجل العودة إلى أرض إسرائيل الكاملة، ومن أجل إقامة الدولة، قد استعجلنا قدوم المخلِّص، فيجب علينا، بالمنطق نفسه، أن نبنى الهيكل الآن»[1].

فذلكة تاريخية:

يمثل هيكل سليمان موقعاً مقدساً لدى اليهود يشبه ما لمكَّةَ عند المسلمين. ويقول سفر الملوك الأول: «إنه فى السنة الأربعمائة والثمانين لخروج بنى إسرائيل من أرض مصر، (حوالى سنة ٩٦٠ ق. م)، وفى السنة الرابعة من مُلك سليمان على إسرائيل، وفى شهر «زيو»، وهو الشهر الثانى، بنى «سليمان» البيت للرب، وكان البيت الذى بناه الملك سليمان» للرب ستين ذراعاً طولاً، وعشرين عرضاً، وثلاثين ذراعاً ارتفاعاً» (سفر الملوك الأول ٦: ١ ـ ٣٦).

ثم يصف سفر الملوك مكونات البيت وأحجاره وغرفه وسلالمه.. إلخ، تحقيقاً لـ كلام الرب إلى سليمان»: «هذا البيت الذى أنت بانيه، إن أنت سرت على فرائضى وعملت بأحكامى وحفظت جميع وصاياى، سائراً عليها، فإنى أحقق معك كلامى الذى كلمت به «داوود» أباك، وأقيم فيه فى وسط بنى إسرائيل، ولا أترك شعبى إسرائيل» فبنى «سليمان» البيت بأكمله. (سفر الملوك الأول ٦: ١١ ـ ١٤).

وفى قلب البيت تم تهيئة المحراب، قدس الأقداس، حيث حمل الكهنة ـ بحضور شيوخ إسرائيل ـ «تابوت العهد»* وخيمة الموعد (التى نصبها داود

(١) نظر «افتتاحية مجلة «نيكوداه»» (النقطة ـ Nekuda)، (صوت الأصوليين اليهود المتطرفين)، إسرائيل، عدد سبتمبر ١٩٨٦.

* تابوت العهد: يصف سفر الخروج (٢٥: ١٠ ـ ١٦) بالتفصيل مكونات «تابوت العهد» المصنوع من خشب السنط، المكَفّت بالذهب، كما يصف زينته (المستوحاة من تأثيرات فرعونية وبابلية)، حيث توضع دخله «الشهادة» وهى ترجمة مأخوذة عن «أدوت» -

لإيواء التابوت) ووضعوها فيه، ويقول «سفر الملوك» إن التابوت لم يكن فيه إلا لوحا الحجر اللذان وضعهما فيه موسى، فى حوريب، حيث عاهد الرب بنى إسرائيل، عند خروجهم من أرض مصر (سفر الملوك الأول ٨: ٢٠١)، ثم بعد أن اكتمل بناء الهيكل وتلبيسه بالذهب وخشب الأرز ونُقِلَ تابوت العهد والخيمة إلى محرابه، تقول القصص التاريخية اليهودية أن اللّه «تسلم هيكله» حين تجسد مجده على هيئة غمام ملأ البيت، حينئذ قال سليمان:

«قال الرب إنه يسكن فى الغيم المظلم

وإنى قد بنيت لك بيت بهاء

مكاناً لسكناك للأبد» (سفر الملوك الأول ٨: ٣).

وفى سفر «الخروج» تفاصيل دقيقة لأثاث الهيكل: ديكوراته، وأدواته ومذبحه، وأقمشته، وزينته، وثياب كهنته، والذبائح المقدمة على أعتابه ومغسلته وأبخرته.. إلخ.

لقد أصبح الهيكل موقعاً مقدساً لدى اليهود، ومركزاً للحكم، ومحطاً للأنظار، حيث بُنى إلى جواره قصر «الملك سليمان» ومبانٍ عموميةٍ أخرى «وهو أمر عادى فى (كيان) لم يجر فيه الفصل بين الدينٍ والدولة آنذاك، حيث الملك نفسه كان هو السلطة الدينية العليا فى البلاد أيضاً»[1].

ويرى «ول ديورانت» فى «قصة الحضارة، جـ١، ص (١٤)،» أن «طراز الهيكل هو الطراز الذى أخذه الفينيقيون عن مصر، وأضافوا إليه عن

= التى تعنى كلمة مصطلح عليها، تدل على بنود المعاهدة المفروضة من السيد الإقطاعى على أمينه، والشهادة هنا هى الوصايا العشر المكتوبة على لوحى حجر، يسميان أحياناً «لوحى الشهادة»، وبناء على ذلك يسمى التابوت «تابوت الشهادة» أيضاً.

انظر «الكتاب المقدس»، كتب الشريعة الخمسة: التكوين ـ الخروج ـ الأحبار ـ العدد ـ تثنية الاشتراع ـ بيروت، دار المشرق ١٩٨٤، ص: ١٩٦.

(١) د. أحمد هيبي، هل يحدث انقلاب عسكري في إسرائيل؟، القاهرة، ستار برس للطباعة، ١٩٩٢، ص: ٨٨.

الآشوريين والبابليين ومن ضروب التزيين».. ثم يضيف أن بناء الهيكل عُدَّ «أهم الأحداث فى ملحمة اليهود، فإنه لم يكن بيتاً ليهوه (اسم الله عند اليهود) فحسب، بل كان أيضاً مركزاً روحياً لليهود، وعاصمة لملكهم، ووسيلة لنقل تراثهم، وذكرى لهم، تتراءى لهم طوال تجوالهم الطويل المدى على ظهر الأرض، ولقد كان له شأن فى رفع الدين اليهودى من دين بدائى متعددة الآلهة، إلى عقيدة راسخة، غير متسامحة»(١).

وقد دُمِّرَ هيكل سليمان، كما يحكى التاريخ اليهودى، مرتين:

الأولى: حينما «أوعز الله بهدمه (والرب الوثنى القديم كان يغضب ويثور لأتفه الأسباب ـ كما يقول د. أحمد وهيبى)، بعد أن نَقِمَ على «سليمان» لأنه لم يحفظ العهد ويأتى الفرائض المقررة، فلقد قرر الرب معاقبته بتمزيق مملكته على يد ابنه (إلى دولتين هما: «يهودا» التى استمرت تضم القدس والهيكل، و«دولة إسرائيل» إلى الشمال منها)، ثم قرر الرب هدم الهيكل بجريرة أحد أحفاد «سليمان»، وبواسطة «نبوخذ نصر»، الملك الآشورى، «الذى احتل أورشليم وأجلى اليهود عنها وهدم الهيكل بعد ٤٠٠ سنة من بنائه، عام ٥٨٦ ق. م»(٢).

وحينما ساد الملك الفارسى «كورش» المنطقة، سمح لليهود بالعودة إلى فلسطين بعد أن احتلها عام ٥٣٩ ق. م، وصرح لهم بإعادة بناء الهيكل واسترجاع أدواته وآجهزته التى أخرجت معه، وصودرت مع المستعبدين اليهود، فى فترة السبى.

وفى عام (٦٦ ـ ٧٣ ميلادية) حدث تمرد ضخم لليهود ضد حكم روما، انتهى بتدمير أورشليم ومعها الهيكل نفسه الذى خُرِّبَ عام ٧٠ ميلادية، وأُبيدَ فى معارك تصفية هذا التمرد نحو ربع السكان اليهود أيضاً، ومن بعد هذه الواقعة المفجعة، والتى تلتها مجزرة أخرى لقمع العصيان الذى قاده

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٩٢.

«سيمون باركوخبا»، (١٣٢ ـ ١٣٥ للميلاد)، وخَلَّفت ما يزيد على نصف المليون من القتلى، وتم تشتيت الكثيرين من جرائها، ترسخ فى الاعتقاد اليهودى ما عَلَّمَهُ لهم الحاخامون المتوجسون من إعادة الكرّة مرة أخرى، بما تستتبعه من ويلات، حيث طرحوا فكرة أن الشعب اليهودى قد أخذت عليه مواثيق مؤكدة بألا «يحسب نهاية الزمان، ولا أن يسعى لتعجيل أجلها، أو أن ينظم العودة الجماعية إلى أرض إسرائيل بالقوة»[1]، وجاءت هذه الأفكار رداً على التصورات التى ربطت بين «باركوخبا» و«المسيح المنتظر»، وبين تمرد الأول وعملية الخلاص المفترض بأن يأتى بها الأخير.. كذلك أشاع الحاخاميون، وانتشرت فى الأوساط اليهودية المتدينة، النظرة التى تقول أن هيكل سليمان المرتقب لن يُبنى على الأرض، وإنما سيهبط من الجنة، أى من السماء كاملاً، مجللاً بالمجد.. ومن هنا كان الرفض الذى ساد الأوساط اليهودية الخالصة التدين للفكر الصهيونى، الذى يسعى إلى اصطناع عملية الخلاص، ولفكرة إعادة بناء الهيكل مادياً فى أرض الواقع، وكان الخلاف المستند إلى هذه المنطلقات أحد الأسباب التى تكمن خلف رفض مواقف الصهيونية، من قِبَلِ بعض المتدينين اليهود، والتى لازالت قائمة حتى الآن.

وكما هو معلوم فإن الأصوليين اليهود يدَّعون أن الموقع الذى كان مقراً لهيكل سليمان هى المنطقة المشيد فيها المسجد الأقصى، ويزعمون أن «حائط البراق» الشهير الذى يؤمن المسلمون أن المحل الذى ربط فيه جبريل براق الرسول ﷺ ليلة معراجه إلى السماء (الحائط الغربى للحرم المقدس) هو جزء أثرى من الهيكل المدمَّر وآخر بقاياه، رغم أن التحقيقات التاريخية، ومنها تلك التى أجرتها لجان التحقيق البريطانية عقب الصدامات الدامية بين العرب واليهود عام ١٩٢٩، خلال ما عرف بـ «هَبَّةِ البراق». قد أثبتت بما لا يدع مجالاً لشك، كذب هذا الادعاء، وتأكدت من أن هذا الحائط ـ الذى يبلغ طوله ١٥٦ قدماً وارتفاعه ٥٦ قدماً ـ هو ملكية مطلقة للمسلمين، وهو

(١) إيان لوستك، مصدر سبق ذكره، ص: ٣٠.

ما أكده تقرير اللجنة الدولية، المشكَّلة بقرار من «عصبة الأمم» عام ١٩٣٠، حيث أقرت استناداً إلى التحقيق، أن «حق ملكية حائط البراق، وحق التصرف فيه، وفى ما جاوره، عائد للمسلمين، وهو ملك للمسلمين لأنه جزء لا يتجزء من الحرم، كما أن الرصيف الذى يحاذى الحائط، إنما أقيم لمرور سكان المنازل الخاصة التى يقيم بها المغاربة، كما ثبت للجنة أن المنطقة التى تحتوى الرصيف المذكور أوقفها على المسلمين الملك «الأفضل بن صلاح الدين» سنة ١١٩١ ميلادية»[١].

نظرية «إعمال يد الله»:

وبعد أن سقطت القدس (عام ١٩٦٧) كاملة فى أيدى الدولة الإسرائيلية، تنامت الدعوات، التى تبناها غلاة الأصوليين اليهود، والتى تبرر عملية إعادة بناء «الهيكل الثالث» دونما انتظار لهبوطه من السماء، فيما أطلقوا عليه نظرية «إعمال يد الله».

وفحوى هذه النظرية هو السعى إلى «توريط» الرب بالدفاع عن (شعبه) «المختار» إذا احتاج الأمر إلى تدخله!، حيث يتبنى هؤلاء تنفيذ المشيئة الإلهية بالقوة، وما دامت مشيئته تستوجب إعادة بناء الهيكل، فإن نسف المسجد، «الكريه»، المشيَّد فى موقع المعبد المقدس، إذا ما أثار ثائرة المسلمين، وقاموا بهجوم قد يعرض وجود إسرائيل للخطر، لن يترك أمام الرب من خيار «سوى التدخل لإنقاذ شعبه ومدينته المقدسة»[٢].

أمر إلهى

ويُسَوِّغُ الأصوليون اليهود هذه العملية استناداً إلى زعم أنهم يستمدون التعليمات والأوامر «مباشرة من الله»، وعلى أساس شعورهم بأنهم مسئولون

(١) مجلة «الشاهد»، قبرص، العدد (١٠٥)، مايو ١٩٩٤.

(٢) ديفيد لنداو، الأصولية اليهودية: العقيدة والقوة، ترجمة مجدى عبد الكريم، القاهرة، مكتبة مدبولى، ١٩٩٤، ص ٢٣٩.

مباشرة عن تنفيذ تعليماته، «فيهودا عتسيون»، «الناطق الرسمى باسم «أبرز قطاع فى المنظمات اليهودية الإرهابية السرية»، على حد وصف «إيان لوستيك»، وهو من قدماء مستوطنى «عوفرا»، أحد أقدم مستعمرات «جوش إيمونيم» فى الضفة الغربية، صَرَّحَ أثناء محاكمته على دوره فى الاعتداء على رئيسى البلديتين العربيتين، والكلية الإسلامية، وفى المؤامرة لتفجير «جبل الهيكل»، (موقع المسجد الأقصى وقبة الصخرة)، أنه قد رأى نفسه «مسئولاً» عن تنفيذ أعمال، أعدَّها «بمثابة تطهير لجبل الهيكل، المكان المقدس الوحيد لدى شعب إسرائيل، من البنى القائمة الآن عليه فى موقع قدس الأقداس، المبنى المعروف بقبة الصخرة»(١).

وفى مقالات «مسهبة» نشرها فى مجلة «نيكوداه»، ذهب «عتسيون» إلى أن الأمر الإلهى القاضى بأن يبنى اليهود الهيكل، لا يمكن تجاهله، وأن استجابته لأمر الله «المؤلم فى وضوحه»، القاضى أن يفعل ما فعل، شبيهة باستجابة «إبراهيم» واستعداده غير المتردد لأن يضحى بابنه «إسحق» إذا أمره الله بأن يفعل ذلك، «وإن كان إبراهيم لم ير الغاية النافعة أو الراشدة من وراء عمله»(٢).

محاولات

وعلى هدى من التوجيهات الإلهية المزعومة هذه، تعددت محاولات تخريب وتدمير المسجد الأقصى، أو إحراقه، على مر ربع القرن الأخير، على أيدى الجماعات الأصولية اليهودية، بل وتكونت تنظيمات خاصة عديدة احتوى برنامجها نقطة واحدة فقط: هدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل فى موقعه*.

---

(1) Nekuda, Israel, No. 88, June 24, 1985, p. 24.

(2) Nekuda, Israel, No. 75, July 6, 1984, P. 234 & Nekuda Israel, No. 93, November 22, 1985, P. 22.

* مذكورة فى: إيان لوستك، مصدر سبق ذكره، ص ص: ١١٢ ـ ١١٣.

ومن أبرز العمليات التى جرت، منذ عام ١٩٦٧ حتى منتصف عقد التسعينيات الماضى، لتنفيذ هذه الخطة، ما يلى:

- فى الحادى والعشرين من شهر أغسطس عام ١٩٦٩، أشعل مجموعة من المتطرفين اليهود النار بالمسجد الأقصى مما أسفر عن إحراق الجناح الشرقى منه بالكامل، وكذلك إحراق السقف الجنوبى للمسجد ومنبر السلطان نور الدين ومنبر ومحراب صلاح الدين، وقد نفذ عملية الحريق اليهودى من أصل استرالى «مايكل دوهان»، مستعيناً بعصابة إرهابية يهودية.

- فى عام ١٩٧٦ حاول أربعون يهودياً اقتحام المسجد الأقصى وإقامة الصلاة عنوةً فيه.

- فى يناير ١٩٧٧ هاجمت مجموعة يهودية مسلحة بكميات هائلة من المتفجرات، التى يستخدمها الجيش الإسرائيلى، المسجد الأقصى، وقالت صحيفة «هاآرتس» يومها إن مصادر إسرائيلية اعترفت باشتراك عناصر من الجيش فى تنفيذ هذه العملية التى كان هدفها تفجير المسجد الأقصى، وسبق الهجوم بيان من منظمة معروفة باسم «تى إن تى»* أعلن فيها زعيمها الحاخام «مردخاى إلياهو» أن على الحكومة الإسرائيلية بناء «هيكل سليمان» على أنقاض المسجد الأقصى دون إبطاء.

- فى شهر مايو عام ١٩٨٠ وضع الإرهابى الشهير الحاخام «مائير كاهانا» أكثر من طن من المتفجرات داخل المسجد الأقصى، وقد حوكم «كاهانا»، مع مساعده «باروخ جرين»، وعوقبا بالحبس ستة أشهر فقط.

- فى ٢٧ يناير عام ١٩٨٣ جرت محاولة فاشلة لنسف المنطقة المحيطة بالمسجد.

- وفى ٥ مارس عام ١٩٨٣ اكتشف الحراس عبوة ناسفة ضخمة بجوار المسجد الأقصى، استهدف واضعوها تدميره.

* إرهاب فى مواجهة إرهاب»، أى الإرهاب الصهيونى فى مواجهة (الإرهاب) العربى المزعوم.

- فى يوم ١٠ مارس عام ١٩٨٣ قامت مجموعة تضم ٤٥ يهودياً من أتباع ثلاث منظمات إرهابية، هى «جوش إيمونيم» و«كاخ» و«أمناء جبل البيت»، باقتحام المسجد الأقصى من خلال ثغرة أحدثتها الحفريات التى تجريها سلطات الاحتلال الصهيونى تحت أساساته، وقد تَزَعَّمَ الهجوم الإرهابيان «مائير كاهانا» و«إسرائيل آرائيل»، رئيس «مجلس المستوطنات اليهودية» فى الضفة.

- فى ٢١ مارس عام ١٩٨٣ كشفت «لجنة الدفاع عن المسجد الأقصى» عن جمعية باسم «صندوق جبل البيت» تم تشكيلها فى فلسطين المحتلة وولاية كاليفورنيا الأمريكية، هدفها هدم المسجد الأقصى، وتضم الجمعية جماعة «جوش إيمونيم» الإرهابية، والنائبة الإسرائيلية المتطرفة «جيئولا كوهين»، ويتزعمها «تيرى إيزنهور» و«ستانلى جولدفوت»[١].

- فى الثانى من إبريل عام ١٩٨٣ تجمع عدد مئات من اليهود لاقتحام المسجد الأقصى وإقامة شعائرهم فيه، وتحرَّشوا بالمصلين واعتدوا عليهم، وقد نقلت وكالات الأنباء صوراً لهذا الحدث.

- فى ١٤ يناير عام ١٩٨٦ قامت مجموعة من أعضاء الكنيست باقتحام المسجد الأقصى والعبث بمحتوياته.

- وفى العام نفسه، يوم ٧ يونيو، اقتحم ٣٠ يهودياً من أعضاء منظمة «جوش إيمونيم» الإرهابية المسجد الأقصى، وأقاموا احتفالاً دينياً بجوار حائط المبكى، إحياء لما سمى بـ «توحيد القدس».

- فى ١٥ يناير ١٩٨٨، اقتحمت عناصر مسلحة من قوات «جيش الدفاع الإسرائيلى» المسجد الأقصى، وقتلت ٢٨ مواطناً فلسطينياً وأصابت ١١٥ آخرين بجروح[٢].

---

(١) مازن الشوا، قبل أن يحل هيكل سليمان محل المسجد الأقصى، جريدة «الأخبار»، القاهرة، ١٩٩٥/٨/١٠.

(٢) المصدر نفسه.

ـ فى يوم ٢٨ إبريل عام ١٩٨٩ نظمت منظمة «جوش إيمونيم» الإرهابية، مسيرة لاقتحام المسجد الأقصى، شارك فيها بضعة آلاف، ويومها أطلق مفتى القدس الراحل «سعد الدين العلمى» نداء من فوق المنابر والمآذن يدعو المسلمين إلى الدفاع عن الحرم، فاندفع آلاف من أبناء القدس إلى المسجد، وافترشوا ساحاته، ونشبت بينهم وبين الصهاينة معارك شوارع عنيفة.

ـ فى يوم ٨ أكتوبر عام ١٩٩٠ تزعم الإرهابى «جروشون سلمون» جماعة أمناء جبل الهيكل، فى محاولة لاقتحام الحرم القدسى، فتصدى لهم المصلون، وتدخلت قوات الاحتلال وأطلقت النار، حيث استشهد ٢٢ من المصلين وأصيب المئات منهم، سقطوا مدرجين بدمائهم فى ساحة المسجد الأقصى، فى مذبحة بشعة، استنكرها العالم كله.

وحين عُرضت المسألة على مجلس الأمن، قال المندوب الإسرائيلى إن القوات الصهيونية كانت فى موقف الدفاع عن النفس، وكانت المفاجأة عندما عرض مندوب فلسطين شريط فيديو التقطه سائح غربى تصادف وجوده فى فندق مجاور للحرم، وكشفت وقائع الشريط، بالصوت والصورة، كيف اقتحمت القوات الإسرائيلية المسجد عنوة وأطلقت النار على المصلين.

«يومها ـ كالعادة ـ أصدر مجلس الأمن قراراً بإدانة إسرائيل، ولم تتمكن الولايات المتحدة إزاء الدليل الدامغ من استخدام حق الفيتو لإسقاط القرار»[1].

ـ وفى ذات الفترة أقدمت جماعة «جوش إيمونيم» على حفر نفق يمتد من حائط البراق حتى ساحة القدس الشريف، وقد أبطل حراس المسجد من المسلمين هذه المحاولة.

وحتى بعد توقيع اتفاقيات (السلام) الإسرائيلى ـ الفلسطينى، لم تتوقف عمليات الاعتداء على المقدسات الإسلامية والمسيحية فى الأرض المحتلة.

---

(١) انظر: تقرير إخبارى فى الذكرى الـ ٢٦ لحريق المسجد الأقصى، القاهرة، جريدة الأهرام، ١٩٩٥/٨/٢٠، مجلة الشاهد، قبرص، العدد (١١٢)، ديسمبر ١٩٩٤.

ـ ففى أغسطس عام ١٩٩٥ سمحت المحكمة العليا الإسرائيلية لجماعة من «أمناء جبل الهيكل» بزيارة المسجد الأقصى والقيام بطقوسها الدينية فى حرمه، وهو ما رفضه الشعب الفلسطينى، ورأوا فيه استفزازاً كبيراً، مما دفع الأمين العام لرئاسة السلطة الفلسطينية، «الطيب عبد الرحيم» إلى التصريح بأن مجلس وزراء السلطة الفلسطينية أدان قرار المحكمة العليا الإسرائيلية المذكور، مؤكداً أن القدس، بمقدساتها الإسلامية والمسيحية، هى أراضٍ محتلة. ليس للمحكمة العليا الإسرائيلية أية سلطة عليها، ولا يجوز لها تقرير وضعها أو البت فى شأنها، وفى الوقت ذاته دعت «وزارة الإعلام والثقافة الفلسطينية» المواطنين والمسلمين فى القدس إلى التوجه إلى المسجد الأقصى والصلاة فيه، فى مواجهة قرار المحكمة الإسرائيلية.

جهود مستمرة:

ولم تنقطع الجهود المستمرة والمنظمة من قبل إسرائيل الدولة والأصوليين فيها، من أجل تهيئة الظروف للانتزاع النهائى للمسجد من أيدى المسلمين، وهدمه لإنشاء «الهيكل الثالث» محله، ومن أبرز هذه الجهود:

١ ـ إعداد المهندس الإسرائيلى «مائير بن دوف»، بتكليف من الأوساط الأصولية المتطرفة من بين يهود إسرائيل، والمتعاطفين مع توجهاتهم خارجها، لمخطط هندسى متكامل للهيكل المزعوم.

٢ ـ وفى أوائل عقد التسعينيات أعلنت جماعة أصولية يهودية، اسمها «المركز الماسى العالمى»، ومركزها «القدس»، عن بدء حملة لجمع تبرعات من يهود إسرائيل والديسابورا «الشتات»، لإعادة بناء الهيكل فى موقع المسجد الأقصى، وقد وُزعت فى تلك الآونة صورة، أنجزت بطريقة «الفوتو مونتاج الإليكترونى»، تم فيها نزع المسجد الأقصى من موقعه المشهور، وتركيب صورة متوهمة للهيكل فى مكانه.

٣ ـ فى شهر مايو ١٩٩٥، انفجرت ضجة عارمة عقب قرار إسرائيل

بمصادرة مساحات جديدة من الأراضى الفلسطينية بمدينة القدس المحتلة، وفى اجتماع «ياسر عرفات»، مع وزراء السلطة الفلسطينية، يوم السبت ٢٠ مايو، عرض (الرئيس) الفلسطينى خريطة إسرائيلية «وصلته من مصادر موثوقة»، توضح الخطة الإسرائيلية التى تعد لها إسرائيل، لتحديد مستقبل القدس، وتبين الخريطة المصورة «قيام الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى وقبة الصخرة»[١].

٤ ـ وشهدت الأيام الأخيرة من شهر نوفمبر، عام ١٩٩٥ محاكمة متطرف أصولى إسرائيلى، هو «إيال كينى»، (٢٥ عاماً)، بتهمة الإعداد لإطلاق صاروخ على مسجد الصخرة قرب المسجد الأقصى، بعد أن تدرب على الأمر مراراً فى أرض خلاء، وقد أعلن «إيال»، الذى عُثر فى منزله على أسلحة وصور لفدائيين فلسطينيين مطلوبين للأمن الإسراتيلى، بأن «قانون التوراة يجب أن يسود على القانون المدنى فى إسرائيل»، وقد صاح مواجهاً المحكمة: إنه هراء تماماً.. أنا لا أقبل حكمكم، ولا ألتزم إلا بأحكام الشريعة.. فما علاقة القانون البريطانى بى»[٢].

٥ ـ وفى أواخر عام ١٩٩٥، أعلنت إسراتيل الاستمرار فى إجراء حفريات أثرية تحت المسجد الأقصى، الغرض منها البحث عن بقايا الهيكل المزعوم، وهى الحفريات التى تضعف من أساسات المسجد وتهدد بانهياره، وتجىء هذه المساعى مواكبة لما كشفته وسائل الإعلام عن خفايا الخطة المسماة «عميق هميلخ»، والتى تستهدف إحكام السيطرة على الجزء الجنوبى من القدس، والعمل على إقامة منطقة سياحية فى الناحية الجنوبية للحرم القدسى، وكذلك فى منطقة سلوان، وقد أذاع التليفزيون الإسرائيلى، فى تلك الأيام، برنامجاً دعائياً، بثه تحت عنوان «القدس لا تنتظر»[٣]، كشف فيه الخطط

(١) جريدة «الأهالى»، القاهرة، ١٩٩٥/٥/٢٤.

(٢) جريدة «يديعوت أحرونوت»، الإسرائيلية، ١٩٩٥/١١/٣٠.

(٣) جريدة «الحياة» الدولية، لندن، ١٩٩٥/١٢/٢٠.

الصهيونية الرامية إلى الاستيلاء على الأراضى العربية وتهديدها، وزيادة أعداد السكان اليهود فى القدس، لكى يشكلوا أغلبية ديموجرافية فيها، وهو ما يمهد لحسم الموضوع الشائك المعلق: موضوع هدم المسجد وبناء الهيكل.

معهد بناء الهيكل:

على مستوى «استراتيجى» آخر، فإن واحدة من أخطر خطوات الإعداد الأصولى اليهودى لهدم المسجد وبناء «الهيكل الثالث» محله، تلك المتعلقة بإنشاء المؤسسة التى أُطلق عليها اسم «معهد بناء الهيكل».

وهذا المعهد أُنشئ عام ١٩٨٦ فى «القدس القديمة» بمبادرة من الحاخام المتطرف «إسرائيل آريئيل»، وبدعم من عدد من «اليهود القوميين المتدينين»، والحاخام «آريئيل» كان من أشد المعارضين لإخلاء مستعمرة «ياميت»، وهو أحد دعاة الأصولية العنصرية اليهودية، ورعاتها، الذين يغطون بفتاويهم الدينية أعمال الإرهاب ضد العرب، وقد أيد هذا الحاخام، «باروخ جولد شتاين» سفاح الحرم الإبراهيمى، باعتباره «شهيد حرب من أجل أرض إسرائيل»، مبرراً جريمته بالقول «إن هؤلاء القتلى (العرب)، الذين يقال عنهم أبرياء، كانوا قد ذبحوا أناساً أبرياء من اليهود، من الشيوخ والنساء والأطفال عام ١٩٢٩»، كما يعتبر الحاخام «آريئيل» واحداً من المتعصبين الداعين لهدم المقدسات الإسلامية وبناء الهيكل اليهودى فى موقعها، ومن نشاطاته فى هذا السياق كتاب «أوديسا المعبد الثالث»، الذى أصدره باللغة الإنجليزية، شارحاً فيه مكونات الهيكل وأدواته وتاريخه وأهميته لليهود، «وكرمز لفكرة ذات أهمية عظمى وُجدت حتى قبل خلق الكون»[1]، كما يؤكد على ضرورة بناء الهيكل، دون انتظار ظهور «المخلِّص»، «إذ إن فريضة البناء مازالت حيّة بين اليهود، وهى واجبة على كل جيل وتنتظر من يطبقها»[2].

---

(١) انظر: جعفر هادى حسن، معهد بناء الهيكل يباشر بإعداد المعدات واللوازم، جريدة «الحياة» الدولية، ١٩٩٤/٧/٦.

(٢) المصدر نفسه.

و«معهد الهيكل» يضم أكثر من عشرين باحثاً وعالماً فى مختلف فروع المعرفة، وهم يستخدمون الحاسب الآلى والتكنولوجيا المتطورة لبرمجة كافة المعلومات المتعلقة بأدوات الهيكل وأوانيه ومستلزماته وشعائره، والمكونات التى تدخل فى إنتاجها، كما صنعوا العطور التى ستستخدم فى طقوسه، بحسب النصوص والصفات التوراتية القديمة، وهم يعرضون هذه الأشياء فى صناديق زجاجية، «لا كما تعرض محتويات المتاحف ـ على حد تعبير الحاخام «حاييم ريتشمان»، المتحدث الرسمى باسم المعهد ـ وإنما «من أجل أن يعرف الناس بأن عملية بناء الهيكل قد بدأت»، كما يشير إلى أن الخطط المعمارية للهيكل، وتفاصيل شكله وحجمه «قد وضعها الاختصاصيون فى ضوء ما ورد عنه فى التلمود من مواصفات»(١).

ومن الجدير بالذكر أن هذا المعهد يعتمد فى تمويله على منح من مؤسسات إسرائيلية رسمية مثل وزارة السياحة، ووزارة الشئون الدينية، ووزارة التربية، وبلدية القدس، وغيرها من المؤسسات الرسمية للدولة الإسرائيلية.

سيناريو الحرب المقدسة الآتية:

وهكذا فالمتتبع لتطورات الصراع الداخلى فى إسرائيل حول قضية إعادة بناء الهيكل، يمكنه أن يلاحظ أن التناقض بين الطرف الأصولى والسلطة السياسية، فى هذا الشأن، ليس خلافاً حول المبدأ بقدر ما هو اختلاف حول تحديد التوقيت المناسب لتنفيذ المهمة المتفق عليها، فالطرفان مشتركان فى الإقرار بالضرورة المطلقة لهذا الأمر، لكن الطرف الأصولى يريد إنجاز هذه المهمة الآن، وفوراً وبصرف النظر عن النتائج أو العواقب، فيما يرى الطرف الصهيونى، السياسى، ضرورة إبداء المزيد من التريث والتستر، حتى لا يتسبب مثل هذا الأمر فى انفجار بركان الغضب العربى والإسلامى، الذى قد يحرق إسرائيل بويلاته.

---

(١) المصدر نفسه.

وفى وقت إعداد هذه الطبعة الجديدة من الكتاب للنشر، نشرت صحيفة «كل العرب» التى تصدر فى مدينة «الناصرة» الفلسطينية، صوراً وأخبار لتدريبات قامت بها الشرطة الإسرائيلية، فى منطقة «اللد»، جنوبى «تل أبيب» استعداداً لاقتحام المسجد الأقصى والسيطرة عليه، تحقيقاً لما وصفته بـ «أحلام صهيونية بإحلال الهيكل المزعوم محل الحرم الشريف».

وذكرت «كل العرب» على موقعها الإليكترونى، (مع الصور الدالة)، أن التدريبات تجرى على مُجَسّم لمسجد قُبّة الصخرة، وأوضحت أن الشرطة تستخدم فى هذه التدريبات عدداً كبيراً من الحافلات والآليات، وفى لقاء مع قناة «الجزيرة»، لم يستبعد رئيس تحرير موقع صحيفة «كل العرب»، «يوسف شدّاد»، الإقدام على اقتحام المسجد الأقصى، كما أصدرت «مؤسسة الأقصى للوقف والتراث» بيانا آكدت فيه هذه الأخبار، وأشارت إلى أن أعدادًا كبيرة من قوات الاحتلال المتنوعة «تجرى تدريبات واسعة، فيما يبدو تحضيراً لأحداث جسام ستحدث فى المسجد الأقصى»، ونشرت المؤسسة عدداً من الصور التى تبين تجمعات القوات الإسرائيلية، التى تُقَدَّرُ بالآلاف، وداخل المعسكر مُجَسَّم لقبة الصخرة المشَّرفة، وآخر للمسجد الأقصى وبجانبه مُجَسَّم للهيكل المزعوم(١).

والواقع «إن تدمير الأماكن الإسلامية المقدسة فى جبل الهيكل، على نحو ما يرى «دورون روزنبلوم»، الصحفى الإسرائيلى البارز، ليس إلا «مسألة وقت»، أما عواقبه فستكون وخيمة، كما يتصورها، فى «السيناريو» التالى:

«الإلغاء الفورى لمعاهدة الصلح مع مصر،.. تظاهرات عفوية فى كل الدول العربية، تقارير إخبارية على الشبكات الأمريكية تفيد عن إعلانات الحرب من قبل العالم العربى كله،.. تعبئة الاحتياط.. فى غمرة تقارير عن

---

(١) غادة حمدى، جيش الاحتلال يتدرب على احتلال الأقصى بالآليات والقنابل وآلاف الجنود، ٢٠١٠/٧/٢٣ صحيفة «المصرى اليوم».

التوترات على الجبهات الأربع كلها، تدفق القوات المصرية إلى سيناء، إطلاق نار فى الجولان ووادى الأردن، معارك جوية مع طائرات إيرانية، سعودية، ليبية، عراقية، وسورية،.. شائعات عن تذبيح اليهود السوريين.. حرب عصابات على الأراضى المحتلة بين العرب والمستوطنين، «مجازر» ستسمى فوضى تامة، تَدَّخُل القوتين العظميين وحرب تستمر شهوراً أو سنوات»(١).

■ ■ ■

(1) DORON ROSENBLUM, The Temple Mount will Be Blown Up, Koteret Rashit, Israel, No. 131, November 1, 1987, pp. 20 - 21.

مذكورة فى: إيان لوستيك، مصدر سبق ذكره، ص: ١٩٠.

«هنالك وقت للتطبيب ووقت للقتل.. لن نترك الخليل مهما يكن من أمر.. إننا نغش أنفسنا عندما نفكر بأهمية التعايش مع العرب. إنه غير ممكن.. إنهم مرض.. والجيش الإسرائيلى يخطئ عندما يمنعنا من الانتقام منهم ويمنعنا من تخويفهم.. لابد أن نطردهم: إنهم نازيو اليوم».

«باروخ جولد شتاين» سفاح الحرم الإبراهيمى
من آخر حديث أجراه معه الصحفى الأمريكى
توم روبرتس».



الفصل الثامن

تخوم الحرب الأهلية

فُسِّرَتْ النتائج التى تمخضت عنها حرب يونيو ١٩٦١ تفسيراً أصولياً، خلاصياً، صبَّ فى صالح الاتجاهات الدينية ـ الأصولية الإسرائيلية، وتلقت الأفكار المسيحانية التى تؤمن بقيامة «المسيح المخَلِّص»، وإعادة تشييد «الهيكل»، وبناء «مملكة إسرائيل» دفعة قوية، دعمها وصول تكتل «الليكود» المتحالف مع الأحزاب الدينية واليمينية إلى السلطة عام ١٩٧٧، وفى ظل قيادة «كارزمية» مَثَّلَتْ تراث العنف والعدوانية والإرهاب الصهيونى (شخصية «مناحم بيجن» ـ قائد عصابة «الأرجون تسفاى ليومى» الإرهابية السابق، وزعيم تكتل «ليكود» فى تلك الفترة) انطلق طوفان التعصب المقيت من عقاله، وتفاعلت الدولة ـ علناً وسراً ـ وتواطأت أجهزتها، على كل المستويات، مع حركة الاستيطان التى راحت تمد أظافرها إلى الأراضى العربية المحتلة، المفترض، بموجب هذه الوضعية، تمتعها بحماية القوانين والشرائع الدولية.

كانت الرصاصات التى أُطلقت بعد أربعة أشهر فقط من انتهاء حرب ١٩٦٧، يوم ١٤ أكتوبر، على «مايرفيلنر» سكرتير الحزب الشيوعى الإسرائيلى، فكادت أن ترديه قتيلاً، على يد عامل مطبعة يعمل فى صحيفة كتلة «جحال» (اليمينية)، عقاباً له ولحزبه على إدانتهما للحرب العدوانية ونتائجها، مؤشراً على اتجاهات الصراع، وفيما بعد، بدءاً من عام ١٩٧٤، أى فى الفترة التى شهدت إعلان جماعة «جوش إيمونيم» الاستيطانية، بقيادة الحاخام «موشى ليفنجر»، ومع توثق عرى التحالف الذى حدث بينها وبين نفر من كبار الحاخامات (مثل تسفى يهودا كوك) وكبار الجنرالات (وعلى رأسهم «آريئيل شارون» ـ وزير الدفاع السابق) وعدد من «صقور» حزب العمال (اليسارى)،

انتشرت حمى الاستيطان المصحوب بالعنف والإرهاب ضد المواطنين العرب الفلسطينيين فى الأرض العربية المحتلة، خاصة مع بروز «الكاهانية» المحمومة، وانتخاب زعيمها «مائير كاهانا» عضوا فى البرلمان عام ١٩٨٤، وأصبحت صورة «الرائد» الجديد، (الهالوتز)، بهيئته التقليدية المتجسدة فى عناصر «جوش إيمونيم»، الطلائعية، قدوة يُحتفى بها: «شاب ملتح، يضع على رأسه الكيبا (الطاقية الصغيرة المزركشة)، ويحمل فى يده كتاب «أوروت ماكوريش»، (النور فى القداسة) للحاخام الراحل «إبراهام إسحاق كوك»، وفى اليد الأخرى يحمل مدفعاً رشاشاً تسلمه من الجيش الإسرائيلى، ويضع رداءاً يغطى ركبتيه وكفيه، بينما تهتم رفيقته بأطفالهما العديدين»[١].

وفى حين نشط الحاخامات، أصحاب المقامات الرفيعة، فى تقديم التغطية القانونية الشرعية، والمستمدة من نصوص التوراة وإشاراتها، للزحف المستمر على أراضى العرب.. غطت قيادات الدولة الحاكمة فى ذلك الوقت ودعمت مالياً وإعلامياً، كل تجاوزات الجماعات الاستيطانية والإرهابية تجاه الجموع العربية والأراضى العربية، وحتى حينما كانت المحاكم تُصدر - بضغطٍ من الرأى العام - أحكاماً (متساهلة فى الغالب) على بعض المجرمين من إرهابى المستوطنين، الذين تسببوا فى مقتل وإصابة أعداداً ضخمة من الفلسطينيين، وإحداث تخريبات هائلة لممتلكاتهم، كانت الحكومة تجد باستمرار الوسيلة للإفراج عنهم، بعد فترات وجيزة من السجن المُنعَّم، حتى لو اقتضى الأمر صدور مرسوم رئاسى بالعفو عنهم، كما حدث تكراراً من قبل.

ومع مرور الزمن، وبتدعم التحالف الموضوعى، الصهيونى اليمينى (بزعامة تكتل الليكود) - الأصولى (بزعامة جوش إيمونيم)، مع الاتجاه الدينى التقليدى (الحزب الدينى الوطنى - المفدال)، استمرت عمليات التحول داخل حزب «المفدال» باتجاه اليمين شيئاً فشيئاً، وانتقل من مواقعه التى صمد فيها

---

(١) جوزيف الجازى، المتطرفون اليمينيون يؤكدون على ضوء التحقيقات فى اغتيال «رابين» دورهم فى صنع السياسة الإسرائيلية، عدد ديسمبر ١٩٩٥ Le Monde Deplomatique باريس.

طوال عقود طويلة كـ «حزب وسط يشكل لسان الميزان فى الساحة الحزبية لإسرائيل، إلى صورة حزب يمينى واضح التطرف، يقف فى معظم الأحيان على يمين تكتل «الليكود»، ويقترب فى كثير من مواقعه من حزب هتحيا»[1].

لقد أَمَدَّ إدراك الأحزاب والحركات الدينية، لأبعاد دورها الفاصل فى حسم نتيجة الصراع على السلطة فى إسرائيل، زعماءها، بمزيد من القوة، وسمح لها بممارسة عمليات «ابتزاز سياسى» مستمر، استهدف:

أولاً : فرض أفكارها ومعاييرها وقوانينها الدينية المتزمتة على حياة الدولة.

ثانياً : ابتزاز الحكومة مالياً، عن طريق الحصص المتزايدة من الميزانية، والمخصصة للاتفاق على المؤسسات والنشاطات الدينية.

ثالثاً : تحقيق ميزات هامة لعناصرها والمنضوين تحت لواءها، أهمها إعفاء أتباعها من الخدمة العسكرية، وهو الأمر الذى ساعد على جلب أعضاء كثيرين لصفوفها.

رابعاً : التحكم فى مصير الدولة، إلى الحد الذى جعل الحاخام «مناحم أليعيزر شاخ» العجوز، القابع فى مستوطنة «بنى براك»، يقرر - عام ١٩٨٨ - من سيكون رئيس الحكومة فى إسرائيل، متوجاً «إسحق شامير» فى هذا الموقع الهام، على الرغم من كون حزب «العمل» هو الحزب الحاصل على أكبر الأصوات[2].

لقد وصل الحاخام «شاخ» - على رأس موجة التطرف الدينى الأصولى - اليمينى، إلى الحد الذى أُطلق عليه نعت «صانع الملوك»، وكتب محرر «جيرازوليم ريبورتر» يصيح: «لقد حمل شاخ مسدساً فوق رؤوسنا لمدة طويلة، وإذا لم نتوخ الحذر فإن إصبعه قد تضغط على الزناد، ومن الأفضل أن

(١) جريدة «عال همشمار»، الإسرائيلية، ١٩٩٢/٦/٩.

(٢) عطا القيمرى، مصدر سبق ذكره، ص: ٢٤٢.

نجرده منه بسلام»[1].

وأدت عمليات الابتزاز المستمرة التى خضعت لها الحياة السياسية فى إسرائيل، والنتائج التى تمخضت عنها إلى إصابة التيارات العلمانية و(اليسارية) بالهلع من المسار الذى تتجه إليه الدولة، والمخاطر التى تتعرض لها طبيعة النظام كما ألفوه منذ إعلانها، الأمر الذى جعل مطلب «فصل الدين عن الدولة» مطلباً جماهيرياً وجد له صدىً كبيراً فى مؤتمر حزب «العمل» الخامس (يونيو ١٩٩٢) الذى تحرك لنزع إصبع التيارات الدينية والأصولية وإصبع الحاخام «شاخ» عن الزناد، وشهدت الصحافة حملات واسعة تندد بالهجوم الأصولى على كل الجبهات، حيث كتب «آفنز ريجف»: «مطلوب حكومة من دونهم»[2] بينما طالب «فرانسيس ريداى» بـ «فصل متدرج للدين عن الدولة»[3]. واحتدم الصراع بين أنصار الاتجاهين إلى الحد الذى دفع «شمعون بيريز»، زعيم حزب العمل فى تلك الآونة، إلى التدخل لتلطيف المناخ المتوتر السائد، مُصرِّحاً بأن ما طُرح فى مؤتمر حزب «العمل» «ليس فصل الدين عن الدولة، ولكن فصل الدين عن السياسة»[4].

وكان من جرّاء الحملة المضادة التى نظمتها الاتجاهات (العلمانية) المعادية لسيطرة التحالف اليمينى/ الأصولى على مقاليد السلطة فى إسرائيل، أن فقدت الأحزاب الدينية بمجموعها أربعة من مقاعدها فى انتخابات الكنيست التى جرت فى شهر يونيو ١٩٩٢، فلم تنجح إلا فى تأمين أربعة عشر مقعداً بعد أن كانت ثمانية عشر، ويقابلها ـ فى الناحية الأخرى ـ مؤشر ذو دلالة وهو فوز حركة «تسومت» بثمانية مقاعد ـ دفعة واحدة ـ وهى

(١) هيرش جوتمان، صانع الملوك الذى يكره الولايات المتحدة، Jerusalem Reporter، إسرائيل، يونيو ١٩٩٢.

(٢) جريدة «عال همشمار»، الإسرائيلية، ١٩٩٢/٦/١٥.

(٣) جريدة «Jerusalem post»، الإسرائيلية، ١٩٩٢/٦/٣٠.

(٤) جريدة «يديعوت أحرونوت»، الإسرائيلية، ١٩٩٢/١١/٢٢.

الحركة التى خاضت المعركة بزعامة «رفائيل إيتان» رئيس الأركان الأسبق، وببرنامج يطالب بوضع حد للمساومات مع الأصوليين، وبتجنيد طلاب المدارس الدينية ـ أسوة بغيرهم ـ فى الجيش.

وتَجَسَّد هذا التحول الخطير فى مسار الهيمنة اليمينية ـ الأصولية فى حدث بالغ الأهمية، تمثل فى خروج الحزب الدينى الوطنى، (المفدال) ـ لأول مرة فى تاريخ إسرائيل وتاريخه ـ من التحالف الحاكم للدولة، بعد أن تبنى هذا الحزب فى حملة انتخابات الكنيست الثالث عشر (يونيو ١٩٩٢) شعاراً حاسماً يتعهد فيه للجمهور بالانضمام إلى حكومة برئاسة تكتل الليكود فقط[١]، وفى ظل هذا المناخ المحموم لم يتردد أحد الرؤساء الدينيين، الحاخام «بنحاس مناحم أنتار»، (حزب «أجودات يسرائيل») عن وصف (اليسار الصهيونى)، بزعامة حزب العمل (تكتل المعراخ)، بأنه «عدو إسرائيل الحقيقى»[٢].

على تخوم الحرب الأهلية:

غير أن التيارات الدينية ـ الأصولية لم تستلم لهذا الفشل، وما كان لها أن تستسلم وتضحى بوجودها ومصالحها وامتيازاتها المادية والمعنوية الهائلة فى المجتمع، بل كانت ولا زالت على استعداد لأن تُعَرِّضَ الدولة برمتها للخطر فى مقابل الحفاظ على هذه الوضعية المتميزة التى راكمتها على امتداد العقود الثلاثة الأخيرة تقريباً، حتى ولو دفعت الأمور إلى حواف الانفجار، وتخوم الحرب الأهلية.. مستندة فى ذلك إلى قدسية وضع «أرض إسرائيل» ورفض كافة محاولات التسوية السياسية التى تقودها الاتجاهات غير الدينية فى الدولة.

فـ «إلياكيم هعتسينى» يرى أنه «لليهود الأوفياء لأرض إسرائيل الحق فى مقاومة دولة إسرائيل، أو حتى إطاحتها، إذا ما خانت الصهيونية والشعب

(١) جريدة «يديعوت أحرونوت»، الإسرائيلية، ١٩٩٢/٥/٥.

(٢) مجلة «حداشوت»، الإسرائيلية، ١٩٩٢/٦/١.

اليهودى بالموافقة على ترك بعض أجزاء الوطن للحكم العربى»[١]. واتخذت جماعة قيادية من المستوطنين الأصوليين، قراراً فى أكتوبر ١٩٨٥، بأن «مقترحات ومشاريع رئيس الوزراء (بيريز) تُشَكِّلُ خرقاً واضحاً ومطلقاً لدور إسرائيل كدولة صهيونية، وتُحَذِّرُ أى نظام فى إسرائيل يطبق هذه المقترحات «بأننا سَنُعِّدَهُ نظاماً غير شرعى، كما عَدَّ الجنرال «ديجول» نظام الماريشال «بيتان» الذى خان الشعب الفرنسى فى فيشى»[٢].

ولَوَّحَ عدد من المستوطنين مهددين بالتمرد على الدولة، مصرحين مثلما صرح «موشيه ليفنجر»، حاخام «جوش إيمونيم» مُهَدِّداً، فى مقال بعنوان: «لا تتخلوا عن راياتنا القديمة»، بأنه «سوف ننكر على البلد الحق فى أن يسمى «دولة إسرائيل»، وسوف نمضى فى الحفاظ على دولة اليهود فى قلب وطننا، وننقش على راياتها واجب الاستيطان وجمع شمل المنفيين»[٣].

وبدا واضحاً من السياق أن إسرائيل تتعرض لأزمة بالغة العنف، وأن رايات التمرد والتمهيد للانقلاب على أسس النظام، وبما يحقق صالح التحالف الأصولى ـ الدينى ـ اليمينى، ويعيده إلى دست الحكم، تعلو فى دروب المستوطنات وتتردد دعواتها فى أرجاء الكنيست، إلى الحد الذى جعل «ياثير شيليج» يكتب فى مجلة «جوش إيمونيم» المتطرفة «النقطة»، (نيكوداه)، كاشفاً الغطاء عن «السيناريوهات» التى نوقشت مراراً فى هذا الصدد، ومنها: أن ينضم بعض الساسة اليمنيين ذوى الشعبية الجماهيرية، إلى بعض القادة العسكريين الطامحين «من أجل إعادة النظام والاتزان العقلى» فى خِضَّم صراعات يهودية

(١) إيان لوستيك، مصدر سبق ذكره، ص: ١٢٩.

(٢) انظر مقال موشيه شاريرا:

The State of Israel Vs. The State of Yasha, Nekuda, Israel, No. 93, November 22, 1985, p. 11.

(3) MOSHE LEVINGER, Do Not Throw Away The Old Banners, Nekuda, Israel No. 97, March 25, 1986, p. 7.

مزمنة فئوية، ومتزايدة العنف، وسيكون فى وسع «جوش إيمونيم» أن تمد هذه العناصر بالدعم السياسى والشرعية الأيديولوجية المطلوبة(١).

وكانت بعض الاجتهادات السياسية قد لاحظت، فى فترة صعود الانتفاضة الفلسطينية الأولى وتداعياتها، ومع عجز آلة الحرب والسياسة الإسرائيلية عن قهرها (قبل أن يتولى الطرف الفلسطينى الرسمى هذه المهمة بنفسه)، أن الرأى العام الصهيونى (اليمينى المتشدد والأصولى بالذات) قد أصبح مُعَبئاً، وبشدة، باتجاه الانحياز لحل أكثر حسماً، وعدوانية، يستهدف سحق الانتفاضة وتدمير أركانها، وقد طرح البعض، فى هذا السياق، سيناريو لانقلاب «يمينى/ أصولى» على نظام التعددية السياسية فى الدولة، يعتمد على وصول زعيم يمينى يتمتع بالكاريزما الضرورية لاجتذاب التفاف الجماهير من حوله، إلى السلطة عن طريق الانتخابات البرلمانية، ثم يقوم هو نفسه - بعد أن يُتم عملية حشد التأييد، ومركزة السلطة فى قبضته - بإصدار قرارات فاصلة، انقلابية، تُجَمِّدُ المظاهر (الديمقراطية) السائدة، بدعوى تكتيل الجمهور للخروج بالدولة من أزمتها، وسحق التمرد العربى، وفرض الحل الإسرائيلى على المنطقة، وقد رشحت بعض التحليلات آنذاك، «آريئيل شارون»، الجنرال اليمينى الفاشى النزعة، للعب هذا الدور، يدعمه فى هذا المسعى جماهيريته التى لا تنكر، وتاريخه (المرموق) فى خدمة المشروع الصهيونى، وآرائه المعلنة فى ضرورة التصدى بالقوة لقهر العرب وتصفية قضيتهم(٢).

وقد مهدت هذه التصعيدات المجتمع الإسرائيلى إلى لحظة التأزم العنيفة، الذى قادت فى منتصف التسعينيات «إيجال عامير» لإطلاق رصاصته على «إسحق رابين»، فى قلب ميدان «ملوك إسرائيل»، ووسط حشد ضم عشرات الآلاف من المؤيدين والأنصار.

(1) YEIR SHELG, Nekuda, Israel, No. 86, April 26, 1985, pp. 12 - 13.

(٢) لمزيد من التفاصيل حول هذه الرؤية، انظر: د. أحمد هيبى، مصدر سبق ذكره، ص ص: ١٨٥ - ٢٠٩.

فالحاخامات والأصوليين والمستوطنين اليمينيين من غلاة الصهاينة، الذى صعّدوا من موجات غزوهم للأراضى الفلسطينية، والمتسترين بالتفسيرات التوراتية، فى فترة حكم التحالف اليمينى ـ الأصولى بقيادة حزب «الليكود» (١٩٧٧ ـ ١٩٩٢)، والذين صُبَّت فى خزائن مستوطناتهم وتشكيلاتهم الاجتماعية والتعليمية مئات الملايين من الدولارات، على امتداد نحو ربع قرن من الزمان، أصبحوا على استعداد للقيام بأية خطوة تسترجع فردوسهم المفقود، وتُعيد لهم سطوتهم المرتجاه.

التهديد بدولة يهودية أخرى!

بل إن هؤلاء لم يقفوا عند حد التشهير بالسلطة العُمّالية الحاكمة، وابتزازها تحت وطأة إتهامها بممالأة العرب، وإنما تقدموا خطوة، حتى وإن كانت شكلية، فهى ذات دلالة كاشفة، باتجاه التهديد باتخاذ إجراءات أكثر حدة وتصعيداً إذا لم تستجب الدولة لمطالبهم الاستفزازية التى لا سقف نهائياً لها حيث أعلن خمسون مندوباً، يمثلون المستوطنات الصهيونية فى الضفة والقطاع والجولان، فى اجتماع عُقد (بالقدس)، فى يناير ١٩٨٩، تأسيس ما أطلقوا عليه إسم «دولة يهودا المستقة»، فى ظل احتفال «رسمى» مهيب احتوى كل الشكليات المصاحبة لإعلان الدول: العلم والنشيد والهيئات المنتخبة والدستور.. إلخ.

ولم يكن غريباً، وهذه هى الحال أن ينتخب قادة هذه (الدولة) «مائير كاهانا» رئيساً فخرياً لها، و«ميخائيل بن حورين»، من مستوطنى الجولان، وعضو منظمة «كاخ» الإرهابية، رئيساً لما آسموه «اللجنة التنفيذية» المؤلفة من سبعة أعضاء»[١].

وقد أعلن مؤسسو هذه (الدولة)، أن ولاءهم لدولة إسرائيل الحالية

(١) أحمد خليفة، حركة «كاخ» فى المشهد السياسى الإسرائيلى، مجلة الدراسات الفلسطينية، بيروت، عدد (٢١٨)، ربيع، ١٩٩٢، ص: ١٩٠.

سينتهى فى اللحظة التى تتخلى فيها حكومة تل أبيب عن أى جزء من «أرض إسرائيل»، وتعهدوا بالسيطرة بالقوة على أية أراض يتم التخلى عنها، والتمسك بها، والدفاع عنها، وتجسيد «دولة يهودا» فيها[1].

حاخامات الدم:

لقد أثارت التراجعات التكتيكية المحدودة التى لجأت إليها حكومة حزب «العمل»، فى إطار التسوية السياسية الدائرة فصولها بين الدولة الإسرائيلية والأنظمة العربية، ثائرة حاخامات الدم اليهود داخل إسرائيل وخارجها، إلى الحد الذى دفع رئيس الوزراء الصهيونى السابق «إسحق رابين»، قبل اغتياله بأشهر معدودة، وهو على ما هو عليه من عنصرية وعدوانية لا تحتاج إلى مزيد من الإيضاح، إلى الرد الغاضب على موجات تهجماتهم واحتجاجاتهم، مُشَبِّهًا إياهم بـ «آيات الله»، وواصفاً تفكيرهم بـ «العنصرية»[2] الأمر الذى يعنى (إذا ما ترجم إلى مفردات القاموس السياسى الإسرائيلى) أنهم قد بلغوا فى العنصرية حداً غير مسبوق، لم يحتمله «رابين» نفسه، وهو أحد الرموز العظمى للعنصرية الصهيونية.. وعلى هذا فلنا أن نتصور المدى الذى بلغته تلك الاتجاهات فى عنصريتها، وأن ندرك مكامن الخطر فيه، لقد اعتبر «إسحق رابين» أن ما حدث «أمر لا سابق له، وغير مقبول بتاتاً وخطير جداً، وهو يتعارض مع الأسس (الديمقراطية) لدولة إسرائيل، التى لن تسمح بأن تتحول إلى جمهورية موز» فى حين عبر «عيزرا وايزمان»، رئيس الدولة عن مخاوفه من هذه التطورات، بصراحة: «إننى أخشى من حدوث شرخ عميق داخل (الشعب) يؤدى إلى خطر وقوع حرب أهلية»[3].

وقد جاءت ثورة الحاخامات هذه، ذروة لمواقف عدائية متصاعدة، اتجهت

(1) EHUD SPLINZAK, The Ascendance of Israel's Radical Right, U.K., Oxford University Press, 1991, pp. 24 - 28.

(٢) جريدة «الحياة» الدولية، لندن، ١٩٩٥/٧/٨.

(٣) المصدر نفسه، ١٩٩٥/٧/٢٠.

إلى تحريض الإسرائيليين عامة، وجنود وضباط الجيش خاصة على النظام، ومطالبتهم برفض الانصياع لأوامر الحكومة (الرسمية)، والضرب عرض الحائط بتعليماتها، الخاصة بتوفير الظروف الضرورية لتسليم منظمة التحرير الفلسطينية المواقع المحددة لها فى الضفة الغربية والقطاع، والتى تم الاتفاق على أن تخضع لإدارة الطرف الفلسطينى، بموجب اتفاقية «أوسلو» وتوابعها، بالرغم مما هو معروف من أن هذه (المناطق) لن تزيد بحال من الأحوال عن ٣٠٪ من الأراضى الفلسطينية المحتلة، ذات الأغلبية العربية الطاغية، وبالرغم مما هو معلن ـ أيضاً ـ عن ضخامة الثمن المدفوع فى المقابل، والذى يمكن تلخيصه فى الاعتراف العربى الرسمى الكامل بالدولة الصهيونية وباغتصابها لأرض فلسطين، وفتح أبواب العالم العربى والعالم أجمع على مصراعيه لإسرائيل، ومنحها صك البراءة على جرائم الصهيونية طوال القرن الماضى فى حق العرب،.. إلخ.

العنصرية الأصولية

ويلعب «حاخامات الدم فى إسرائيل» دور الأب الروحى للعنف، والموَجِّهُ السياسى للإرهاب، والمرشد الفكرى لجحافل الموت التى تتجول فى الأراضى العربية المحتلة، حاملةً الخراب والدمار لأصحابها الأصليين من العرب الفلسطينيين.

والفلسفة التى يحملها هؤلاء هى تلك التى عبر عنها أحدهم، «إبراهام هكت»، رئيس «اتحاد حاخامات أمريكا»، الذى قال «أنت لا تستطيع الثقة بأى عربى، حتى بعد ٤٠ سنة من دفنه، والآن مطلوب منا أن نثق بهم فى حياتنا.. كيف يستطيع إنسان عاقل أن يصدق عربياً؟!».. وهى تلك التى عَبَّرَ عنها حاخام آخر، فى رثاء جولدشتاين، سفاح مجزرة الخليل: «إن مليون عربى لا يساوون ظفر إصبع يهودى واحد»(١).

(١) مجلة «المجلة»، لندن، العدد (٧٣٥)، ١٣ ـ ١٩٩٤/٣/١٩.

أما الحاخام «دوف ليورد»، رئيس حاخامات «كريات أربع»، فلقد رثى «باروخ جولدشتاين» سفّاح مجزرة المسجد الإبراهيمى فى الخليل، باعتباره «قديساً يحمل القيم والمثل العليا فى اليهودية». وكان «ليورد» يُجيز استخدام المعتقلين العرب كحقل تجارب بيولوجى لصالح إسرائيل، فى حين قال الحاخام «جينسبرج»، من «اليهود اللوبافتش»، إن «دم غير اليهود لا يصل إلى مستوى دم اليهود»(١)، وهو تعبير نازى من المستوى الأول.

وقد كرر رئيس «اللجنة العامة للدفاع عن كرامة الإنسان»، الحاخام «مردخاى يديديا» نفس الدعوة العنصرية الوحشية السابقة، بمطالبته الحكومة بالسماح باستخدام أعضاء من أجساد العرب، الذين يُقتلون خلال الانتفاضة، فى زرع الأعضاء البشرية للمحتاجين من اليهود، بدلاً من الحصول عليها من يهود آخرين، لأنها عمليات محرمة بموجب القانون اليهودى الدينى.

وفى وقت سابق صرح «أوفاديا يوسف»، الحاخام الذى يرأس حزب «شاس»، (حليف حزب العمل فى الحكومة السابقة)، بأن «العرب أسوأ من أكثر الحيوانات تَوَحُشاً»(٢).

ويقف هؤلاء الحاخامات على قمة حركات المعارضة لأية تسوية فى المنطقة، وعلى رأس فرق التحريض على العنف ضد العرب، ويشكلون التنظيمات التى تستهدف إفشال مواقف الحكومة فى هذا السبيل، ويعقدون الاتصالات، ويرسمون الخطط، ويتصرفون بجرأة وقسوة وحرية، إلى الحد الذى دفع الناطق باسم «حركة السلام الآن»، (الإسرائيلية)، للتصريح بأنه يجرى تنصيب «حكومة بديلة فى (الأراضى)، (أى الأراضى المحتلة بعد ١٩٦٧).. حكومة حاخامات لا تعترف بالقوانين الإسرائيلية»، مضيفاً: ـ

---

(١) جريدة «الحياة» الدولية، ١٩٩٥/٣/٢٥.

(٢) فريد هوليداى، عنصرية إسرائيل لها سياق تاريخى، وليس دينياً، جريدة «الحياة» الدولية، لندن، ١٩٩٤/٥/١٨.

«وتشكل هذه الحكومة البديلة ميليشيات مهمتها مقاومة التوصل إلى اتفاق سلام بين إسرائيل والفلسطينيين»، وقد جاءت هذه التصريحات تعقيباً على قرار «مجلس المستوطنين» فى الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين، «تصعيد الاحتجاجات» لدفع الحكومة إلى اتخاذ إجراءات أكثر صرامة (تجاه الفلسطينيين)، واتهمت حركة «السلام الآن» المستوطنين بالقيام بأعمال عنف متزايدة ضد الفلسطينيين، فى ذات الوقت الذى أشارت الصحف الإسرائيلية إلى أن هجمات المستوطنين جاءت بتوجيه من حاخامات فى الضفة الغربية، يتهمون الحكومة بالإخفاق فى حمايتهم، بعد أن قامت مجموعات مسلحة من المستوطنين بالهجوم على المنازل العربية وتخريبها، وبتهشيم السيارات والحقول التى يملكها العرب، كما أشعلت النيران فى قرى فلسطينية فى الأراضى المحتلة[1].

واعتبر «آران هابات» الناطق باسم «حركة السلام الآن» أن أعمال المستوطنين «ليست احتجاجات فعلية، بل أفعال همجية، وهجمات على السكان العرب»[2]. فيما وصف «تيدى كوليك»، الصهيونى العريق، ورئيس بلدية القدس (آنذاك)، المستوطنين اليهود فى القدس الشرقية، بأنهم يتصرفون «على نحو بذىء وغير شرعى» وأضاف كوليك: «كل مستوطن يعيش هنا، يسير حاملاً علماً كما لو كان قد فتح القدس بمفرده.. إنه تصرف بذئ تماماً».. وأشار بإصبع الاتهام إلى أن هذه المجموعات «بكل الضجة التى تحدثها، وبكل سلوكها «غير الشرعى»، تشكل خطراً كبيراً، ولكنه اتجاه رسمه بعض أعضاءالحكومة»[3]، التى كان على قمتها، فى تلك الآونة، «إسحق شامير» الإرهابى القديم، ومن أركانها «آريئيل شارون» وزير (الدفاع) الصهيونى الأسبق الفاشى، و«ملك إسرائيل» غير المتوج.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) جريدة «الحياة» الدولية، لندن، ١٩٩١/١٢/٢٧.

(٣) المصدر نفسه.

وقد دفع الفزع من ممارسات الإرهاب، التى قامت بها جماعات المستوطنين المسلحة، بمباركة وتوجيه الحاخامات المتعصبين، يهودية أخرى، هى «شلوميت كيفان» للتصريح: «أعرف الكثير عن عمليات «الإبادة» الجماعية لليهود، وأشعر بأننا نفعل أشياء لا تختلف كثيراً عما فعله النازيون بنا»(١).

حرب الحاخامات:

ويُحَرِّضُ هؤلاء الحاخامات، الجنود والضباط فى الجيش الإسرائيلى، على رفض الانصياع لأوامر رؤسائهم بإخلاء المناطق المحتلة، التى اتُفق على تسليمها للفلسطينيين.

وقد جاء ذلك فى قرار أصدره زعماء «الاتحاد الدولى لحاخامى أرض إسرائيل»، بعد اجتماع حاشد عُقد بالقدس، تخلله حوار صاخب حول مسألة ما إذا كان يحق للجنود ـ لأسباب دينية ـ أن يرفضوا أوامر إخلاء قواعد الجيش فى الضفة الغربية، التى تعتبر من وجهة نظرهم جزءاً من «أرض الميعاد الممنوحة من الرب لإسرائيل»؟! وقد أعاد الاجتماع تأكيد فتوى ـ تجيب على هذا التساؤل ـ تُحَرِّمُ على اليهود التخلى عن أى جزء من «أرض إسرائيل التوراتية»، وهو ما اعتبره «إسحق رابين»، رئيس الوزراء الإسرائيلى السابق بمثابة «محاولة لنزع الشرعية عن الجيش»(٢).

وبعد عدة أيام من هذا الاجتماع أعادت مجموعة من الحاخامات البارزين فى إسرائيل، تأكيد هذه الفتوى، عقب اجتماع حاشد آخر لهم ضم (ألف وخمسمائة حاخام) برئاسة كبير حاخامات إسرائيل السابق، حيث ذكر المتحدث باسمهم، الحاخام العنصرى «حاييم دوركمان»، أنهم قرروا «أن التوراة تحظر إخلاء قواعد الجيش الإسرائيلى أو تسليم مواقعها لسيطرة غير اليهود، فهذا يشكل خطراً على الأرواح، وخطراً على وجود البلاد.. (ذلك) أن الحكيم «موسى بن ميمون» ـ الذى عاش فى القرن الثانى عشر ـ

(١) المصدر نفسه.

(٢) جريدة «الحياة» الدولية، لندن، ١٩٩٥/٧/٨.

أفتى «حتى إذا أمركم الملوك بمخالفة كلمة التوراة لا تنصتوا إليهم».. (ولذا) فمحظور على أى يهودى المشاركة فى أى عمل يساعد فى إخلاء مستوطنة أو قاعدة أو منشأة»[1].

وجاء فى فتوى الحاخامات ما نصه: «إننا نُفتى بأن هناك أمراً شرعياً يُحَرِّمُ إخلاء القواعد وتسليمها إلى غير اليهود، وأن الانسحاب المقترح ينطوى على خطر يهدد حياة السكان الإسرائيليين، وينطوى كذلك على خطر يمس وجود الدولة، وجاء فى التوراة (سفر اللاويين ١٩/٦) «لا تحدث فتنة فى شعبك، ولا تطلب دم قريبك، أنا الرب»، ونحن ندعو الحكومة وقيادة الجيش، ألاّ يضعوا الجنود فى حالة صعبة حيث يتنازعهم الإخلاص للمُثُلِ التى بنيت عليها حياتهم وبين أوامر الجيش.

إننا نتوجه إلى الحكومة ومن هم على رأسها أن لا يساعدوا على إحداث الانشقاق بين الشعب وبين جيش الدفاع الإسرائيلى، وأن يدعموا بقدر ما أوتوا من قوة وحدة إسرائيل، فى «ساعة المحنة»، وطلب الحاخامات من الجنود «عدم إطاعة الأوامر بخصوص القواعد»[2].

والحاخامات الذين أصدروا هذه الفتوى هم من غلاة الصهاينة المتدينين، الذين تعاونوا مع الدولة منذ قيامها، ورائدهم الحاخام «إبراهام هاهوكن كوك»، أول رئيس للحاخامات فى فلسطين فى القرن الحالى، والذى أضفى على الدولة العبرية العلمانية معنىً روحياً، حين اعتبرها ممثلة للعصر المسيحانى اليهودى، وكان يرى أن المشروع الصهيونى «هو تعبير حقيقى عن الروح اليهودى وجوهره»[3].

ورأى المراقبون فى هذه الفتوى بادرة تمزق خطيرة، تثير ملامح الانقسام داخل المجتمع الإسرائيلى الملئ بدواعى الشقاق، فالعدد الكبير من الحاخامات

(١) جعفر هادى حسن، رفض تنفيذ أوامر الإنسحاب يشق الجيش، جريدة «الحياة» الدولية، لندن، ١٩٩٥/٨/١٣.

(٢) المصدر نفسه.　　　　(٣) المصدر نفسه.

اليهود الذى اجتمع وتوحد حول رأى يبيح للعسكريين عصيان أوامر قادتهم، بدعوى أنها تتعارض مع تعاليم التوراة، يملك ـ فى أرض الواقع ـ قوة تأثيرية روحية كبيرة، من جهةٍ على العسكريين العاديين، الذين خضعوا لعمليات تعبئة طويلة المدى حول أهمية «أرض إسرائيل الكاملة» الموَّحدة، وقدسيتها، ومن جهة أخرى لنفوذهم المباشر على الآلاف من طلاب الشريعة (٢٠٪ من مجموع طلاب إسرائيل)، وخاصة المجندين فى المعاهد الدينية التى تسمى «هاسدر»، وهى مدارس تلمودية وتوراتية توجد داخل الجيش، ويخدم بها طلاب المدارس الدينية الذين يجندون لأداء فترة خدمتهم العسكرية.

وقد وصف الحاخام «بنى آلون»، أحد زعماء حركة المستوطنين، حكومة «رابين» بـ «الحكومة اللاشرعية»، و«لذلك فإن أوامر الجيش (بتسليم بعض الأراضى المحتلة للعرب) غير شرعية»، كما أشار آخرون إلى أن حكومة «رابين» ـ فى واقع الحال ـ هى حكومة أقلية، لأنها تستند فى بقائها «على دعم العرب من أعضاء الكنيست»[١].

وصَعَّدَ الحاخامات الأمر خطوة أخرى فى حربهم ضد «التسوية» ومجرياتها، حيث أعلن الحاخام «بينى إلون» الزعيم الروحى للحركة اليمينية المتطرفة «أرضنا»، التى تأسست بمساعدة حزب «الليكود» اليمينى، ومعه الحاخامان «موشى فجلين» و«همويل ساكت»، عضوا الحركة، الاحتجاج على محاولات إيجاد حل وسط بالنسبة للأراضى (المحتلة) فى الضفة الغربية المحتلة، حيث دعا الحاخامات الثلاثة الإسرائيليون للتمرد والعصيان التام، ومقاومة مشاريع الاتفاقات السياسية مع الفلسطينيين، الأمر الذى أدى «ولأول مرة فى تاريخ الدولة إلى تطبيق قانون «معاقبة العصيان» على من يقوم بتوجيه هذا النداء»[٢].

لقد رأى البعض من المحللين فى هذا الاتجاه، وهو ما أطلق عليه «حرب

(١) المصدر نفسه.

(2) LE. MONDE, Paris, 5/12/1995.

الحاخامات»، «أخطر شقاق وقع فى المجتمع الإسرائيلى، على اعتبار أنه شقاق بين التركيبتين الأخطر سرياناً فى هذا المجتمع، وهى الفعاليات الدينية والمؤسسة العسكرية»[١].

دعوة للتمرد

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن العديد من الحاخامات الصهيونيين، الذين أصبحوا مركزاً للقوة يصعب السيطرة عليه، تجاوزوا الأمر إلى تخوم الدعوة للتمرد على الدولة، وإعلان «العصيان المدنى» حتى تستجيب الحكومة لمطالبتهم بإجراء استفتاء حول المرحلة الثانية من اتفاقية «أوسلو»، وعلى رأس هذه الطائفة، يقف الحاخام «شلومور سكن»، حاخام مستوطنة «أرفات» بالضفة الغربية المحتلة، ومؤسسها، الذى يجهر بالرأى حول هذه القضية «لضمان أرضنا»[٢]، بعدما فرطت الحكومة فيها!.

أما رئيس الحاخامات الأشكيناز فى إسرائيل، «يسرائيل متبرلداو»، فكان أكثر وضوحاً وقطعاً فى هذا الشأن، حين صرح بأنه «إذا أُعطى أمر الانسحاب الجزئى، فإنه لا يمكن تصور أن يسمح الجندى لنفسه بعدم إطاعة الأوامر، لأن هذا سيحدث انقساماً بين الشعب، ويقود إلى حرب أهلية»[٣].

فى حين يطالب الحاخام «سمحا هاكوهن توك» رئيس حاخامات «أحبوب»، بتغيير النشيد الوطنى الإسرائيلى «هاتكفاه»، (الأمل)، وهو نشيد الحركة الصهيونية الرسمى، واستبداله بمزمور (٢٦) من مزامير التوراة (نشيد المراقى - شيرها معلوت)، الذى يتضمن شكر الرب على الرجوع إلى صهيون[٤].

---

(١) د. محمد الرسيحى، تأملات فى حرب الحاخامات، جريدة «الحياة» الدولية، لندن، ١٩٩٥/٥/٢٦.

(2) JEWISH CHRONICLE, 4/8/1995.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) جعفر هادى حسن، المتدينون يزداد نفوذهم، جريدة «الحياة» الدولية، لندن، ١٩٩٥/٨/١٤.

وخلال المفاوضات بين الحكومة الإسرائيلية و(السلطة الفلسطينية)، فى «طابا» حول وضع مدينة «الخليل»، التى يقطنها أربعمائة مستوطن يهودى، فى مقابل مائة وعشرين ألف عربى، تنادى العشرات من الحاخامات، جاءوا من كافة أنحاء الدولة والأراضى المحتلة إلى اجتماع عقدوه فى مستوطنة «كريات أربع» المجاورة لمدينة «الخليل»، لتدارس النتائج المحتملة لهذه المفاوضات، وقد صرح «حاييم دروكمان»، الحاخام العنصرى الشهير، بعد الاجتماع، بأن أية حكومة يهودية: «لا تملك سلطة التنازل عن شبر واحد من (الأراضى اليهودية)، ويتعين من ثم على الجنود رفض الانصياع لأى أمر بالانسحاب.. فكيف تجرؤ حكومة «رابين» على التنكر إلى هذا الحد للقيم اليهودية، بتقديم مدينة «الخليل» ـ موطن آبائنا إبراهيم وإسحق ويعقوب ـ هدية للعرب؟!..»[1].

ولم تمر هذه الفتاوى دون أن تترك أثراً فى بنية المجتمع ككل، والجيش الإسرائيلى خاصة، الذى أحدثت فيه الاتجاهات اليمينية المتطرفة، والدينية الصهيونية، اختراقات عديدة سابقة، خاصة إبان فترة تولى حكومة «الليكود» السلطة (١٩٧٧ ـ ١٩٩٢)، ففى العديد من الجرائم التى ارتكبت بحق العرب، اتضح أن جنوداً من الجيش قد أمدّوا مرتكبيها بالمتفجرات والسلاح، وثبت بأكثر من دليل ارتباط حركة «كاخ» العنصرية، والتجمعات التى تستهدف تدمير المسجد الأقصى لتشييد «هيكل سليمان» محله، بالعديد من الجنود الذى حولوا منازل هؤلاء إلى ترسانات سلاح مخيفة، وفى أواخر عام ١٩٩٣، على سبيل المثال، ردد خمسون من ضباط الاحتياط، ومجموعة كبيرة من الأكاديميين نفس دعوات الحاخامات العنصريين، حيث دعوا الجنود الإسرائيليين إلى رفض تنفيذ أية أوامر يمكن أن تصدرها الحكومة بإخلاء المستوطنات، وفى بيان منشور وجّهوه إلى «عناصر الشرطة والجنود وعناصر الأجهزة الأمنية الأخرى»، أعادوا تكرار نداءات الحاخامات للجنود بعدم المشاركة «فى اقتلاع مستوطنات يهودية، لأن ذلك أمر غير مشروع»[2].

(١) جريدة «الحياة» الدولية، لندن، ١٩٩٥/٩/٢٢.

(٢) مجلة «المجلة»، لندن، العدد (٧١٩)، ١٩٩٣/١١/٢٧.

واندلعت المظاهرات الحاشدة التى حَرَّضت عليها القوى الدينية - الأصولية والأحزاب اليمينة، هاتفة «رابين الخائن»، «رابين القاتل»، وهى تحمل صور «رابين» مرتدياً الزى النازى، ثم وهو يعتمر الكوفيّة العربية (رمزاً لبيع «أرض إسرائيل» المزعومة للفلسطينيين!).

وقد دفعت هذه الفتاوى التحريضية ونتائجها المتصوَّرة أركان الدولة الإسرائيلية، الذين شعروا بالانزعاج لصدورها، وأدركوا مخاطرها على وحدة دولتهم، إلى الرد عليها بعنف وحِدّة، «فعزرا وايزمان»، رئيس الدولة، وصفها بأنها أمر «فى غاية الخطورة»، ثم ألغى اجتماعاً له كان مقرراً مع مجموعة من الحاخامات احتجاجاً على فتاويهم، فى حين صرح «إسحق رابين»، رئيس الوزراء السابق، بـ «أنه شىء لا يصدق أن يأخذ بعض الحاخامات، على عاتقهم تحدى القانون ومخالفته.. إذ إن هذا يعنى الفوضى، ونحن سوف لن نسمح بذلك»، أما «حاييم هرتزوج»، الرئيس الأسبق لدولة إسرائيل، فقد كتب فى «The Jerusalem Reporter»، يتهم الحاخامات بقصر النظر إلى الأمور، إذ لم يأخذوا الظروف العامة فى الاعتبار، وقارن بينهم وبين حاخامات آخرين (سابقين) واجهتهم قضية مشابهة فى فلسطين، عندما اقترحت لجنة «بيل» فى الثلاثينيات تقسيم فلسطين إلى دولتين، ووافق الحاخامات آنذاك على ذلك، وأفتوا بأن التوراة لا تحرم تقسيم الأرض ولا تمنعه.. فهؤلاء كانوا أبعد نظراً وأكثر فهماً لدقائق الأمور، «حيث أخذوا فى الاعتبار التهديد الذى يحيق بيهود أوروبا».

والمقال الذى جاءت فيه هذه الكلمات لـ «حاييم هرتزوج»، عنوانه ذو دلالة: «قَسِّموا الأرض ولا تُقَسِّموا الشعب»[1]!

واستفزت هذه التطورات أركان المؤسسة العسكرية، الذين صَرَّح ناطق باسمهم بأن «القيادة العسكرية لها وحدها حق إصدار الأوامر»، فى الوقت

(١) جريدة «الحياة» الدولية، لندن، ١٩٩٥/٩/٢٣.

الذى أكد «رفائيل إيتان»، رئيس الأركان السابق «أن الجيش الذى يتلقى أوامره من الحاخامات، وليس من الحكومة، من شأنه أن يهزم فى الحرب»[1].

ثورة الحاخامات

والأخطر فى ذلك كله أن «ثورة الحاخامات» لم تترك آثارها على قمة المجتمع، فى صراع النخبة السياسية وحسب، وإنما امتدت عميقاً فى قاع المجتمع، ففى استطلاع لجريدة «يديعوت أحرونوت» عقب صدور هذه الفتاوى وتردد أصداؤها، أقرَّ نحو ربع عدد السكان، (٢٣٪)، بتأييدهم لفتوى الحاخامات، فيما عارضها الباقون، (٧٧٪)، وهو ما دفع الجريدة لكى تعنون صفحتها الأولى بمانشيت ذى دلالة: «أجواء حرب بين الأخوة فى العقد الاجتماعى فى إسرائيل: إنها المرة الأولى التى يُطلب فيها إلى الجنود عصيان الأوامر»[1].

وبعد اغتيال «إسحق رابين» تكشفت حقائق بالغة الخطورة، تعكس المدى الذى وصل إليه نفوذ وهيمنة الحاخامات الأصوليين المعادين للتسوية داخل إسرائيل، وعُرف أنه فى مفتتح عام ١٩٩٥ التقى «مجلس حاخامات الضفة الغربية وغزة» لمناقشة قضية إصدار فتوى ضد رئيس الوزراء المقتول، «إسحق رابين»، «بسبب تعاونه مع «أعداء اليهود»، حسب زعمهم، وكانت الفتوى المطلوبة تحمل فى طياتها الموافقة على قتل «رابين» لخيانته للقضية، ولتفريطه فى «أرض إسرائيل المقدسة».

وقد اتُهم الحاخام «ناحوم رابوفيتش»، من مستوطنة «معالى أدوميم»، فى الضفة الغربية المحتلة، بالتذرع بفتويين دينيتين لإعطاء الضوء الأخضر لقتل «رابين»، لأنه كان «يستعد للتفريط بأرض إسرائيل الكبرى»[3]، وكان «رابوفيتش» قد دعا المستوطنين إلى زرع ألغام على الطرق التى يسلكها

(١) المصدر نفسه، ١٩٩٥/٧/٢٠.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه، ١٩٩٥/١١/٢٩.

الجيش الإسرائيلى، فى حالة دعوة الجيش إلى التدخل لإزالة المستوطنات اليهودية فى أراضى «يهودا والسامرة» (الضفة الغربية المحتلة)[1].

... وعلى «رابين» اللعنة

والمثير للانتباه، فى هذا السياق، أن كافة الأسلحة حتى - الغيبية منها - قد استُخدمت لتحريض الجموع الإسرائيلية على الاتفاقات السياسية التى وقّعها «رابين» مع بعض الأنظمة العربية، على الرغم من كل المكاسب الاستراتيجية المتحققة لإسرائيل من ورائها، وقد نشرت الصحف الإسرائيلية، قبل اغتيال «رابين» بفترة وجيزة أن عدداً من المتطرفين الإسرائيليين، من الأحزاب اليمينية قاموا بالصلاة من أجل موت «إسحق رابين» بسبب توقيعه مع عرفات، على اتفاق طابا - واشنطن، وأوضحت صحيفة «هاآرتس» أن نحو عشرين عنصراً من حركة «كاخ» العنصرية والمعادية للعرب، والتى حُظِرَ نشاطها فى العام السابق، تجمعوا أمام منزل «رابين» وألقوا عليه اللعنة.. وبحسب بعض الفئات اليهودية، يعتبر علماء القبلانية، (تفسير صوفى ورمزى للتوراة)، أن هذه الصلاة المسماة «بولسا دينورا» (قضيب النار، بالآرامية) والتى ألقاها «يوسف ديان» أحد حاخامات «كاخ»، لعنة فى غاية الخطورة، وأشارت الصحيفة إلى نص الصلاة الذى أعده حاخامات من القدس وهو كالتالى: «يُحكم على «إسحق بن روزا» بالموت بالنار والسيف.. لخطاياه.. فليفقد «رابين» كل ما يملكه فى هذا العالم.. وليمت بسبب الشر الذى ألحقه بالشعب المقدس، وبأرض إسرائيل التى يتخلى عنها لأعدائنا، أبناء إسماعيل، لعنهم الله.. فلتتنزل عليه كل اللعنات حتى موته»[2].

كذلك صعّدت الأحزاب اليمينية المتحالفة - فى سعيها إلى كسب الشارع السياسى، من ضغوطها على حكومة حزب العمل، فنظّمت بالتعاون مع «مجلس المستوطنين» اليهود مظاهرة حاشدة، قارب طولها الكيلو متر، ألقى

(١) المصدر نفسه.
(٢) مجلة الهدف، دمشق، العدد (١٢٢٦)، ١٥/١٠/١٩٩٥.

فيها «بنيامين نتنياهو»، زعيم تكتل الليكود «خطبة نارية»، هاجم خلالها اتفاق «غـزة ـ أريحـا»، زاعـمـاً أنه «يُعَـرِّضُ الدولة الإسـرائيليـة للخطر»، أمـا المتظاهرون فكانوا يحملون أسلحة نارية آلية، ويرفعون لافتات تندد بحكومة حـزب «العمل» وتتهمـهـا بالكذب والخيـانة، وتصف مسـاعى التسـوية مع الفلسطينيين باعتبارها «حرب ضد الله»[١].

كذلك فقد دَسَّتْ عناصر من اليمين الدينى المتطرف، دعوة لقتل «رابين» بعد الحكم بتكفيره، لأنه «يتخلى عن أرض إسرائيل، التى هى منحة من الرب»، بجـوار قـبـر الإرهابى «باروخ جـولدشـتـاين».. أعلنت حـركـة «سـيـف داوود»[٢] مسئوليتها عنها، وكذلك عن عملية قتل عدد من العرب الفلسطينيين.

وقد وصف الحاخام «بينى آلون» حكومة «رابين» بأنها «متعفنة روحياً»، فى مـعـرض تعليقـه على إمكانية التخلى عن الاحـتـلال المباشـر لمسـاحـات مـحـدودة من الأراضى مـقـابل توقـيع اتفـاقـيات التـسـوية السـيـاسـيـة مع الفلسطينيين، فى الوقت الذى شـهـد إصـدار «جـمـعـيـة الحـاخـامـات» لبـيـان شـهـيـر، قبل توقيع اتفـاقـيـة أوسلو بنحـو عـام ونصف، جاء فيه «لقد قضى حـاخـامنا «تسـفى يهـودا كـوك» أن أى قـرار يتـخـذه يهـودى أو غـيـر يهـودى لحـرماننا من أى جـزء من أرضنا، سيكون قـراراً باطلاً لا قـيـمة له، لأن إرادة الله هى التى ستسود».. ومضى البـيـان يقول: «إن أى توقع بإحـلال سـلام مع الفلسطينيين (الذين وصفهم البيان بأنهم حيوانات على شكل بشـر!) ليس سوى وهم يوسوس به الشيطان»[٣].

ويقول الصـحـفى «دانى روبنشـتـاين» إن دبلومـاسـيـة «مدريد»، فى رأى أتبـاع الحاخام «كوك»، «ليست أكثر من حوار بين بشر وبين قطيع من الذئاب المتوحشة، هدفه الوحيد هو تحويل كامل أرض إسرائيل إلى أرض للعرب بكاملها»[٤].

---

(١) هالة العيسوى، رابين قد يكون أول طابور ضحايا الاغتيال، مجلة «آخر ساعة»، القاهرة، العدد (٣١٨٦)، ١٥/١١/١٩٩٥. (٢) المصدر نفسه. (٣) المصدر نفسه.

(٤) مروان بشارة وجفرى آرنسون ومروان الخطيب، الأصوليون اليهود يعلنون الحرب: =

بل إن حاخامات إسرائيل هؤلاء، لم يتورعوا، حتى بعد اغتيال «رابين» عن ابتزاز الحكومة، بتهديدها بسلاح العمل «تحت الأرض»، بعد أن أصبح الشخص المعارض، على حد زعمهم، «لا يجد إلا طريقاً واحداً للتغيير وهو النشاط السرى»[1].. وهو أمر جديد ـ بكل الصور ـ على دولة تزعم تبنى الديمقراطية كأداة للتغيير، معترف بها، ومُقَرة، ومستقرة.

وقد صدمت هذه الأنباء عناصر متعددة قبيل اغتيال «إسحق رابين»، فطالب البعض منهم، مثل البروفيسور «زيمرمان»، الأستاذ بالجامعة العبرية، بوضع حد لنشاطات هذه المجموعات التى اعتبرها «نسخة من الألمان النازيين»، وأدان إجازتهم «قتل الناس، كقتل جولد شتاين للعرب، بل وهم يجيزون قتل اليهود أيضاً»[2]. وقد تلقى البروفيسور «زيمرمان» ـ بعد نشر هذا الكلام ـ تهديداً بالقتل كذلك.

وبالرغم من الحملات العنيفة التى وجَّهت حرابها إلى جسم الجماعات الأصولية وأفكارها ـ والتى تصاعدت وتيرتها بعد أن أفاق المجتمع الإسرائيلى من الصدمة الأولى لتلقيه وقائع اغتيال «إسحق رابين»، على يد يهودى، أى واحد منهم، وعلى الرغم من مواقع الدفاع التى التزمتها أقسام من الحركات والتنظيمات الأصولية، «حتى تمر العاصفة»، فلم يكن ما حدث كافياً وحده لتقليم أظافر هذه الجماعات ونزع فتيل الخطر من القنبلة المدمرة التى يحملونها، إذ كان الواضح أن قوىً كثيرة، ونافذة، فى المجتمع الإسرائيلى، لجمت عمليات تصفية هذه الاتجاهات، وحجَّمت محاولات تجريدها من عناصر قوتها.. وهذا هو مبعث الخطر الحقيقى.. فما تعلنه هذه الجماعات تبطنه اتجاهات سياسية متعددة فى إسرائيل، وما تُعَبِّرُ عنه علانية، يُعَبِّرُ عن أفكار قوىً أخرى شديدة التأثير فى المجتمع الصهيونى،

= تحقيق من الخليل والقدس وباريس، مجلة «الوسط»، لندن، العدد (١١٠)، ١٩٩٤/٣/٧.

(١) جعفر هادى حسن، اتساع شقة الخلاف بين اليهود الأرثوذكس والعلمانيين فى إسرائيل بعد اغتيال رابين، جريدة «الحياة» الدولية، لندن ١٩٩٥/١٢/٢٥.

(٢) المصدر نفسه.

وهى التى ميَّعت المحاولات الضعيفة، التى رأت فى واقعة اغتيال رئيس الوزراء المقتول، «إسحق رابين، ظرفاً مواتياً لإعادة ضبط الأمور، وللتخلص ـ ولو إلى حدٍ معقول ـ من الخطر المزمن المزروع فى أعماق المجتمع.

لقد استطاعت القيادة السياسية لحزب «العمل» السيطرة على الوضع الخطير الذى أعقب اغتيال «رابين»، والعبور بالدولة الصهيونية إلى شاطئ الأمان، مؤقتاً، وكان الشعور القوى بالصدمة من اغتيال «رابين» على يد يهودى وليس عربياً، عنصراً مساعداً لنجاح هذه العملية، إذ إن هذا الأمر أصاب الإسرائيليين بنوع من الشلل، ألجم أى رد فعل تلقائى كان من الممكن أن يقود إلى فوضى لا يُعرف مداها.. غير أن هذه الواقعة ـ من منظور آخر ـ عكست الحجم الهائل للتناقضات والمخاطر والقلاقل التى تحيا فى أعماق هذا المخلوق الهجين، المصطنع.. إسرائيل، وأثبتت ـ بدليل لا يدحض ـ فشل كل برامج هضم التباينات الحادة، واستيعاب التناقضات العميقة، المتصارعة فى المعدة الإسرائيلية.

التهديد بـ «الحرب الأهلية»

ومن جديد، أعادت هذه الواقعة فتح ملف تكهنات سياسية سادت فى فترة ماضية، حول انقلاب عسكرى يمينى عنصرى أصولى داخل إسرائيل: الإمكانية، وشروط النجاح، وقد دعم هذه (المخاوف) والتكهنات، أن هذه الجماعات لم تستكن للهجمة التى تعرضت لها، بل بادرت بهجمة عنيفة مضادة، كَشَّرت فيها عن أنيابها، وأعلنت عزمها على الاستمرار فى نهجها السالف، الذى يضع الدولة الصهيونية على حافة صدامات دامية مدمرة، فالحاخام «بروكمان»، اليهودى، الأشكينازى، الأصولى، المتطرف، وأحد رموز معارضة التسوية السياسية مع العرب، أعلن على رؤوس الأشهاد فى اجتماع حاشد فى القدس: «نحن لسنا مذنبين، ونحن نرى طبقاً للمُثُل الحقيقية»[1]، فيما ذكر آخر أن هناك حقيقة واحدة فحسب، وهى أن «أرض إسرائيل» هى أرضنا والتنازل عنها سيجلب الدمار»، وأكد الحاخام «مردخاى جرينبرج»،

(١) المصدر نفسه.

رئيس المعهد الدينى (اليشيفا) الذى درس به «إيجال عامير»، قاتل «إسحق رابين»: «إن أيديولوچيتنا سوف لا تتغير، وسنستمر فى تدريس التوراة، وكذلك مركزية «أرض إسرائيل» وعلاقة «أرض إسرائيل» بعملية الخلاص (المسيحانى)»[1]. كذلك فلقد هاجمت حركة نسائية مرتبطة بالمستوطنين، هى حركة «النساء الخضر»، «بيريز» وحكومته (بعد اغتيال رابين)، واتهمت عملية (السلام) «باعتبارها خدعة للشعب اليهودى»[2]، أما «يعقوب توفك»، رئيس جماعة «متمص» اليمينية المعارضة للتسوية، فقد كان بالغ الصرامة والوضوح، فقال مُدّعيا استشراف المستقبل: «إن الحكومة تسير نحو الديكتاتورية، وهذا سيقود إلى حرب أهلية»[3].

أما «إسحق شامير»، زعيم الليكود السابق، والإرهابى العتيد، فقد أعلن أن حادث الاغتيال هو تأكيد لانقسام الإسرائيليين، ولرفض أغلبيتهم لـ «سلام» حزب «العمل»، محذراً من انفجار «حرب أهلية إسرائيلية قد تسفر عن نتائج كارثية»[4].

وفى الطرف المقابل، دعا «أيهود باراك»، وزير الداخلية الإسرائيلى (سابقاً) إلى «سحق» مجموعات اليمين المتطرف، واستخدام «كل الوسائل»، «فى إطار القانون للقضاء على أى تحريض على العنف فى المهد»[5]، فيما تهمت «ليا» زوجة «رابين»، «بنيامين نتنياهو»، زعيم تكتل «الليكود» بالمسئولية عن مقتل زوجها، وبوقوفه وراء عمليات تحريض اليمين المتطرف بعد اتهامه «رابين» بالخيانة.. وهكذا تتضح معالم الصورة بدقة، فالدولة المتحدة التى قدمها صُنّاعها إلى العالم باعتبارها مأوى اليهود «المنصهرين، ورمز وحدتهم» المزعومة، تتبدى ـ فى واقعها الحقيقى ـ «شظايا» متناقضة، وقطعاً من «الفسيفساء» تفتقد عناصر اللحمة، وأسباب التماسك.

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) مجله «الهدف»، دمشق، العدد (١٢٣٨)، ١٢/١١/١٩٩٦.

(٥) لمصدر نفسه.

بيت منقسم على نفسه

ولأنها كيان مصطنع، فهى ـ مثلها مثل كل شىء مصطنع فى هذا الوجود ـ عرضة للزوال، حتى وهى فى أوج انتصاراتها وقمة قوتها، فبحسب تعداد نهاية عام ١٩٩٣، يتشكل «الموزاييك» الإسرائيلى من ٤,٢٣٥,٢٠٠ شخصاً، منهم ١٧٪ من أصل آسيوى، ١٩,٣٪ من أصل إفريقى، ٣٩,٩٪ من أصل آمريكى ـ أوروبى، ٢٣,٨٪ من مواليد إسرائيل (الصابرا)، ٢٨٪ من مواليد الدول العربية (ضمنهم ٩,٨٪ من أصل عربى آسيوى، ١٧,٧٪ من أصل عربى إفريقى)، ١٦,٣٪ من اليهود السوفييت[١]، وهو «موزاييك» غريب، يحمل فى أعماقه أسباب انهياره.

لقد أعادت هذه المشاهد الذكريات المتوترة لوقائع أوائل التسعينات، حينما بلغ الصدام بين القطاعات غير الدينية والتجمعات الدينية مدىً لم يكن قد بلغه من قبل، فقد طالبت عائلات الموتى أن يظهر التاريخ غير اليهودى على قبور موتاهم بجانب تاريخ التقويم اليهودى، وتم افتتاح معابد «إصلاحية» رغم معارضة التيارات «الأرثوذكسية» القوية، وارتفعت أصوات داخل حزب «العمل» و(اليسار) تنادى بالفصل الحاسم بين الدين والدولة حتى تتيسر مراسيم الزواج والطلاق والدفن المدنى.. ومن جهتها انفجر غضب «الشراذم» الأرثوذكسية، فخرجوا هائجين يحطمون لوحات «الفاترينات» التى تحمل الأزياء العصرية و«المتبرجة»، ورشقوا بالحجارة المارة فى أيام السبت، وهاجم الشباب غير المتدين المحتج ما وصفوه بـ «الحصار الذى تفرضه القوى الغازية لمتطرفى القدس على غير المتدينين»، وتفجرت أعمال العنف فى الشوارع، وشُنت «إغارات» سريعة على المناطق التى يسكنها المتشددون، حيث غُطيت الجدران بالشعارات المناهضة للدين، ومورست النشاطات الترفيهية (سينمات ـ مسارح ـ مطاعم ـ ملاهٍ) فى ليالى الجمع، كما سُيِّرت حاملات النقل فى أيام السبت.. ثم بلغت هذه الصدامات ذروتها

(١) جريدة «الأهرام»، القاهرة، ١٩٩٦/٢/٧.

بوضع الجماعات غير المتدينة رأس خنزير، فى ربيع عام ١٩٩١ ـ على عتبة أحد المعابد، فى إشارة ذات دلالة على احتقارهم للتراث الدينى، واستفزازهم لرموزه ومقدساته وهو أمر اعتبرته الجماعات «الأرثوذكسية»، مستدعياً لـ «الذكريات السلوكية المناهضة للسامية»[١]. فى حين رد الإسرائيليون العلمانيون التهمة، بقولهم إنهم أدركوا دوافع المعادين للسامية، حينما رأوا هذه الشعائر الأرثوذكسية التى يتمسك بها «اليهود السود» أو «السود»، وهو التعبير الذى يطلقونه على اليهود المتشددين، نسبةً إلى ملابسهم السوداء الميزة التى يترتدونها دوماً.

لقد اعتبر العلمانيون الاتجاهات المتشددة دينياً «حيواناً متطفلاً يستنزف عصارة المجتمع المدنى»[٢]، وصَعَّدوا فى مواجهتها رفضهم للالتزام بطقوسها، وفى ذروة هذا الصدام أوضح استطلاع للرأى وجود انقسام فى إسرائيل بشأن التزام المصالح العامة والمواطنين بالقيود الدينية، التى تمنع القيام بأى نشاط يوم السبت، وأعلن نحو ٤٩ فى المائة من عينة الاستطلاع تأييدهم لتحرير الأنشطة العامة بما فيها الزواج والطلاق من القيود التى تُفرض فى مثل هذه الحالات، فى حين أيد ٢٣ فى المائة السماح بالنشاط التجارى والنقل العام.. وعلى الجانب الآخر أيد ١٠ فى المائة إبقاء الوضع على ما هو عليه فى حين طالب ٩ فى المائة فقط بتشديد القوانين الخاصة بيوم السبت[٣].

«يهود الفلاشا»: عناقيد الغضب

وقد أدى هذا الوضع الشاذ، إلى تفاقم الصراعات العرقية وتعدد محاورها، بين اليهود القادمين من الغرب «الأشكينار»، ويهود الشرق «السفارديم»، وبين اليهود والعرب، وبين الطوائف اليهودية ذاتها، وفى هذا

---

(١) يوسى ميلمان، مصدر سبق ذكره، ص ص ١٥٦ ـ ١٥٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٨.

(٣) مجلة المصور، العدد (٣٥٠٣)، ١٩٩١/١١/٢٩.

الإطار الذى يهدد بتمزيق نسيج الدولة، الواهى أصلاً، انفجرت (غضبة) «الفلاشا» الأثيوبيين، فى أوائل شهر فبراير ١٩٩٦، احتجاجاً على قرار وزارة الصحة الإسرائيلية بالتخلص من الدماء التى يتبرعون بها، تحججاً بارتفاع نسبة الإصابة بفيروس الإيدز بينهم (٥٢٠ حالة بين ٦٠ ألف أثيوبى، مقابل ٨٠٠ حالة من بين أربعة ملايين وثلث تقريباً هم إجمالى عدد السكان)، وقد عبّرت ثورة (اليهود) الأثيوبيين عن عمق الانقسام داخل بنية المجتمع الإسرائيلى، وعكست تفرد يهود أوروبا والغرب (الأشكيناز) بمواقع الهيمنة العليا فى الدولة، التى دعمها، فى السنوات الأخيرة، الهجرات المتزايدة ليهود الاتحاد السوفيتى السابق، بعد انهياره، فهذه الوضعية أدت إلى إزاحة (يهود) أثيوبيا إلى مواقع أكثر ضعة ودونية، لا «ينافسهم» فيها إلا وضعية العربى وحدها! فالأثيوبيون «هبطوا من «طائرات موسى»، (سميت عملية نقلهم بين عامى ١٩٨٤، ١٩٨٥ من أثيوبيا إلى إسرائيل بعملية موسى) إلى القاع مباشرة، وفَجَّرت أحداثهم ضوءاً كاشفاً أضاء بقوة حقيقية أن «التجمع اليهودى غير قادر على التصالح مع نفسه»، وهو كمجتمع عنصرى يوجه أحقاده ليس فقط للعرب المضطهدين دوماً، وإنما أيضاً لقطاع من قطاعاته بسبب لون بشرته السوداء، ويعترف الكاتب الإسرائيلى «دان كيسلو»: «لقد تَرَفَّعَنَا عن يهود أثيوبيا، وتعاملنا مهم كالأسياد»[١]، فى حين أشارت «ريوما»، زوجة الرئيس الإسرائيلى «عزرا وايزمان» إلى أنه «ربما كانت هذه المشكلة طبية، ولكن الحل جاء عنصرياً»[٢].

لكن المسألة لم تكن تعكس مجرد حل عنصرى لمسألة طبية، إنما كانت، فى الواقع، أعمق من ذلك بكثير، فاليهود «الفلاشا»، كانوا منذ البدء مشكوك فى أصولهم اليهودية، وخضعوا ـ تحت إصرار الحاخامية الإسرائيلية ـ إلى عملية مهينة لـ «التحقق من يهوديتهم»، ولا تضم هيئة التدريس الجامعية أى

(١) طارق حسن، إسرائيل دولة الأشكيناز، فقط، جريدة «الأهرام»، القاهرة، ١٩٩٦/٢/٧.

(٢) المصدر نفسه.

أستاذ منهم، ناهيك عن مراكز الجيش المحترمة، وهم يعيشون فى معازل تحت اسم «مدن التطوير» سيئة السمعة، وتنتشر البطالة فى صفوفهم (٢٠٪ مقابل أقل من ٨٪ لدى الفئات الأخرى) وتتزايد معدلات الانتحار بصورة واضحة بينهم (بلغ عدد المنتحرين من بين شباب الفلاشا ٢٠ شاباً[١]، وانتحر ٦٠ مجنداً منهم فيما بين عامى ١٩٩٤/٨٤، وهو أعلى معدل انتحار بين مختلف المجموعات الإسرائيلية بالجيش[٢]، وترفض السلطات الإسرائيلية تعيين رجال دين من بين عناصرهم، ولا يُشار إليهم فى المجتمع إلا بكلمة «شفارتس»، (اليديشية)، أو «كوشى»، (العبرية)، اللتان تعنيان شيئاً واحداً: الأسود! وهم - حتى الآن - لا ينظر إليهم باعتبارهم من مواطنى الدولة، وإنما «سُكّان» أو «طائفة» أو «جماعة» على هامش البنية العنصرية الهيكلية لها ومن المستحسن - لدى الكثيرين - ألا يكونوا عنصراً عضوياً بها، إلى الحد الذى يدفع يهود آرثوذكس، مسلحين بالهراوات، للتعاضد من أجل منع إقامة ١٥ عائلة من الفلاشا فى مُجَمّعٍ سكنى يقطنونه[٣].

ويلقى هذا السلوك العنصرى تأييد قطاعات واسعة من الإسرائيليين، فبحسب استطلاعات معهد «مدجام» الإسرائيلى، أعلن ٤٠٪ عن تأييدهم لسياسة بنك الدم التى رفضت استخدام دم الفلاشا، واعتبروها «سياسة صحيحة»، وأيد ٥٤٪ منهم عمليات القمع العنيفة التى مارستها الشرطة الإسرائيلية فى مواجهتهم، بدعوى «أنها تجمعات سكانية خطيرة تحمل فيروسات أمراض فتّاكة كالإيدز»[٤]، وهو ما أثار شعوراً عميقاً بالمهانة لدى أبناء طائفة «الفلاشا»، عَبَّروا عنه بوضوح قاطع: «بشرتنا سوداء، ودمنا أحمر مثل دمكم»[٥]، «لأول مرة، فى حياتى عرفت بعد وصولى لإسرائيل

(1) LE FIGARO, Paris, 28/1/1996.

(٢) جريدة «الأهرام»، القاهرة، ١٩٩٦/٢/٧.

(3) LE MONDE, Paris, 5/1/1996.

(٤) طارق حسن، مصدر سبق ذكره.

(٥) المصدر نفسه.

أننى أسود اللون»[١]، «يقولون إن رائحتنا كريهة، نشعر جميعاً بالإهانة العميقة، ويملؤنا الألم والغضب الشديد»[٢]، وهذا الشعور كان هو الدافع خلف الانفجارات الاجتماعية العنيفة لطائفة «الفلاشا»، وهى الانفجارات التى تخللها تبادل القذف بالحجارة من الأثيوبيين، والقصف بقنابل الغاز والرصاص المطاطى من جانب الشرطة، وَوُصفت باعتبارها وقائع «لم يحدث مثلها بين يهود ويهود، إنما بين أعداء».. «ففى غضبهم لم يعد الأثيوبيون يهوداً، كما ضربتهم الشرطة الإسرائيلية بقسوة لا تفعلها مع يهود بالمطلق»[٣].

ومرة أخرى تعود النغمة نفسها التى تكررت مراراً من قبل، وباعتبارها الحل الأمثل للصراعات العرقية والمذهبية، داخل إسرائيل (الديمقراطية): «الحرب الأهلية»: «نحن على استعداد للتضحية بحياتنا لكى نضع نهاية للتمييز الممارس بحقنا»، مثلما يقول «أديسو ماسيلا»، رئيس «اتحاد جمعيات الأثيوبيين»، أو هو التهديد بـ «انتفاضة على غرار الانتفاضة الفلسطينية»، إذا لم تتوصل الحكومة الإسرائيلية إلى حل مشاكلهم «حلاً جذرياً»، يبدد أسباب معاناتهم، ويخلصهم من معضلة وجودهم المرفوض، وهو أمر مشكوك فى تحققه، صعب فى تنفيذه، لأنه يمس جوهر النفسية الصهيونية العنصرية، ويقتضى نسف أسس الدولة الإسرائيلية الاستعمارية الإحلالية العدوانية العنصرية ذاتها.

■ ■ ■

(١) LE MONDE، مصدر سبق ذكره.

(2) LE FIGARO, Paris, 29/1/1996.

(٣) طارق حسن، مصدر سبق ذكره.

حتى التذكير بـ «أوشفيتز» لا ينبغى أن يُشَكِّل ضغطاً علينا يدعونا إلى مساندة القضية الباطلة. إنى أتكلم بوصفى ماركسياً من أصل يهودى رأيت موت بعض أسرته فى «أوشفيتز» وله أقارب فى إسرائيل.

إن الإسرائيليين يلعبون دور البروسيين فى الشرق الأوسط، وهم قبلوا أن يلعبوا دور رأس الحربة للإمبرياليات الأوروبية الشائخة المترنحة، لقد أسلموا أنفسهم لحملة لواء الدعاية منهم، يجرونهم بالالتجاء إلى روايات البطولة التى وردت فى التوراة، وكل الرموز القومية والدينية القديمة للتاريخ اليهودى، إلى كل مظاهر النزعة الحربية والعجرفة والتعصب.

من المسئول عن المصير المؤلم ليهود أوربا و«أوشفيتز» و«ميدينيك»، ومذابح الأحياء التى حوصر فيها اليهود، إن لم تكن الحضارة البرجوازية الغربية التى أنجبت النازية؟ ومع ذلك فإن العرب هم الذين طولبوا بالتكفير عن هذه الجرائم، وأنهم مازالوا يكفرون!.

«إسحق دويتشر»، فى حديث أدلى به لمجلة «اليسار الجديد» فى آخر صيف ١٩٦٧.

إن الجرائم التى تُقترف ضد اليهود لا يطويها النسيان. أما الذين يقترفون الجرائم ضد العرب فسرعان ما يُغفر لهم.

«ديميرون»

الفصل التاسع

ثقافة من أجل القتل

الحقد على «مصر»، وكراهية «المصريين»!

١ ـ عبادة القوة فى المفهوم التوراتى والإسرائيلى المعاصر

قَدَّمت إسرائيل جيشها للعالم، باعتباره جيش «اليد الطاهرة» صاحب الرسالة الإنسانية، المبّرأ من النقائص والدنايا، وهى كذبة كبيرة من أكاذيب الصهيونية المستمرة على امتداد تاريخها الطويل، إذ يصعب ـ بالفعل ـ رصد وحصر الجرائم الصغرى والكبرى، التى نفذها الجيش الإسرائيلى بـ «دم بارد»، على امتداد فترات تكوينه الأولى، قبل إعلان «الدولة»، وبعد تكوينها، وحتى الآن.

فعملية الاغتصاب للأرض العربية الفلسطينية، واكبها إدراك صهيونى عميق بأن نجاح مخطط تهويد فلسطين، فى مواجهة الرفض العنيد، والمستمر، لأصحاب الوطن الأصليين، لابد وأن يعتمد على قوة الفرض، وإكراه العنف، واتفق فى ذلك (يسار) الحركة الصهيونية، مع (يمينها) فـ «الوضع فى فلسطين ـ كما رأى «بن جوريون» ـ لا يمكن أن يُسَّوى إلا بالقوة العسكرية، ولذا فإسرائيل «لا يمكن أن تعيش إلا بالقوة والسلاح»(١)، فى حين كان شعار «مناحم بيجن» الشهير: «أنا أحارب.. إذاً فأنا موجود» و«كن أخى وإلا قتلتك»(٢).

وهما فى هذا السياق يرددان ـ بنغمات متباينة ـ مقولة «زئيف

---

(١) ديفيد بن جوريون، إسرائيل: سنوات التحدى، نيويورك، هولت راينهارت ونستون، ١٩٦٣، ص: ٦٥.

(٢) مذكورة فى إبراهيم العابد، العنف والسلام: دراسة فى الاستراتيجية الصهيونية، بيروت، منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث، سلسلة دراسات فلسطينية، رقم ١٠، مارس ١٩٦٧، ص: ١٩.

جابوتنسكى» الزعيم الإرهابى الشهير، والأب الروحى لـ «شامير» و «شارون» و«نتنياهو»، «إن التوراة والسيف أُنزلا علينا من السماء»[1].

لقد أدت سيادة فكرة تمجيد القوة الباطشة، والعنف، إضافة إلى عملية العسكرة، «الإسبارطية»، المستمرة للمجتمع الإسرائيلى، والتى تصاعدت معدلاتها بوتيرة هائلة على مدار كل سنوات الدولة، السابقة، وكذلك الحقائق التى أفرزتها «الأحذية العسكرية» الصهيونية الثقيلة على أرض الواقع العربى، والنجاحات الهائلة التى تحققت، بالفعل، كنتيجة أساسية من نتائج تفسخ وانهيار الإرادة الرسمية العربية، إلى انتصارات استراتيجية لآلة الحرب العسكرية الإسرائيلية، الأمر الذى دعم بدوره من سيادة أفكار تمجيد العنف والقوة الباطشة، حتى أصبحت هذه الأفكار لصيقة بالشخصية الإسرائيلية، وجزءاً عضوياً من مكوناتها، ونفذت عميقاً إلى آغوارها السحيقة: فالتقدير المتزايد لبطش القوة المتفوقة، ودورها فى الحفاظ على كيان الدولة وحمايته، وتأليه المحارب الصهيونى، وتسليط الضوء على (بطولاته) المدَّعاه، واحتقار القيم الإنسانية الرفيعة، والأعراف البشرية المتفق عليها فى الصراعات المسلحة (مثلما حدث مع الأسرى المصريين العزل، وأبناء الشعب الفلسطينى من قبل)، باتت تصوغ الوجدان الصهيونى، المفرد والجمعى، وتؤثر فى توجهاته الأساسية، وتنعكس فى مسلكياته اليومية، إلى الحد الذى يصفه الجنرال (السابق)، «إسرائيل تال»، بقوله: «إن مصير أى شعب من الشعوب يشكل سلوكه، ومصيرنا يجعل منا أمة من المحاربين، لأننا قد لا نستطيع أن نتراجع، وجنودنا يوقنون أنهم لا يملكون أن يخسروا، وإلا حُكم على نسائهم وأطفالهم بالإعدام»[2].

---

(١) مقاتل ونبى: قصة فلاديمير جابوتنسكى ـ السنوات الأخيرة، نيويورك: أ. س. برس وشركاه، ١٩٦١، ص: ٢٨٣، مذكورة فى المصدر السابق.

(٢) مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، العسكرية الصهيونية، (جـ٢)، القاهرة، مؤسسة الأهرام، ١٩٧٤، ص: ٨٧.

٢ ـ جذور «إرهاب الدولة الإسرائيلية»:

ولم يأت هذا العنف الأهوج، المنظم، المتصاعد، والذى شَكَّلَ ركيزة ما أُطلق عليه ـ عن حق ـ «إرهاب الدولة الإسرائيلية» من فراغ.. لقد استند إلى محددات موروثة، وارتكز على مقولات مستقاة، من تاريخ موغل فى القدم، مبنى على مجموعة من الأساطير الدائية، والحكايات الساذجة، الملفقة، التى صاغها ـ بعد قرون من التاريخ المفترض وقوعها فيه ـ (الحكماء) ورواة القصص الدينى ودهاقنة الحاخامات، مستفيدين من مرويات وآدبيات الدول، والقبائل، والحضارات التى احتكوا بها، والتى كانت محيطة بمجال حركتهم من كل جانب: الفرعونية، والبابلية، والأشورية، والكنعانية، والفينيقية.. إلخ، وسعوا بواسطتها إلى الحفاظ على لحمة القبائل اليهودية، وتماسك مقوماتها الشخصية، فى مواجهة المحن الشديدة التى مرت بها، والصدمات العنيفة التى هددت بقاءها، فعوضوا استكانتها وقيود المذلة التى رسفت فيه القرون ـ فى جلِّ الأماكن التى انتشروا بها ـ عن طريق أساطير للبطولة من صنع الخيال ونسج الأوهام، وبواسطة إنجازات تاريخ مصطنع، مارسوا خلاله كل ما مورس ضدهم من قهر، على الآخرين*، بعمليات الانتقام والتعويض، عن طريق مسلسل من القتل والذبح والحرق للخصوم والمنافسين والأعداء، بصورة قل نظيرها فى التراث المكتوب أو المحكى لأية مجموعة بشرية أخرى، حيث يتحول الإله فى كتبهم إلى صورة مقززة للبطش الأهوج والانتقام، فـ «الرب رجل حرب»[١]، منتقم، شرير، والأنبياء سَفَّاحون، والقادة التاريخيون ليسوا سوى مصاصى دماء وقطاع طرق.

وقد جَسَّد «سفر يشوع»، الذى يُرجع إليه باعتباره مصدراً أساسياً

* «فقال الرب: إنى قد رأيت مَذَلَّة شعبى الذى بمصر، وسمعت صراخه بسبب مُسَخِّريه، وعلمت بآلامه، فنزلت لأنقذه من أيدى المصريين، وأصعده من هذه الأرض إلى أرض طيِّبة واسعة، إلى أرض تدر لبناً وعسلاً». (سفر الخروج ـ ٣: ٥).

(١) سفر «الخروج» ـ ١٥.

لتعاليم الأصولية اليهودية والصهيونية، هذه الرؤى الدموية، وحدد موقف «إسرائيل» من «الأغيار»، حيث أباح إبادتهم «بحد السيف» وحرقهم وتخريب أراضيهم وممتلكاتهم:

- فحينما تم فتح آريحا، فإنهم «استولوا على المدينة، وحرموا كل ما فى المدينة من الرجل وحتى المرأة، ومن الشاب وحتى الشيخ، حتى البقر والغنم والحمير فقتلوهم بحد السيف»[١]... «وأحرقوا المدينة وكل ما فيها بالنار، إلا الفضة والذهب وآنية النحاس (طبعاً)، فإنهم جعلوها فى بيت الرب»[٢].. «أما أريحا فقتلوا جميع ما فى المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ وحتى البقر»[٣]

- وتتكرر الممارسات الهمجية نفسها عند الاستيلاء على مدينة اسمها «العى»، فيذكر «سفر يشوع»: «ولما انتهى بنو إسرائيل من قتل جميع سكان «العى» فى الحقول وفى البرية حيث طاردوهم، وسقطوا جميعاً بحد السيف عن آخرهم، رجع كل إلى «العى» وضربوها بحد السيف، وكان جملة من سقط فى ذلك اليوم من رجل وامرأة إثنى عشر ألفاً، جميع أهل العى»[٤].. «وأحرق يشوع «العى» وجعلها ركاماً للأبد، خراباً إلى هذا اليوم»[٥].

... أما «لاكيش ولينة»، فلم يكن ما نالها على أيدى «إسرائيل» بأقل مما نال «آريحا» و«العى»، إذ «آسلم الرب «لاكيش» إلى أيدى «إسرائيل»، فاستولى عليها فى اليوم الثانى وضربها بحد السيف، وقتل كل نفس فيها كما فعل بـ «لينة»، حينئذ صعد «هورام»، ملك «جارز»، لنجدة «لاكيش»، فضربه «يشوع»، هو وقومه، حتى لم يبق منهم باقياً»[٦].

وكذلك أيضاً كان هذا الأسلوب التوراتى هو ذاته المتبع والمجَرَّب فى

---

(١) سفر «يشوع» ـ ٦: ٢١.

(٢) سفر «يشوع» ـ ٦: ٢٤.

(٣) سفر «يشوع» ـ ٨: ٢١/٢٨.

(٤) سفر «يشوع» ـ ٨: ٢٤.

(٥) سفر «يشوع» ـ ٨: ٢٨.

(٦) سفر «يشوع» ـ ٨: ٢١.

«ميروم»، حيث «أسلمهم الرب إلى أيدى إسرائيل»، فضربوهم وطاردوهم إلى «صيدون» الكبيرة، و«مسرفوت حييم» و«وادى المصفاة» شرقاً، وضربوهم حتى لم يبق منهم باق، وصنع بهم «يشوع» كما قال الرب: عاقب خيلهم، وأحرق مركباتهم بالنار»[1].

.. «لأن ذلك كان من قِبل الرب، فقسّى قلوبهم حتى خرجوا على بنى إسرائيل للقتال، لكى يُحرَّموا ولا يُرحموا، بل يُستأصلوا كما أمر الرب موسى»[2]. وهو ذاته ما حدث مع «المديانيين»:.. «وكما أمر الرب قتلوا كل ذكر» وسبى بنو إسرائيل نساء «مديان»، «وأحرقوا جميع مدنهم»، وحينما عادوا إلى موسى «سخط موسى.. وقال لهم هل أبقيتم كل أنثى حية.. فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر اقتلوها»[3].

وبصرف النظر عن المبالغات غير المنطقية، وعن التضارب وركاكة التصوير، وحتى لا معقولية الواقعة وكذبها التاريخى، بصرف النظر عن كل ذلك، فالإلحاح المستمر على أن مهمة «رب الجنود» الأساسية هى تقتيل الشعوب المنافسة، وذبح الجيران، وسفك دم «الأغيار»، وتقديم هذه الأكاذيب والاختلاقات باعتبارها «أوامر إلهية» وتوجهات ذات طبيعة مقدسة، ساعد على خلق انتشاء صهيونى بفكرة القوة المجردة، واحتقار وكراهية غير اليهود، وتقديس لإله القدرة المسلحة، وتمجيدها، وتزيينها باعتبارها غاية مطلوبة فى حد ذاتها، وممارستها تمثل نوعاً من التقرب للإله، وهو ما مهد الأرض تماماً لولادة الفاشية الأصولية اليهودية، كالكاهانية وتوابعها، وجعل من المنطقى، بل ومن الطبيعى، أن يكون لـ «جولد شتاين»، سفاح مجزرة «الخليل»، رؤية، يصور من خلالها أفكاره ومفاهيمه عن «الشعب اليهودى، الذى هو مثل نعجة وسط سبعين ذئباً ومن المستحيل للشعب اليهودى أن يعيش مع العرب، لقد سئمنا

(١) سفر «يشوع» ـ ١١: ٧.

(٢) سفر «يشوع» ـ ١١: ٢٠.

(٣) سفر «الأعداد» ـ ٣١: ٩/١٨.

منهم (من العرب).. إنهم أشبه بمرض خطر مثل الطاعون»، وما داموا مثل «الطاعون» فهناك، «مثلما قال «جولد شتاين»، ترجيعاً لنص مقدس من «سفر الجامعة ، «زمن للقتل، وهناك زمن للمعالجة»[1]، وقد حل زمن القتل وانقضى وقت العلاج.

٣ ـ ضربات مصر، الحقد الذى لا يغيب

وفى هذا السياق، يلفت النظر بشدة، الكراهية العميقة الغور، المضمنة داخل النص المقدس، التوراتى، الذى يؤمن به «شعب إسرائيل» ويستقى تعاليمه من بين ثنايا سطوره لمصر والمصريين، وهى كراهية مفهومة الأسباب وإن كانت غير مقبولة التبرير، يفسرها ـ على الأرجح ـ رغبة دفينة للانتقام من فترات عبودية قديمة لا زالت محفورة فى الأعماق اليهودية/ الصهيونية، لم يقلل من حدتها انطواء الأحقاب ولا تعاقب القرون. بل زادها آواراً.. فنى «سفر الخروج» يوصى النص المقدس «شعب إسرائيل» لدى مغادرته مصر، وقد عاش فيها نحو أربعمائة وثلاثين عاماً، بسلب ثروات مصر، ونهب خيراتها (نهباً مقدساً بالطبع)، وبعد آن «آوتى الشعب حظوة فى عيون المصريين».. «إذا انصرفتم، فلا تنصرفون فارغين، بل تطلب المرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أوانى من فضة وذهب وثياباً تجعلونها عل بنيكم وبناتكم، فتسلبون المصريين»[2].. «وفعل بنو إسرائيل كما أمر موسى، فطلبوا من المصريين أوانى من فضة وأوانى من ذهب وثياباً، وأنال الرب الشعب حظوة فى عيون المصريين، فأعاروهم إياها ـ وهكذا سلبوا المصريين»[3].

وبالرغم من تمتع بنى إسرائيل بحياة رغدة فى مصر، أو بتعبير التوراة

(١) انظر كتاب: أمنون كابليوك، الخليل: مجزرة معلنة، ترجمة: جريدة «الحياة» الدولية، لندن. ١٩٩٤/١١/٦. ويتضمن نص حديث لـ «باروخ جولد شتاين»، قبل تنفيذه لمذبحة الحرم الإبراهيمى بتسعة أيام فقط، أجراه الصحفى الأمريكى «توماس روبرتس».

(٢) سفر «الخروج» ـ ٣: ٢١.

(٣) سفر «الخروج» ـ ١٢: ٢٥.

نفسها، بالرغم من أن الرب آتى الإسرائيليين «حظوة فى عيون المصريين، وموسى أيضاً كان عظيماً جداً فى مصر فى عيون حاشية فرعون وفى عيون الشعب»[١]. فلم يتورع «إله إسرائيل» ـ بعد أن تمت عملية النهب التاريخى المنظم لثروات وذهب وفضة المصريين ـ عن أن ينهال بالضربات (الإلهية) على ذلك الشعب الكريم المضياف!، محددةً طبيعة العلاقة التاريخية، الدائمة ومضمونها، «لكى تعرفوا أن الرب يميز بين مصر وإسرائيل»[٢] إلى الأبد.

أنا الرب، يقول «إله إسرائيل»،: «ها أنا ضاربٌ بالعصا التى بيدى على المياه التى فى النيل، فتنقلب دماً، السمك الذى فى النهر يموت، فينتن النيل ولا يستطيع المصريون أن يشربوا ماء النيل»![٣].

وقال الرب لـ «موسى»: «قل لهارون: خذ عصاك، ومد يدك إلى مياه المصريين وأنهارهم وقنواتهم وسائر خزانات مياهم، فتصير دماً، ويكون دم فى كل أرض مصر، حتى فى الأشجار والحجارة»[٤].. «ففعل كذلك «موسى» و«هارون» كما أمر الرب.. فانقلب كل الماء الذى فى النيل دماً، والسمك الذى فى النيل مات، وأنتن النيل فلم يستطع المصريون أن يشربوا من ماء النيل، وكان الدم فى كل أرض مصر»[٥].، وبعد ذلك توالت الضربات: **الثانية:** الضفادع، **الثالثة:** البعوض، **الرابعة:** الذباب، **الخامسة:** موت المواشى، **السادسة:** الفردج، **السابعة:** البَرَدَ، **الثامنة:** الجراد، **التاسعة:** الظلام، **العاشرة:** موت أبكار المصريين»[٦].

ولم يعد شىء آخر يمكن أن يحل بوادى النيل المقدس، من بلايا ورزايا وكوارث، لا تُعَدُّ ولا تُحصى، بعد أن أكمل «موسى» الصورة حين هتف: «كذا الرب قال: إنى نحو نصف الليل أخرج فى وسط مصر، فيموت كل بكر فى

(١) سفر «الخروج» ـ ١١: ٣.
(٢) سفر «الخروج» ـ ١١: ٧.
(٣) سفر «الخروج» ـ ١١: ٧.
(٤) سفر «الخروج» ـ ٧: ١٩.
(٥) سفر «الخروج» ـ ٧: ٢٠.
(٦) دراسة تفاصيل الضربات العشر، انظر سفر «الخروج» ـ ١٢/١١/١٠/٩/٨/٧.

أرض مصر، من بكر فرعون الجالس على العرش إلى بكر الخادمة التى وراء الرحى وجميع أبكار البهائم، ويكون صراخٌ عظيمٌ فى أرض مصر لم يكن مثله، ولن يكون».. «وكان صراخ عظيم فى أرض مصر، إذ لم يكن بيت إلا وفيه ميت»[1].

فحينما تكون هذه هى الخلفية العقيدية لجيش يحارب فلا يمكن أن يستغرب المرء الدم البارد الذى مورست به، عمليات قتل العرب فى فلسطين، قبل التقسيم وبعده، ولا مبرر للدهشة أمام همجية عملية قتل الأسرى المصريين العُزل، أو مجزرة كـ «كفر قاسم» أو «قبية» أو «دير ياسين» أو «بحر البقر» أو «أبو زعبل»، ولا يُعتبر، فى ظل هذه الثقافة، أمراً شاذاً، سلوك الجيش الإسرائيلى فى لبنان والأراضى المحتلة، وتجدد الدعوات لـ «الترانسفير»، أى «الطرد» و«التطهير العرقى»، و«تكسير العظام».. إلخ، فهى دعوات منسجمة مع هذا المفهوم، ومتسقة مع ذلك التراث، ويصبح من السذاجة بمكان التعويل على «حسن النية»، و«كلمة الشرف»، فى مواجهة هذا الجيش المدجج من أخمص قدميه وحتى أعلى هامته بالسلاح، والذى يملك وحده ترسانة نووية تضعه فى مرتبة الدولة الذرية الثالثة، فى العالم، بعد كلٍّ من الولايات المتحدة الأمريكية، وروسيا، ومحتلاً مركزاً متقدماً يسبق كل من انجلترا وفرنسا والصين بمراحل، كما يسبق كافة الدول العربية مجتمعة بعشرات طويلة من السنين.

ولسنا نحن وحدنا الذى يقول هذا، بل قاله قبلنا شخص يهودى، يقظ الضمير، هو البروفيسور «إسرائيل شاحاك»، فى كتابه: «التاريخ اليهودى، الديانة اليهودية: وطأة ثلاثة آلاف سنة»: «إن إسرائيل ليست ديمقراطية بسبب تطبيق الأيديولوجية اليهودية الموجهة ضد غير اليهود جميعاً، وضد اليهود الذين يعارضون هذه الأيديولوچية، وسيتواصل هذا الخطر طالما تعزز عاملان معتمدان حالياً: مواصلة تعزيز الطابع اليهودى الإسرائيلى، ومواصلة

---

(١) المصدر نفسه.

تعزيز قوتها وخاصة قدراتها النووية»[١]. إنها «ديمقراطية انتقامية»، فى أحسن الأحوال، تتحول تحولاً فظاً فى مواجهة الخصوم والأعداء إلى النقيض تماماً وهو ما أكده أيضاً كاتب يهودى من أصل عراقى، هو «إسحاق بارموشيه»، باعترافه: «فى موضوع المناطق المحتلة، نحن أقل ديمقراطية من أَشَرِّ الديكتاتوريات عُتّواً، إن ديموقراطيتنا هى لليهود فقط!»[٢].

والأغرب مما تقدم، أن هذا الجيش، «صاحب الرسالة»، الذى نفخت الدعاية الصهيونية وبالغت فى صورته وأيديولوچيته وطهارته وأخلاقياته، لديه تعليمات وأوامر واضحة بألا يطلق النار أبداً، وأياً كانت الظروف، على المستوطنين الصهاينة، العنصريين، حتى وهم يفتحون نيرانهم الهمجية على الأبرياء العزل، من المصلين والنساء والأطفال، فحسب شهادة الكولونيل «منير طيار»، قائد «وحدة حرس الحدود» بالخليل: «الأوامر تقضى بعدم إطلاق النار، فى أى ظرف كان، على مستوطن أو على يهودى، بشكل عام، وهو يطلق النار على شخص ما»، وعندما سُئل الكولونيل «طيار» أمام لجنة التحقيق فى مجزرة الخليل، جاءت إفادته قاطعة:

سؤال: عندما يطلق مستوطن النار على مصلين، ألا يمكنكم منعها حتى بإطلاق النار بين رجليه؟.

جواب: كلا يجب الاختباء لتجنب الإصابة، والانتظار إلى أن يكف عن الإطلاق، عندها تجب السيطرة عليه من دون اللجوء إلى القوة[٣].

وفى اجتماع لقائد الألوية مع قائد الفرقة العسكرية فى الضفة الغربية، الجنرال «شاؤول موفاز»، أعاد تكرار هذه الإجابة على السؤال نفسه، وعندما

---

(١) مذكورة فى عرض للكتاب بقلم «محمود الريماوى»، جريدة «الحياة» الدولية، لندن، ١٩٩٦/١/١٤.

(٢) جريدة «الحياة» الدولية، لندن، ١٩٩٥/١٠/١٧.

(٣) آمنون كابليوك، مصدر سبق ذكره.

ألحَّ الضباط فى استيضاح الرد، كرر حاسماً: «لا تطلق النار على يهودى. نقطة.. هذا كل شىء»[1].

ومن سيادة فلسفة القوة هذه تتأكد قيّم العنصرية، واحتقار البشر، والارتكاز على العنف، لتثبيت مقومات الدولة.

٤ ـ أطفال إسرائيل: يجب قتل كل العرب

بناء على ما تقدم: فإن مسألة الميل الطبيعى لدى المسئولين فى الدولة الصهيونية لتثقيف سكانها بثقافة ترتكز على أسس عدوانية، تُبرر الهيمنة على المنطقة العربية بأسباب توراتية، وتجعل من عمليات التنكيل بالمواطنين العرب، أصحاب الديار الأصليين، مهمة مقدسة، مشروعة دينياً، بحسب قواعد «الهالاخاه»، (الشريعة).. يبدو آمراً منطقياً، ومنسجماً مع سياق نشأة الفكرة الصهيونية، وخطوات تنفيذها على أرض الواقع.

إن تحويل إسرائيل إلى «أسبارطه عصرية»[2]، كما وصفها بحق «إيان لوستك»، يقتضى عسكرة كل شئون الحياة، ويستوجب ـ وهذا هو المهم ـ تنشئة جيل يؤمن بعبادة القوة، ويؤله السلاح، ويسعى إلى استكمال مسيرة اغتصاب الأرض، وضمّها للمركز الصهيونى، وذلك لأن «ما نحن فى إسرائيل إلا رواد فى طليعة الشعب اليهودى كله، ودولة إسرائيل كما هى الآن لم تمثل تحقيق الصهيونية بتمامها: إنها دولة فى طور النمو... ومهمتنا لم تُنجز بعد: .. فالدولة يجب أن تُشَكِّلَ ملاذاً للشعب اليهودى كله. والشعب العربى لن يقبل هذه الفكرة أبداً..»[3].

وفى مواجهة الرفض العربى الطبيعى، والمفهوم والمتوقع، ينبغى الإعداد

(١) المصدر نفسه.

(٢) إيان لوستك، مصدر سبق ذكره، ص: ١٦٠.

(3) The War Aims of The People of Israel.

مذكورة فى إيان لوستيك، مصدر سبق ذكره، ص: ١٦٠.

لمعركة طويلة قد تستمر أجيالاً، وتستغرق عشرات السنين، مهما تحققت خلال هذه الحرب من هدنات مؤقتة، أو اتفاقيات هشة لسلمٍ لا مستقبل له.

ومن هنا فإن تربية الأجيال اليهودية الجديدة من الصغار، وتهيئتها لاستلام السلاح، وتعليمها أسس الضغط على الزناد، وقت الحاجة، أمر حتمى وضرورى للغاية، بل إن مصير إسرائيل، بكامله، متوقف على النجاح فى هذه المهمة، حيث: «تؤلف الدبّابة كما يرى «جاكوب كلاتزمان»، عاملاً من عوامل الأمن والسلامة على المدى القريب، لكن المدرسة والجامعة هى العوامل الأكثر أهمية بالنسبة للمستقبل البعيد.. إن التربية هى أيضاً من مستلزمات الدفاع الوطنى»[(١)]، ومن هنا «يكمن أصل المسألة، فى مدى استعداد الجيل المقبل للقتال.. ولابد للحل من أن يبدأ الآن فى رياض الأطفال، علينا أن نُرَبِّى الأطفال بحيث يقدمون من تلقاء أنفسهم الرد الروحى ـ الخلقى على أعدائنا، أو أن يضربوا بقبضتهم إذا ما دعت الحاجة. لكن علينا أن نبدأ بتعليمهم فى رياض الأطفال، لأنه حينما يصل الفتى إلى الجيش يكون الوقت قد فات»[(٢)]. هكذا يقول «رفائيل إيتان»، رئيس الأركان الإسرائيلى الأسبق، وزعيم حزب «تسومت» اليمينى المتطرف.

٥ـ صناعة «أطفال الدولة الإسبارطية»

ومن أجل تحقيق هذه الغاية، تتم صياغة أو صناعة «إنسان (إسرائيلى) ذى بُعدٍ واحد، منتون بالعنف والقوة وبدوره التاريخى المحاط بالعناية الإلهية الملهمة، ويتم «تعليب» المواليد الجدد لكى يصبحوا متوائمين مع حاجات «إسبارطه» الصهيونية، وهو ما عَبَّرَ عنه «يوسى ميلمان» أبلغ تعبير:

(١) مذكورة فى: د. أسعد رزوق، فى المجتمع الإسرائيلى، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧١، ص: ٩٠.

(2) Tzomet Expects a Green Light From The Settlements da, Neukuda, 67, December 23/1983, pp. 26 - 27.

مذكورة فى إيان لوستيك، مصدر سبق ذكره، ص: ١٦٠.

«إن النظام (الإسرائيلى) لا يحاول أن يعتقل الشخصية الفردية والتفكير المستقل، بل إنه يحفز التفكير الجماعى والتنسيق المشترك والعمل كأنهم خط إنتاج فى معمل ما، حيث عليهم إنتاجِ بضاعة ذات قياس واحد.. والتى هى أطفالنا»[1].. إن هؤلاء الأطفال المصَنّعون حسب «المواصفات القياسية» لدولة العنف والإرهاب المقنن، يدرسون طبيعة البلاد والجغرافيا التى تخدم الغاية نفسها، وتستهدف الرسالة ذاتها: «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض!»، أما التاريخ، فهو «ترجمة ذات بُعدٍ واحدٍ، تبدأ من احتلال اليهود لدولة «إسرائيل إيريتز»، مع التركيز على «حرب الاستقلال» عام ١٩٤٨ وما بعدهما».

«إنه تاريخ مرسوم بالأبيض والأسود، يشبه فى ذلك سيرة التاريخ الأمريكى التى تجنبت ببراعة فائقة الحقيقة المخجلة المتعلقة بذبح أبناء أمريكا الأصليين. وتملك أسطورة إسرائيل أبناء طيبين وأبناء شريرين، يفوز الأبناء الطيبون بالاعتماد على السينما الغربية، وعلى بعض صيغ الأفلام المبتذلة بالعدالة الطبيعية، وهنا ينسج الإسرائيلى لتاريخه قصصاً عن صراط الأمة المستقيمة الذى لا يخذل أحداً، وكان دوماً المكان المرغوب، وتتحدث تلك الأسطورة نفسها عن كيف تطلع الإسرائيلى، دون كلل، ليفتح نوافذ فرصة السلام للآخرين، بيد أن العرب ـ الأبناء الشريرين ـ أغلقوا هذه النوافذ.. وذهبوا للحرب»[2].

لقد خلطت إسرائيل الشوفينية القومية بحليب الأم، ومَجَّدَتْ أدوات القهر المسلح، لخلق مواطن معجون بآلات الدمار ومتوحد معها.. إن إسرائيل، مرة أخرى كما يقول «ميلمان»: «تشجع صغارها على زيارة معارض الأسلحة والجيش، بدلاً من حدائق التسلية، كما يفعل أترابهم فى باقى أماكن العالم»[3].. وإلى الدبابات وناقلات الجنود «يذهب عشرات الأطفال يصحبهم آباؤهم ليتقافزوا فوق لُعب الدمار ويتحدثوا إلى طاقمها.. ويرى

(١) يوسى ميلمان، مصدر سبق ذكره، ص: ١٦٢.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه، ص ص: ١٦٤ ـ ١٦٧.

أغلب الإسرائيليين هذه العلاقة أمراً طبيعياً.. فالأطفال وُلدوا ليعبدوا العسكرية»[١].. وفى هذا السياق لن يُستغرب أبداً أنه «إذا كان دعاء طالب الثانوى الأمريكى لله، أن يلتحق بجامعة «آفرليج»، فإن نظيره الإسرائيلى لا يطمع لغير أن ينتسب إلى إحدى هذه الوحدات الممتازة فى القوات المسلحة»[٢]، كما «إن الإسرائيلى الذى أنهى خدمته العسكرية فى الوحدة المناسبة.. سيجد أمامه الطريق مُعَبداً للنجاح»[٣]. ومن هنا نفهم لماذا ـ بعد حرب ١٩٦٧ ـ مَثّلَ «موشى دايان» للإسرائيليين، بالرقعة السوداء التى تغطى إحدى عينيه، «نصف إله»، أو «أسطورة حية تمشى على قدمين».

ولقد فعلت هذه المناهج التربوية، التى استُخدمت بكفاءة لعدة عقود، فعلها فى أذهان «أطفال الدولة»، الذين تربوا، فى الكيبوتسات والمعاهد التعليمية، الدينية أو الدنيوية، على مفاهيم العنصرية المتطرفة والاستعلاء، ويثبت استطلاع للرأى أجرته مؤسسة «فان لير» التربوية فى إسرائيل، بين الشبان الصغار، أن ٦٠٪ من المتدينين، و٥٠٪ من أبناء الطوائف الشرقية يؤيدون نظريات العنصرى الفاشى، «مائير كاهانا»، وكذلك يؤيدها ٥٠٪ من طلاب المدارس المهنية و٣٥٪ من طلاب المدارس النظرية، وفى شهر سبتمبر ١٩٨٤، أظهر استطلاع آخر للرأى بين مجموعات أخرى من الشباب الإسرائيليين، أن ٥٧٪ يؤيدون طرد العرب من الأراضى المحتلة، و٣٨٪ يتحمسون للمنظمات الإرهابية التى تهاجم العرب فتقتلهم وتدمر ممتلكاتهم[٤]، وفى تحقيق صحفى مع عدد من طلاب شباب بكيبوتس «كفار يلوم»، عشية تجنيدهم للجيش، نقرأ التصريحات التالية:

ـ «مأساة هذه الدولة هم العرب.. أنا لا أحبهم»!

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) درويش ناصر (المحامى)، مصدر سبق ذكره، ص ص: ١١٣ ـ ١١٤.

ـ «في قلوبنا شفقة ورحمة أكثر مما يجب.. يجب قتل (المخربين)، وإن استسلموا، يجب قتلهم وقطع رؤوسهم وإلقاؤها وسط الساحة العامة، حتى يرى العرب ويرتدعوا».

ـ «يجب قتل العرب إذا لم يتواجد فى المكان صحفيون وشاه، لتفادى الفضائح والمضاعفات».

ـ «فى رأيى يجب قتل كل العرب».

ـ «إذا سنحت الفرصة لقتل العرب فيجب قتلهم وبأسرع ما يمكن، من جهتى يجب قتل كل العرب».

ـ «إن مكان العرب هو الأردن.. فلماذا لا يُرَحَّلون إليها؟».

ـ «إذا كانوا (الفلسطينيين) يرغبون فى إقامة دولة.. إذن فليرحلوا إلى الأردن.. أما إذا كانوا يرغبون بمواصلة العيش هنا، فعليهم أن يخرسوا»!

ـ «لو كان للحاخام «كهانا» احتمال للوصول إلى سدة الحكم لما صوتت فى الانتخابات إلا له. الوسائل التى يقترحها صحيحة».

ـ «بالإمكان قذف العرب إلى البحر.. يطيب لى لو تحقق هذا»(١).

إن تلقين الطلاب والتلاميذ الصغار يتم عبر المدرسة، وساحة اللعب، ووسائل الإعلام، والكيبوتس، والمكتبة، حيث تشرح لهم الكتب بإسهاب «عن فظاظة العرب وبشاعتهم، وأذرعهم الضخمة كثيفة الشعر، والأفواه المشوهة»، وتتحدث عن حياتهم البدائية، البدوية المتخلفة.

.. «إن مستنقع الفاشية العنصرية يكمن فى السياسة التوجيهية للحكومة ابتداء من المدارس الابتدائية ماراً بالثانوية فالمدرسة العسكرية.. فمدرسة الاحتلال، فالوضع الاجتماعى والأخلاقى السائد فى إسرائيل اليوم، لا يدع مجالاً للشك فى أن استمرار الاحتلال مع كل ما يرافقه من قمع «كولينيالى»

(١) جريدة «يديعوت أحرونوت»، الإسرائيلية، ١٩٨٤/٥/٤.

وحشى، يدمر إنسانية الإنسان اليهودى، ويشحنه فكرياً وسياسياً وأخلاقياً للقيام بأبشع أشكال القمع والكراهية الفاشية للإنسان العربى، ويطور أيديولوجية ممسوخة وعرقية، تعتبر الإنسان العربى مخلوقاً وضيعاً، لتبرير استعباده.. وحتى قتله»(١).

وضمن هذا المناخ ينمو التطرف الدينى، ويجد تبريراته «اللاهوتية» التحريضية، فإذا كانت «نظرة الأمن الإسرائيلى» لا ترى فى المناطق العربية المحتلة هدفاً بحد ذاته، بل «وسيلة دفاع» عن الدولة، نلاحظ «أن الأيديولوجية الدينية ترى فى الاحتفاظ بالمناطق المحتلة، وبالتالى استمرار الاحتلال، هدفاً مقدساً بحد ذاته»(٢).

ولا ينجو من هذا المآل الخطير حتى النساء، وحتى المولودات فى «الغرب المتحضر» منهن، بل وحتى الأمهات، بعد أن أصبحن جزءاً من تروس آلة الكراهية والعنف الإسرائيلية الجهنمية هذه، ففى «شهادات إسرائيلية»، كتاب «عاموس عوز» الشهير، يذكر على لسان أم من يهود نيويورك، إسمها «هاربيت»، أجرى معها حواراً شديد الدلالة، بسطه خلال سطور كتابه، تقول فيه «هاربيت»:

«كان علينا فى أيام الحرب الستة وفى حرب يوم الغفران ألا نتوقف قبل أن نسحق العرب جميعاً حتى يعلنوا الاستسلام الكامل، كان لابد من تدمير عواصمهم كلها. إنها حرب دينية.. حرب مقدسة عندهم وعندنا، حرب ضد الإسلام كله وحرب ضد الكفّار»(٣).

هكذا إذن يتم شحن العقول، وتعبئة الأفئدة، بمعين لا ينضب من

---

(١) درويش ناصر (المحامى) مصدر سبق ذكره، ص ص: ١١٦ ـ ١١٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) انظر عرض للكتاب فى: شوقى رافع، شهادات إسرائيلية: مجتمع يضج بالعنصرية والعنف، مجلة «العربى»، الكويت، العدد (٤٢٠)، نوفمبر ١٩٩٣.

الكراهية والأحقاد والسخائم التى تزداد تضخماً مع كر الأيام، ويحيا هؤلاء المهروسون ـ بأثر من تربيتهم وتثقيفهم المستمر بروح العداء والنفور من «الأغيار» والرغبة فى الانتقام من «الجوييم» ـ مشبعين بأفكار جنونية، عنصرية وشاذة، لا يزيدها التراجع فى التصدى لعنصريتها وعدوانيتها إلا استفحالاً.

«إن الخطر فى الوعظ الدينى العنصرى، وفيما يُكتب فى الصحافة الصادرة عن مؤسسات دينية، (ونحن نعرف هذا جيداً هنا فى مصر) هو أن التلاميذ يُنَفِّذُون ببنادقهم ما دعا إليه أساتذتهم بأقلامهم، والأخطر من ذلك، حين يصبح التصدى لهذا النوع من العنصرية والجنون، مبرراً للاتهام بـ «الكفر» و«الخيانة»، والطرد من الدين والوطن والملّة.. وبمعنى آخر لإعلان «المروق»، كدعوة تحريضية لا تُرد، من أجل التصفية.. والقتل، باسم «الرب الإله».

■ ■ ■

إن الصهيونية تدنيس للقدسية، ومناقضة للديانة اليهودية، لأنها تسيطر بالقوة وتضطهد الآخرين.

لقد تم الإعلان عن الفلسطينيين كأعداء، لأنهم يشكلون عقبة أمام المطامع الإقليمية الصهيونية ونحن اليهود الفلسطينيين، قد عشنا بسلام خلال مئات السنين مع هؤلاء الأعداء للصهيونية، ونحن نطمح باستمرار هذه العلاقة رغم المعارضة الصهيونية.

«الحاخام هيرش»

طائفة ناطورى كارتا



الفصل العاشر

يهود ضد الصهيونية

فى تناقض بَيِّن مع كافة توجهات المنظمات الدينية المتشددة، والأصولية، وتوجهات القوى السياسية الصهيونية، تبرز أصوات بعض الطوائف اليهودية التى تعلن ـ بقطع ووضوح ـ عن عدائها للبرامج والخطط التوسعية التى تمارسها إسرائيل، وتحتل بموجبها أراضٍ عربية، فلسطينية وغير فلسطينية، كما تتعاطف هذه الأصوات مع الحقوق المشروعة للشعب العربى الفلسطينى فى الاستقلال وبناء دولته الحرة.

وعلى الرغم من أن الحجم العددى لهذه الطوائف محدود، وقدرتها على التأثير فى أفكار التجمعات اليهودية، أو فى القرار السياسى لإسرائيل متدنية، إلا أن الاهتمام الذى لقيته من الإدارة الفلسطينية ومن الأوساط المعادية للصهيونية له ما يبرره، فوجود جماعات يهودية، متدينة، ترفض الصهيونية، وتعارض سياستها، أمر بالغ الأهمية.

ومن أهم هذه الجماعات: «الطائفة السامرية» وطائفة «حراس المدينة» أو «ناطورى كارتا».

الطائفة السامرية:

تُعد الطائفة «السامرية» إحدى الجماعات البشرية الصغيرة، المغلقة، التى تعتنق ديانة منبثقة عن اليهودية، ويعيش أغلب أعضائها، الذين يصل عددهم إلى نحو ألف وخمسمائة نسمة، فى «جبل جرزيم» قرب «نابلس» شمالى الضفة الغربية، وهم يعلنون أنهم أحفاد اليهود الذى ظلوا فى «السامرة» بعد الغزو الآشورى وترحيل اليهود إلى «بابل»، فى عام ٧٢١ قبل الميلاد.

والطائفة السامرية إحدى الطوائف الحسيدية، المتشددة دينياً، التى تتمسك تمسكاً حرفياً بما يظنونه «أصول الشريعة»، وهم يقاطعون استخدام اللغة العبرية الحديثة فى الحياة اليومية، حيث يعتقدون فى قدسيتها، الأمر الذى يوجب عدم استخدامها إلا فى أغراض دينية (سامية)، كما يتحدثون اللغة العربية بلهجة سكان المنطقة المحلية.

وتولى الطائفة عملية إنجاب الأطفال أهمية قصوى، باعتبار أن كثرة النسل واجب مقدس، بل يعتبرون أن منع الحمل جريمة «يُعاقب عليها بالقتل»، وكذلك فالطلاق ظاهرة معدومة بين أفراد الطائفة.

تعتبر هذه الطائفة «جبل جرزيم» موقعاً مقدساً حسب معتقداتها، ولا تهتم كثيراً بأمر القدس، التى تمثل، على العكس، موقعاً مركزياً فى اهتمام الفئات والطوائف اليهودية والقوى السياسية الإسرائيلية الأخرى، وهذا أحد أوجه الاختلاف الرئيسية بين هذه الطائفة اليهودية عن غيرها، والوجه الآخر للخلاف هو أن أفراد الطائفة السامرية لا يؤمنون إلا بالعهد القديم فقط، الذى يعلنون أنهم يحتفظون بأقدم وأصح نسخة مكتوبة منه، على جلد ماعز منذ ٣٦٤٠ عام، بخط الكاهن «ناجى بن خضر بن هارون»، (أخى موسى) الذى أنجزها بعد وفاة «موسى» بثلاثة عشر عاماً فقط[١].

ومع قلة عدد أفراد الطائفة، إلا أنهم ينظرون إلى أنفسهم على أنهم «ورثة بنى إسرائيل» الفعليين، و«حماة التوراة الحافظين للوصايا العشر»، ويعتبرون أنفسهم الخلاصة المتبقية من «الأسباط العشرة»، أولاد «يعقوب».

وترتكز ديانة الطائفة السامرية على أركان خمسة، هى:

١ ـ الاعتقاد بوحدانية الله.

٢ ـ وبأن التوراة هى الكتاب المُنَزَّل على «موسى».

---

(١) مازن حجازى، السامرية أصغر طائفة تعارض إسرائيل فى العالم، جريدة «الحياة» الدولية، لندن، ١٩٩٥/١٢/٢٥.

٣ ـ وبأن «موسى» هو أعظم الأنبياء.

٤ ـ وأن جبل «جرزيم»، هو القبلة ومركز الحج.

٥ ـ وبأن اليوم الآخر حق[١].

لا يتزاوج أفراد هذه الطائفة من خارجها، وهم محافظون فى مسلكياتهم إلى حد كبير، كما أن نساءهم يخفين وجوههن خلف حجب سميكة، ويمتنع عناصر الطائفة عن تناول أطعمة غيرهم، ويرفضون الاختلاط أو الانفتاح على الآخرين.

والغريب أنها فى عاداتها الدينية، تلتقى مع المسلمين فى عدة مسائل: كالطهارة وختان الذكر والوضوء والسجود والركوع، وغسل الميت ودفنه[٢].

وتاريخ الطائفة السامرية تاريخ صراع مستمر ضد اليهود (الآخرين) والرومان، وقد عاشت ـ فى ظل الفتح العربى بُحرِّية، حيث مارست طقوسها ومظاهر عقيدتها دون قيود، وهى تعارض اليهود والصهاينة فى احتلالهم للأرض العربية، وإعلانهم القدس كعاصمة لدولتهم، ومن هنا جاء قرار الإدارة الفلسطينية بتخصيص مقعد فى مجلس الحكم الذاتى لها.

«حُراس المدينة»، «ناطورى كارتا»:

«يهود فلسطين» هو الاسم الذى تطلقه على نفسها هذه الطائفة اليهودية المعادية للصهيونية عداءً شديداً، وهذه الجماعة التى تعيش فى حى «مائة شعاريم» بالقدس، تسمى بالآرامية «ناطورى كارتا» أى «حُراس المدينة»، ويتزعمها ويرأس خارجيتها الحاخام «موشى هيرش» الذى يحمل جواز سفر أمريكياً، ويرفض الاعتراف بإسرائيل أو حمل جنسيتها، ويتعاطف مع العرب والفلسطينيين، ويتمنى، من منطلقات دينية بحتة، زوال الدولة الصهيونية

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

وانهدام أركانها، ويرفع فى مقر طائفته علم فلسطين باعتباره علماً لطائفته.

وبعد توقيع اتفاقية «أوسلو» رافق ثلاثة من زعماء الجماعة رئيس السلطة الوطنية الفلسطينى «ياسر عرفات» لدى دخوله «أريحا»، تعبيراً عن انتمائها للوطن الفلسطينى، وأعلن «موشى هيرش»: «أننا نصفق لهذا الحدث الذى يتوج كفاح ربع قرن ضد الاحتلال. إنه واجب دينى على أى يهودى أن يشارك شخصياً فى هذا العيد الذى يسجل بداية الهزيمة للصهاينة»(١).

وفى خطوة موازية، ذات دلالة، اختار «ياسر عرفات» «موشى هيرش» وزيراً للشئون اليهودية فى الإدارة الفلسطينية الجديدة، إدارة الحكم الذاتى»، تقديراً لدور هذه الجماعة التى تجاهر بعدائها للصهيونية ومناصرتها لكفاح الشعب الفلسطينى من آجل الاستقلال والحرية.

وتعتبر هذه الطائفة أن الصهيونية «تمثل الخطيئة القاتلة ضد الرب ومصير اليهود»(٢) ويرون فيها نقيضاً كاملاً لليهودية الحقة. «إن الدولة اليهودية زيفٌ كامل»(٣).

وهذه الطائفة تقاطع الدولة الصهيونية ورموزها وشاراتها وأعيادها وثقافتها وتقاليدها، وتعتبر أن التعاون مع الدولة «نوع من الضلال والكفر الدينى، والمشاركة فى الانتخابات عملاً وثنياً، ومساعدات الحكومة رشاوى لتغيير مواقفنا»(٤)، وتخرج مظاهرات أعضاء الطائفة، فى نيويورك، يوم ١٥ مايو (ذكرى إعلان قيام الدولة الصهيونية المغتصبة» لكى يعبروا عن احتجاجهم عليها، وهم يقاطعون حائط المبكى، ويهجرون القدس فى الأعياد والمناسبات التى يتجمع اليهود فيها حوله، كعيد الفصح، وعيد المظلة.

ويستخدم أعضاء «ناطورى كارتا» اللغة اليديشية فى معاملاتهم اليومية،

---

(١) جريدة «الحياة» الدولية، لندن، ١٩٩٤/٤/٥.

(٢) ديفيد لانداو، مصدر سبق ذكره، ص: ٢٢٣.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٢٢٧. (٤) المصدر نفسه، ص: ٢٢٦.

ويقصرون استخدام العبرية على الصلاة والتعليم الدينى، ولها «مجلس أعلى» مكون من سبعة أفراد، ولمرشدهم الفلسفى، الحاخام «متسالبيوم» مؤلف شهير اسمه «ضد الصهيونية».

كما يمتنع أعضاء الطائفة عن أداء الخدمة العسكرية فى الجيش الإسرائيلى، ومن جهتها تمتنع الدولة الصهيونية عن تجنيد أفراد «ناطورى كارتا»، لأنهم حسبما يقول الحاخام «هيرش»:

«إذا أعطونا السلاح سنطلق عليهم النار، لماذا يفكرن فينا وهم لا يجندون العرب، ونحن أكثر كراهية لهم من العرب»[1].

وتعيين الحاخام «هيرش» وزيراً فى الإدارة الفلسطينية لسلطة الحكم الذاتى، لم ينشأ من فراغ، إنما جاء تتويجاً لتاريخ طويل من العلاقات الوديّة بين الطرفين، فقد اعترفت الجماعة بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعى للشعب الفلسطينى، وأيدت تشكيل الحكومة الفلسطينية فى المنفى عام ١٩٨٨، وفى مؤتمر «مدريد»، (للسلام فى الشرق الأوسط)، الذى انعقد عام ١٩٩١ شارك «حاييم إسحق فريمان»، أحد نشطاء الطائفة فى نيويورك، كعضو رسمى فى الوفد الفلسطينى الاستشارى فى المفاوضات، وحينما انفجرت وقائع انتفاضة الشعب الفلسطينى فى مواجهة سلطة الاحتلال الإسرائيلى المغتصب، وزعت الطائفة مساعدات عينية على ضحايا الانتفاضة الفلسطينية فى مستشفيات القدس، وأرسلت دعمها لعائلات المعتقلين من المناضلين الفلسطينيين، مرفق بها رسائل تضامن: «من اليهود الفلسطينيين المناهضين للصهيونية الأصولية، تعبير عن التعاطف والمودّة تجاه أخوتهم الفلسطينيين»[2].

ويرى الدكتور «رشاد الشامى» أن «ناطورى كارتا» التى تمثل «طبعة جديدة» من «الصيغة السائدة للأرثوذكسية الدينية فى إسرائيل»[3]، قد نمت

(١) المصدر نفسه، ص: ٢٢٥.
(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٣١.
(٣) د. رشاد عبد الله الشامى، مصدر سبق ذكره، ص: ١٦٨.

داخل «اليشوف» القديم فى القدس كصيغة مغالية فى التشدد من داخل حزب «أجودات إسرائيل»، (ألترا أجودات)، وقد انشقت عن ذلك الحزب عام ١٩٣٥ لاتجاه «أجودات إسرائيل» إلى التصالح مع المواقف الصهيونية للحركة السياسية اليهودية، وخصوصاً فى السعى من أجل إنشاء «حاخامية رئيسية» موحدة فى فلسطين، وهذه الطائفة تتكون من جماعات خمس تتحد فى الموقف المعادى للحركة الصهيونية ولدولة إسرائيل باعتبارها «ثمرة الغطرسة الآثمة، لأنها قامت على يد نفر من الكفرة الذين تحدوا مشيئة الله وإرادته بإعلانهم إقامة دولة إسرائيل، بدلاً من انتظار «المسيح المنتظر»، المخول وحده إقامة دولة إسرائيل»[1].

ومن هذا المنطلق رأت «ناطورى كارتا» أن «إعلان استقلال إسرائيل»، (أى إعلان قيام الدولة المغتصبة على جزء من التراب العربى الفلسطينى فى ١٥ مايو ١٩٤٨)، قد «نقَضَ أسس قوانين الشريعة»[2]، وطالبت بوضع القدس تحت الوصاية الدولية، وبإصدار جوازات سفر من هيئة الأمم المتحدة لليهود المتدينين الراغبين فى ذلك، وعَبَّرَ أعضاء الطائفة عن استعدادهم لمغادرة القدس إلى موقع آخر يستطيع أفرادها العيش فيه «بموجب التوراة والشريعة»[3]، كما أعلنوا عن استعدادهم للعيش فى ظل سلطة فلسطينية وطنية، وأدانوا الغزو الإسرائيلى للبنان عام ١٩٨٢، وأيدوا الكفاح المسلح للشعب الفلسطينى* كما طالبوا «جورباتشوف»، «بوقف سيل الهجرة إلى إسرائيل»[4] فى مطلع عام ١٩٩٠.

---

(١) المصدر نفسه، ص: ٣١٧.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٣١٨.

(٣) المصدر نفسه.

* يقول الحاخام هيرش: نحن نؤيد حق الفلسطينيين في استرجاع ما أُخذ منهم بواسطة القوة ، المصدر نفسه، ص: ٣٢١.

(٤) المصدر نفسه.

واللافت أن جماعة «ناطورى كارتا» أعلنت عن استيائها لاعتراف منظمة التحرير الفلسطينية بإسرائيل، وعَبَّرَتْ عن اعتراضها على اعتدال «عرفات» فى مواجهة الدولة الصهيونية؛[1]، كما ثَمَّنَتْ إيجابياً مواقف «الخمينى» المناوئة للصهيونية، وأرسلت وفداً للعزاء عقب وفاته، وحينما تفجرت وقائع أزمة احتلال العراق للكويت وحرب «عاصفة الصحراء»، أيدت الطائفة «صدام حسين»، وأرسلت عن طريق الفلسطينيين، رسالة كتبها الحاخام «هيرش» إلى وفود كل الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة، ذكر فيها «أن الرب يريد أن يطرد الصهاينة من الأرض المحتلة، ليخفف من غضبه على الأمة اليهودية، ولكن الأمريكيين متشبثون بالإبقاء عليهم فى تلك الأرض، ولذلك فإن الرب اختار «صدام حسين» للانتقام منهم، وهذا فى صالح الأمة اليهودية والعالم أجمع»[2].

وهذا الموقف يتسق تماماً مع فكر الطائفة والحاخام «هيرش» الذى يؤمن بأن «الصهيونية تتعارض تعارضاً كاملاً مع اليهودية، ـ فالصيهونية ـ تريد أن تُعَرِّفَ الشعب اليهودى باعتباره وحدة قومية، وهذه هرطقة، فقد تلقى اليهود الرسالة من الرب، لا لكى يفرضوا عودتهم إلى الأرض المقدسة ضد إرادة سكانها، فإذا فعلوا ذلك فإنهم يتحملون نتائج فعلتهم، والتلمود يقول: «إن هذا الانتهاك سوف يجعل من لحمهم فريسة للسباع فى الغابة، وأن المذبحة الكبرى ستكون نتيجة من نتائج الصهيونية»[3].

وهو إذ يرفض الصهيونية، ويدينها، يعلن انتماءه لفلسطين وشعبها وتاريخها وتراثها:

فـ «نحن الحريديم نُعَرِّفُ أنفسنا كيهود فلسطينيين، إن الصهيونية

(١) المصدر نفسه.

(٢) ديفيد لانداو، مصدر سبق ذكره، ص: ٢٢٣.

(٣) مذكورة فى د. رشاد عبد الله الشامى، مصدر سبق ذكره، ص: ٣٢٣.

تدنيس للقدسية ومناقضة للديانة اليهودية لأنها تسيطر بالقوة وتضطهد الآخرين ـ إننا لا نزور حائط المبكى، أو البلدة القديمة، أو أية منطقة آخرى، جرت السيطرة عليها بالقوة، لأن ذلك يُعتبر تجاوزاً»، ولذلك فإن طائفة «ناطورى كارتا» ترفض أن تكون أداة فى يد دعاة الصهيونية لقهر الفلسطينيين:

.. «لأنهم يريدون انضمامنا إلى آلة الحرب ضد العدو الذى أوجدوه خدمةً لمصالحهم، ولتوسيع سيطرتهم على مناطق تابعة لشعوب آخرى، وأن هؤلاء الأشخاص ـ يقصد الفلسطينيين ـ تم الإعلان عنهم كأعداء، لأنهم يُشكلون عقبة أمام المطامع الإقليمية الصهيونية، ونحن اليهود الفلسطينيين عشنا بسلام خلال مئات السنين مع هؤلاء الأعداء للصهيونية، ونحن نطمح باستمرار هذه العلاقة، رغم المعارضة الصهيونية»[1].

■ ■ ■

(١) المصدر نفسه، ص ص. ٣٢٤ ـ ٣٢٥.

«إن مصير الدولة يرتبط بمصير يهود العالم، والعكس بالعكس.. ومن المشكوك فيه أن تستطيع إسرائيل البقاء على قيد الحياة، وألاّ ينقرض يهود «الدياسبورا» بواسطة قتل الرحمة أو الاختناق، دون الأواصر المتبَادلة التى تشد إسرائيل إلى مجتمعات «الدياسبورا»..

«بن جوريون»

الفصل الحادى عشر

الأصولية اليهودية صناعة أمريكية

١ ـ الولايات المتحدة أرض لتفريخ المتطرفين (اليهود)[١]

مثلها، مثل باقى المظاهر والظواهر السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فى إسرائيل، يبدو الارتباط شديداً بين انتشار التيارات الدينية والأصولية داخل الدولة الصهيونية، وعناصر الدعم والإسناد، غير المحدود، الواردة من الخارج، وبالذات من الولايات المتحدة الأمريكية ودول الغرب الرأسمالية الكبرى (فرنسا ـ انجلترا .. إلخ)، ويبلغ التعصب للقوى الدينية الأصولية الإسرائيلية، ولتياراتها الأيديولوچية، من يهود الخارج (وأمريكا بالذات)، ومن «المسيحيين الصهيونيين»، الذين يبدون «ملكيين أكثر من الملك»، حداً غير معقول ولا مقبول، ناهيك بالطبع عن أشكال الدعم المادى والمعنوى المتعددة، التى تحظى بها الدولة الصهيونية ذاتها من أميركا والغرب، وهو الأمر الذى لا يحتاج إلى مزيد من الإيضاح*.

ويكفى فقط للدلالة على أبعاد هذه الظاهرة الإشارة إلى أن أغلب العناصر الفاعلة، فى حملة «كلينتون» الانتخابية السابقة، كانوا من اليهود

(١) حاييم هيرتزوج، الرئيس الإسرائيلى السابق.

* يمكن للقارئ المعنى بدراسة هذه النقطة الرجوع إلى عشرات المراجع الأجنبية الهامة، أما فى المكتبة العربية، فهناك العديد من الدراسات حول هذه القضية من أهمها: «الصهيونية فى الولايات المتحدة»، مجدى نصيف، دار «العربى» للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٧٨ ـ «نظرة جديدة فى التحالف الصهيونى الإمبريالى»، وجيه حسن قاسم، دار «البيادر» للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٧٨ ـ «جماعة الضغط اليهودية فى أربع إدارات أمريكية»، أنمار لطيف نصيف، بغداد، ١٩٨٩ ـ «المعونات الأمريكية لإسرائيل»، د. محمد عبد العزيز ربيع، «مركز دراسات الوحدة العربية»، بيروت، ١٩٩٠ ـ «تاريخ النفوذ اليهودى فى أمريكا»، فيصل أبو خضرا، الرياض، ١٩٩٢ ... وغيرها من الدراسات المهمة فى هذا السياق.

الصهيونيين المتعصبين لإسرائيل، وعناصر عديدة مؤثرة فى الإدارة الأمريكية هم كذلك (ومنهم مارتن إنديك السفير اليهودى للولايات المتحدة فى إسرائيل)، وكان «ستيفن سبيجل» مستشار «كلينتون» لشئون الشرق الأوسط إبان المعركة الانتخابية (أكتوبر ١٩٩٢) قد صرح بأن «أمريكا لن تعرف منذ «ليندون جونسون» و هربرت همفرى» رئيساً منحازاً لإسرائيل مثل «كلينتون» إذا نجح(١)، وقد كان بالفعل، ويذكر أن «ألبرت جور» نائب الرئيس «كلينتون» هو أيضاً واحد من غلاة الأمريكيين المتعصبين للدولة الصهيونية* .

وكما هو معروف فإن واحدة من دعائم النظام السياسى الإسرائيلى هو الاعتراف بأن «إسرائيل»، «ملك لمجموع الشعب اليهودى» وليس فقط لمن يعيش داخلها من اليهود، فهى تعتبر كل يهودى يعيش خارجها «مواطناً محتملاً»، وتتبدى الأهمية الكبرى لهذا المبدأ إذا ما علمنا أن عدد اليهود المقيمين خارج «إسرائيل» يبلغ تقريباً ضعف عدد المقيمين بها (٨,٦ مليون فى الخارج مقابل ٤,٦ مليون بالداخل)، ويعيش من يهود الخارج، نحو ٥,٨ مليون يهودى بالولايات المتحدة وحدها، «وهم من أقوى وأغنى الفئات اليهودية فى العالم»، وظل هذا التجمع الكبير يؤيد إسرائيل «على طول الخط» بالأموال والنفوذ والدعم المتعدد الأشكال، وفى كل الظروف وتحت شتى الاعتبارات، وحينما بدأت عملية التسوية السياسية الأخيرة انحازت هذه الجماعات اليهودية إلى الخط اليمينى المتشدد لتجمع الليكود، وإلى صفوف التجمعات الدينية والأصولية المتزمتة من المستوطنين، واتحدت أهداف هذا الحلف فى العمل من أجل إحراج «رابين» وحكومته، وتخريب

(١) جريدة «الحياة» الدولية، لندن، ٢٤/١٠/١٩٩٢.

* يُشار فى هذا السياق إلى دور مجموعة «المحافظين الجدد»، التى كوّنت إدارة الرئيس «جورج بوش الصغير» فى الدفاع عن إسرائيل ودعم عدوانيتها، ووعود الرئيس «باراك أوباما»، الرئيس الأمريكى الحالى، بالحفاظ على أمن إسرائيل وتفوقها المطلق على العرب، وهى أمور تلت إصدار الطبعة الأولى من الكتاب، لكنها جاءت مصداقاً لما تضمنه من رؤىً وأحكام.

مسارات التسوية[1]، وهو الموقف الذى دفع «إسحق رابين»، رئيس الوزراء الإسرائيلى السابق، قبل اغتياله، أثناء آخر زياراته للولايات المتحدة، إلى الدخول فى مواجهة معهم - تعقيباً على محاولاتهم هدم اتفاقاته مع عرب التسوية و(مجموعة ياسر عرفات)، حيث قال لهم: «لا تتدخلوا فى شئوننا إن هذا حق فقط لمن يعيش فى إسرائيل ومن يخدم أبناؤهم فى الجيش الإسرائيلى، إن دوركم يقتصر فقط على تجميع الأموال للمساعدة فى دمج المهاجرين الجدد»[2] وبالطبع فدور «جامعى المساعدات» لم يُرض قادة التجمعات اليهودية الصهيونية والأصولية فى الخارج، وفى الولايات المتحدة بالذات، الذين دفعوا فى اتجاه الخلاص من «رابين» وسياساته، وهَلّلَوا لاغتياله، ووصل الأمر بهم إلى حد تنظيم حملة جمع تبرعات لمساعدة قاتل «إسحق رابين»، ذكر المسئول عنها، «موشى جروس»، تعليقاً عليها: «أردنا أن نفاجئ العالم بأن هناك يهوداً مسرورين (لمقتل رابين)، وأضاف أن الحملة وُضعت «بمبادرة من يهود متدينين معجبين بـ «إيجال عامير» قاتل «رابين» وقد حددت الحملة خطاً هاتفياً خاصاً لاستقبال التبرعات «يتلقى نحو ستين مكالمة فى الساعة منذ اليوم الأول»، ألحقت به تسجيلاً هاتفياً يصف «عامير» بـ «بطل يهودى كبير»، ويتهم «رابين» بـ «العنصرية والتطرف»[3].

وقبل يومين من إعلان هذا النبأ اتهمت صحيفة «لوموند» الفرنسية منظمات يهودية، فى فرنسا والولايات المتحدة وألمانيا وسويسرا وبلجيكا، بدعم المستوطنين اليهود المتطرفين، وتزويدهم بالمال.

وقالت الصحيفة: إن فرنسا تأتى فى المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة، كأكبر دولة تُجمع فيها المساعدات المالية لإرسالها إلى المتطرفين

(١) انظر: طارق حسن، التمزق اليهودى: اغتيال رابين.. قنبلة عنقودية تنفجر فى اتجاهات متعددة، جريدة «الأهرام»، القاهرة، ١٩٩٥/١١/١٨.

(٢) المصدر نفسه.

(3) NEW YORK TIMES, U.S.A., 10 November, 1995.

اليهود فى المستوطنات، مشيرة إلى أن «جاك كييفر» أسس «صندوق إنقاذ إسرائيل الكبرى»، فور توقيع اتفاقيات آوسلو ١٩٩٣، وأوضح أن الجماعات المؤيدة للمتطرفين اليهود فى فرنسا، ساعدت أكثر من ألف يهودى فرنسى على الإقامة فى مستوطنة «إيفرات»، التى تم توسيعها بفضل المساعدات غير المشروعة، التى يتم جمعها عن طريق الندوات والاجتماعات والحفلات(١).

وأشارت الصحيفة إلى أن أهم الحركات اليهودية، والأكثر تطرفاً، «كاهانا حى» تعمل من الولايات المتحدة، ويتلقى مائتان من رجالها المسلحين تدريبات جيدة فى نيويورك، حيث تعمل «لجنة الدفاع اليهودية»، التى أسسها «مائير كاهانا» فى الستينيات.

ويرى أعضاء الحركتين أن مرتكب مذبحة المسجد الإبراهيمى فى مدينة الخليل شهيد، ويُعَبِّرُونَ عن سعادتهم لاغتيال «إسحق رابين» رئيس الحكومة الإسرائيلية، الذى ساهم فى اتفاقية السلام فى الشرق الأوسط(٢).

وكانت «اللجنة الأمريكية العربية لمكافحة التمييز» قد أذاعت بياناً فى أعقاب مذبحة الخليل، طالبت فيه وزارة العدل الأمريكية بالتحقيق فى النشاط الإرهابى لليهود المتطرفين فى الولايات المتحدة، حيث إن أعضاء حركة «كاهانا» يتدربون على السلاح والأعمال الإرهابية فى ولاية نيويورك.

وأضاف بيان المنظمة العربية أن جريمة مسجد الخليل ليست «حادثاً فردياً» قام به شخص مختل عقلياً، وإنما هى نتاج حركة المستوطنات، التى تتسم بالعنف والعدوانية وتمثل المحور الرئيسى لسياسة إسرائيل.

وطالب «العرب الأمريكيون» بنزع سلاح المستوطنين فوراً وتوفير حماية دولية للفلسطينيين فى الأراضى المحتلة، وأضاف بيان المنظمة «أن مذبحة الخليل تؤكد بوضوح لا يشوبه الخطأ أنه يجب إزالة المستوطنات، وأن يبدأ

(1) LE MONDE, Paris, 8 November, 1995.

(٢) المصدر نفسه.

إنهاء الاحتلال الآن، وأنه لا يمكن تجنب مشكلة المستوطنات بعد الآن، ولا يمكن للفلسطينيين الانتظار لسنوات قادمة من المفاوضات الدبلوماسية ريثما يمكن البدء فى مناقشة هذا الموضوع»(١).

وهذا الأمر أكدته صحيفه «حداشوت» الإسرائيلية، التى نشرت فى ١٨ أغسطس ١٩٩٣، تحقيقاً موسعاً حول دورات تدريب قتالية تعقدها مجموعات يهودية تطلق على نفسها اسم «كاهانا حى»، نسبة للحاخام اليهودى المتطرف «مائير كاهانا» الذى اغتيل فى الولايات المتحدة منذ سنوات، وذكر التحقيق أن الدفعة الأولى (البالغ عددها ٢٠٠ مشاركاً من بينهم ٣٠ فتاة)، من تلك الدورات التى تعقد فى الولايات المتحدة، قد أنهت تدريباتها وتوجهت إلى فلسطين المحتلة استعداداً للقيام بمهماتها، التى يقع على رأسها، حسب أقوال بعض المشاركين فيها، الوقوف الحازم ضد أى انسحاب إسرائيلى، سواء من الضفة الغربية أو الجولان، ويُفَصِّلُ أحدهم تلك الأهداف بقوله: «إن جيش «كاهانا» يُخطط لليوم الذى سيذهبون فيه إلى هضبة الجولان من أجل القتال ضد الانسحاب، وإننى آمل ألا نضطر لقتال اليهود*، لكن إذا لم يكن من ذلك بد فسوف نقاتل بالوسائل التى تعلمناها، إننا نفضل أن نقاتل ضد العرب، إذا ما قام الحكم الذاتى فسوف نقاتل العرب الذين يحملون سلاحاً، وإذا ما انسحبت إسرائيل من «الجولان» فسوف نصمد بها ونقاتل ضد السوريين ونمنعهم من الدخول»(٢).

ويشير تقرير صحفى من واشنطن، إلى أنه فى أعقاب مجزرة الحرم الإبراهيمى، فى الخامس والعشرين من شهر فبراير ١٩٩٤، التى نفذها المستوطن اليهودى «باروخ جولدشتاين»، الذى هاجر إلى إسرائيل من الولايات

---

(١) جريدة «الأهالى»، القاهرة، ١٩٩٤/٣/٩.

* يقصد اليهود الذين يقفون مع عمليات الانسحاب المحدودة من بعض الأراضى العربية المحتلة، فى إطار التسوية السياسية.

(٢) انظر خالد الخروب، تقرير عن الموضوع، جريدة «الحياة» الدولية، لندن، ١٩٩/٩/٢٣.

المتحدة عام ١٩٨٣، بدأ الخبراء والمراقبون السياسيون الأمريكيون يدرسون بنوع من التركيز ظاهرة أن الكثير من اليهود المتطرفين، فى المستوطنات الإسرائيلية فى الأراضى المحتلة، جاءوا أساساً من الولايات المتحدة، بل ومن مناطق محددة فى الولايات المتحدة، أبرزها «حى بروكلين» الشهير فى نيويورك. والأمثلة على تطرف «اليهود الأمريكيين» فى حركة الاستيطان اليهودية كثيرة، لعل أبرزها، كما أسلفنا القول الحاخام العنصرى «مائير كاهانا» (مؤسس منظمة «كاخ» الإرهابية) الذى قُتل فى شهر تشرين الثانى/ نوفمبر ١٩٩٠، واتُهم فى اغتياله «سيد نصير»، الشاب المصرى الأصل، وقد برّاته المحكمة من قتل «كهانا»، لكنها حكمت عليه بالسجن، على أية حال، لمدة عشرين سنة لمخالفات قضائية أخرى[1].

وكذلك حركة «كاهانا حاى»، أى «يحيا كاهانا» التى أسسها أحد أبناء «كاهانا» فى إسرائيل، وأقام لها فرعاً نشطاً فى «نيويورك»، ويشير «ديفيد شيبلر»، مدير مكتب صحيفة نيويورك تايمز» بالقدس، فى الثمانينيات، إلى أنه من الحقائق التى تجدر ملاحظتها والتركيز عليها أن اليهود الأمريكيين يشكلون أكثر من ١٥٪ من المستوطنين اليهود فى الأراضى المحتلة، الذين يُقَدَّرُ عددهم بأكثر من ١٣٠,٠٠٠ مستعمر[2].

فضلاً عن ذلك تلجأ الجماعات اليهودية المتطرفة فى آماكن تركز اليهود، خصوصاً فى ولايات «نيويورك» و«ماريلاند» و«بنسلفانيا» و«فلوريدا» و«إلينوى» و«كاليفورنيا»، إلى تنظيم «دورات تثقيفية، لمن يريد من أبناء الجالية اليهودية، «لا لتعليمهم أصول الدين أو التاريخ اليهودى، بل لغسل أدمغتهم بأحقيَّة اليهود التاريخية والدينية فى آرض إسرائيل، وبأن العرب «آوباش» لا يستحقون هذه الأراضى، وينبغى مقاتلتهم فى أى أرض وبأية

(١) مفيد عبد الرحمن. أمريكا تُفرخ الإرهابيين اليهود وتُصَدِّرهُم لإسرائيل، مجلة «الوطن العربى»، باريس، العدد (٨٨٩)، ١٩٩٤/٣/١٨.

(٢) المصدر نفسه.

وسيلة لإعادة الحق إلى أهله»، وهناك كتيبات ونشرات ومجلات يهودية عديدة، يمولها أثرياء اليهود المتطرفين، تتناقل هذه الأفكار بشكل منتظم.

ويقول «شيبلر»: إن «الكثير من الأطفال اليهود هنا يتم حقن أدمغتهم بمقادير كبيرة من الحقد والكراهية، فى المدارس وفى المنازل وفى المناقشات العامة التى تجرى أمامهم بين الكبار»، مضيفاً أن هناك جماعات يهودية متطرفة «لا عمل لها سوى الحض على خلق عقلية يهودية لا تقبل التسامح، بل تهدف أساساً إلى تعليم أبناء هذا الجيل أن أمامها عدواً توراتيا واحداً هو العربى»[1]. ويذكر الكاتب اليهودى (الليبرالى) المعروف «روبرت فريدمان»، الذى نُشر له مؤخرًا واحداً من أفضل الكتب باللغة الإنجليزية عن الحركة الاستيطانية الإسرائيلية، «متحمسون لصهيون»، الذى نشر له مؤخراً، الحوادث التالية على ما يقدمه يهود أمريكا للمستوطنين الإسرائيليين من دعم مالى:

فى شهر أيار «مايو» ١٩٩٠، عقدت مؤسسة يهودية أمريكية تتخذ من نيوريورك مقراً لها، وتطلق على نفسها اسم «صندوق الخليل»، مؤتمرها الثالث فى فندق «شيراتون ميدولاندز» بنيوجرسى القريبة من «نيويورك»، على شرف مؤسس هذا الصندوق فى الولايات المتحدة، الحاخام الإسرائيلى والزعيم الاستيطانى المتطرف «موشى ليفنجر»، الذى كان أول من بدأ الاستيطان فى الخليل فى عام ١٩٨٢، ويعمل الصندوق كمؤسسة «خيرية معفاة من الضرائب»، حسب القانون الأمريكى، هدفها الأساسى جمع الأموال لشراء العقارات والأراضى فى منطقة الخليل، التى يقول كُتَيِّبٌ صادر عن المؤسسة أنها «لا تقل قدسية بالنسبة إلينا كشعب الله المختار عن مدينة القدس نفسها»[2].

ولم يتمكن الحاخام المتطرف من الحضور لأنه كان يقضى آنذاك أحكاماً بالسجن، لمدة ستة أشهر فقط، لقتله صاحب محل لبيع الأحذية، فلسطينى بالطبع، فى الخليل، قبل ذلك التاريخ بحوالى عام.

---

(١) المصدر نفسه.   (٢) المصدر نفسه.

ولكن زوجته الأمريكية الأصل، «مريم»، التى كانت أول من استوطن قلب «الخليل» بمستوطنة «بيت هداسا»، حضرت الحفل وألقت فيه خطاباً حماسياً أسفر عن جمع ثلاثة ملايين دولار، خلال أقل من ثلاث ساعات، وقد تم تنظيم ذلك الحفل فى اليوم ذاته الذى أقدم فيه جندى إسرائيلى، وصفته السلطات الإسرائيلية فوراً وكالعادة بأنه «مهووس»، بإطلاق النار على مجموعة من العمال العرب بالقرب من مستوطنة «ريشون لتزيون»، مما أدى إلى قتل سبعة منهم مرة واحدة، ورغم ذلك، لم يتفوه أحد من الحضور، وكلهم من ذوى الوزن الثقيل مالياً وسياسياً فى الولايات المتحدة وكندا، بكلمة واحدة عن تلك المذبحة، التى كان مُنَفِّذها منتمياً إلى الحركة الاستيطانية ذاتها التى تَجَمَّعُوا تلك الليلة لجمع الأموال لحسابها فى قلب الولايات المتحدة.

وممن لم يتمكنوا من حضور حفل العشاء ذلك أيضاً وزير الدفاع الإسرائيلى الأسبق «آريئيل شارون»، الذى خاطب الحضور تليفزيونياً، عن طريق الأقمار الصناعية، وقال لهم إنه يقدم «تهانيه الحارة على هذا الإنجاز للحاخام «ليفنجر» وعقيلته، اللذين اعتبرهما «بطلين حقيقين لأبناء جيلنا»[1].

أما الحضور الآخرون من ذوى الوزن الثقيل، مالياً وسياسياً فى الولايات المتحدة وكندا، فكان من بينهم «دوك هيكند»، وهو عضو فى كونجرس ولاية «نيويورك»، التى تشمل مناطق تجمع اليهود المتشددين مثل «بروكلين» و«بوروباك» و«كوينز»، وحضر الحفل أيضاً «سام رابابورت»، وهو صاحب أكبر شركة إنشاءات فى ولاية «بنسلفانيا» القريبة، ورجل الأعمال اليهودى المعروف «مارك بلزبيرج»، أما أغنى من حضروا ذلك الحفل فقد كانوا «الأخوة الثلاثة ريشمان» الذين ينتمون إلى عائلة «ريشمان» اليهودية الكندية الواسعة الثراء، والذين يملكون واحدة من أكبر شركات العقارات على وجه الأرض، والذين قدرت مجلة «فوربز» الأمريكية ثروتهم بسبعة آلاف مليون دولار.

وفى أحد أيام صيف العام ١٩٨٣، عقدت منظمة أخرى «خيرية ومعفاة

(١) المصدر نفسه.

من الضرائب»، مقرها «نيويورك»، تُدعى «أمريكيون من أجل إسرائيل الآمنة»، التى تأسست فى عام ١٩٧٦، مؤتمراً استغرق يوماً كاملاً فى «مركز شيراتون للمؤتمرات» بنيويورك، حضره مالا يقل عن ٣٠٠ شخصية يهودية بارزة، قدمت المنظمة خلاله للحضور خرائط وكتيبات تبين سهولة شراء العقارات والأراضى فى الضفة الغربية، ورخص أسعارها بالمقارنة مع الأراضى القريبة من القدس، كما جاء فى أحد الكتيبات التى وُزِّعَتْ على الحضور. وأكد مسئولو المنظمة على المشاركين فى ذلك المؤتمر «أن بالإمكان شراء دونم الأرض فى الضفة الغربية بما لا يزيد عن ٣,٨٠٠ دولاراً، مقارنة بـ ٨٠,٠٠٠ دولاراً للدونم فى ضواحى القدس»[١]، وبعد انتهاء ذلك المؤتمر تمكنت المنظمة من بيع آلاف الدونمات من الأراضى الفلسطينية لليهود الأمريكيين، الذين لم يزر الكثيرون منهم إسرائيل أو الأراضى المحتلة أبداً فى حياتهم.

وفى عام ١٩٨٤، عندما تمكنت الشرطة الإسرائيلية من الكشف عن أعضاء الشبكة السرية من المتطرفين اليهود المسئولة عن سلسلة من الهجمات الإرهابية ضد المواطنين الفلسطينيين، والتى كان أبرزها مسلسل التفجيرات ضد رؤساء البلديات المنتخبين: «بسام الشكعة» و«كريم خلف» و«إبراهيم الطويل» فى العام ١٩٨٠، أسس أنصار هذه الحركات المتطرفة، فى نيويورك، صندوقاً خاصاً لجمع الأموال من أجل استخدامها لدفع نفقات المحامين الذين انتدبوا للدفاع عن أولئك المتهمين المتطرفين فى المحاكم الإسرائيلية[٢].

ويقول «فريدمان» إنه بالإضافة إلى كل هذه النشاطات، عكفت منظمات المستوطنين الإسرائيليين، على إنشاء منظمات أمريكية تابعة، لها هدفها الرئيسى هو تجنيد المستوطنين المحتملين من أوساط اليهود المتطرفين، أو حتى من غير اليهود، لإرسالهم إلى مستوطنات الأراضى المحتلة «بهدف زيادة عدد المستوطنين وجعل المستوطنات، حقيقة على الأرض لا يمكن تغييرها»[٣].

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

ومن أبرز هذه الحركات حركة «برتيز يزرائيل»، أى «أرض إسرائيل»، وهى منظمة أمريكية مئة بالمئة، مع أنها فى الواقع، كما يقول الكاتب اليهودى، «جماعة تابعة لحركة جوش إيمونيم» الاستيطانية فى الأراضى المحتلة، هدفها تجنيد المستوطنين، من أوساط يهود الشتات، لاسيما فى الولايات المتحدة»(١).

ولكن نشاطات الجناح المتطرف وسط الجالية اليهودية الأمريكية، الداعم لحركة الاستيطان الإسرائيلية فى الأراضى المحتلة، منذ نشأته على يد الحاخام المتطرف «موشى ليفنجر» فى عام ١٩٦٨، لا تنحصر فى جمع الأموال لهذه الحركة واجتذاب المستوطنين المحتملين إلى الأراضى المحتلة. وتقول مصادر أمنية أمريكية، ويهودية (ليبرالية) إن المنظمات اليهودية اليمينية بدأت تقيم معسكرات تدريب، فى أنحاء شتى فى الولايات المتحدة، لتعليم المتطرفين اليهود الذين يفكرون فى الهجرة إلى إسرائيل فى المستقبل على استخدام كافة أنواع الأسلحة وصناعة العبوات المتفجرة والانضباط والعقيدة العسكرية، وما إلى ذلك من أساليب وفنون الحرب. وتضيف هذه المصادر أن بعضاً من اليهود المتطرفين الذين يلتحقون بالحركة الاستيطانية فى الأراضى المحتلة، «قد يكونون قد تلقوا تدريبات فى السابق أثناء خدمتهم فى القوات المسلحة الأمريكية، واكتسبوا خبرات قتالية أثناء مشاركتهم فى حروب أمريكا، لاسيما حرب فيتنام الطويلة»(٢).

وعلاوة على ذلك، فلقد أشارت مصادر وكالة المخابرات الأمريكية (C.I.A) إلى أن «القائمين على هذه المعسكرات، يستقدمون جنوداً وضباطاً فى الخدمة، أو من قوات الاحتياط التابعة للجيش الإسرائيلى، ليدربوا أنصار الحركات اليهودية المتطرفة هنا فى الأراضى الأمريكية قبل انتقالهم إلى إسرائيل»، وأضافت: أن هذه المعسكرات «منتشرة فى الجزء الأعلى من ولاية «نيوريورك» وولايات «بنسلفانيا» و«فلوريدا» و«إلينوى» و«كاليفورنيا»، وضواحى ولاية «ماريلاند» القريبة من العاصمة واشنطن»(٣).

(١) المصدر نفسه.　　(٢) المصدر نفسه.　　(٣) المصدر نفسه.

ويضيف «ألبرت مخيبر»، رئيس «اللجنة العربية الأمريكية لمحاربة التمييز العنصرى» إلى ما تقدم معلومة جديدة فيقول:

«إن تقرير «إف بى آى» (F.B.I)، عن الإرهاب عام ١٩٨٥، يشير إلى أن المنظمات الإرهابية الموالية لإسرائيل ومن بينها «رابطة الدفاع اليهودية» قامت بأكثر من ٥٠٪ من الأعمال الإرهابية التى وقعت ذلك العام. وخلال تلك السنة تعرضت مكاتب «اللجنة العربية ـ الأمريكية لمحاربة التمييز العنصرى» للهجوم ثلاث مرات، وفى آب (أغسطس) ١٩٨٥ أصيب شرطيان بجروح خطيرة بينما كانا يحاولان إبطال مفعول قنبلة وضعت فى مكتب اللجنة العربية فى مدينة «بوسطن». وفى التاسع والعشرين من تشرين الثانى (نوفمبر)، وهو يوم التضامن العالمى مع الشعب الفلسطينى، التهمت النيران المقر الوطنى الرئيسى للجنة فى «واشنطن».

أما أخطر تلك الهجمات، فهو الذى وقع فى الحادى عشر من تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٨٥، حين أدى انفجار قنبلة موقوتة فى مكتب «اللجنة العربية ـ الأمريكية» فى مدينة «سانتا» فى «كاليفورنيا»، إلى قتل مدير المكتب «أليكس عوده»، ونسف المبنى بكامله.

وفى ذلك الوقت أعلن مدير «إف. بى. آى»، القاضى «وليام وبستر»، أن العرب الأمريكيين «دخلوا منطقة الخطر». كما ثبتت مسئولية العصبة اليهودية عن الانفجار الذى لم يصدر أى حكم بشأنه حتى الآن. وهرب الأمريكيون الإسرائيليون الثلاثة، المشتبه بهم، من الولايات المتحدة إلى إسرائيل، التى رفضت سلطاتها حتى الآن السماح للمحققين الأمريكيين باستجوابهم»(١).

(١) أليبرت مخيبر، العلاقة الأمريكية مع الإرهاب الإسرائيلى، مجلة «الوسط»، لندن، العدد (١١٠)، ١٩٩٤/٣/٧.

وقد ظهرت عشرات التقارير الإخبارية الأمريكية فى الصحف وعلى شاشات التليفزيون، تشير إلى تصاعد عدد المنظمات اليمينية الإرهابية فى الولايات المتحدة وإسرائيل، وإلى ونشاط هذه المنظمات الاستيطانى. من ذلك ما أذاعه برنامج «ستون دقيقة» فى شبكة تليفزيون «سى. بى. إس.»، فقد ظهر فيه «مايك جازوفاكى» من حركة «كاهانا حى» لكى يهدد: «سنفعل كل شىء لتقويض اتفاق عرفات ـ رابين»، كما تحدث عن «احتمال نشوب حرب أهلية فى إسرائيل بسبب قضية الانسحاب من الأراضى المحتلة»[1].

ولم تمض فترة طويلة حتى أعلنت مجموعة إرهابية، تطلق على نفسها اسم «فرقة درع ديفيد مكابى»، مسئوليتها، عن محاولتى تفجير فى كانون الثانى (يناير) ١٩٩٤، ضد جماعتين يهوديتين ليبراليتين هما: «الصندوق الإسرائيلى الجديد» و«الأمريكيون من أجل السلام الآن».

وأصدرت تلك المجموعة الإرهابية بياناً قالت فيه إن حكومة «رابين» «باعت الشعب اليهودى»، وأن «الحرب الأهلية بدأت»، وإثر ذلك سارع رئيس الوزراء الإسرائيلى السابق «إسحق شامير»، وهو نفسه عرّاب الإرهاب فى الشرق الأوسط، إلى تقديم الغطاء السياسى لحركة «كاهانا حى»، بقوله فى معرض تعليقه على هجوم نيويورك: «إن حركة السلام الآن ألحقت بدولة إسرائيل من الأذى والضرر أكثر مما كانت ستلحقه تلك القنبلة فيما لو انفجرت»[2].

وهذه الحركات من أمثال «كاخ»، و«كاهانا حى»، تحظى بتأييد واسع فى إسرائيل والولايات المتحدة، لاسيما بين الشباب، ويضم هذا الكادر الجديد أناساً من أمثال العضو السابق فى «رابطة الدفاع اليهودية» المتطرف «دوك هيكند»، الذى أصبح الآن مساعداً لرئيس بلدية نيويورك الجديد. «رودى جيليانى»، فقد حقق جهاز «إف. بى. آى» فيما ذكرته الأنباء عن دور «هيكند» فى سلسلة من الهجمات الإرهابية حين كان عضواً فى العصبة، ومن الأمور

(١) المصدر نفسه.   (٢) المصدر نفسه.

المسجلة أيضاً ضد «هيكند» أنه امتدح جويمة قتل «أليكس عوده»، وقد أعلن هؤلاء الصهاينة المتعصبون «أن مذبحة الخليل كانت تحقيقاً لوعد الانتقام»[1].

ومن المثير أن نقرأ مانشرته صحيفة «هاآرتس» الإسرائيلية حاويًا انتقاداً صارخاً، وَجَّهَهُ أحد صحفييها إلى اليهود الأمريكيين، لمناصرتهم الدولة الصهيونية دون قيد أو شرط:

«أنتم أيها الأمريكيون.. أنتم أيها الليبراليون.. أنتم يا من تحبون الديمقراطية.. إنكم تعملون على تدميرها هنا فى إسرائيل، بتجاهلكم الحديث عن أى شىء ضد تصرفات الحكومة الإسرائيلية».

«إنكم تدفعون الإرهابيين إلى وضع القنابل فى سيارات العُمد الفلسطينية المنتخبين، وتقومون بتسليح المستوطنين اليهود وقلّة من العرب الحالمين بالسلطة لإثارة القلاقل فى القرى العربية.. إن المستوطنين قتلوا عدداً من الفلسطينيين، ورغم أن البوليس كان يعرف القتلة، إلا أنه لم يتحرك لأن لديه أوامر.. فما هو عذركم عن عدم تناول هذه الانتهاكات ضد القانون الإسرائيلى والأخلاق اليهودية؟!».

«وأشار الصحفى إلى ماذكره أحد أعضاء حركة (جوش إيمونيم) المتطرفة: «أن الواجب الدينى يقتضى تدمير كل السكان من غير اليهود بما فيهم النساء والأطفال»، وقال الصحفى: «إن صحيفته لديها ملف كامل، بقصص مُرعبة، رواها الجنود الإسرائيليون لدى عودتهم من دورياتهم فى الضفة الغربية المحتلة»، مؤكدا أنه «يمكن نشر هذه القصص بالتفصيل، ولكن الرقيب العسكرى الإسرائيلى يمنعنا»[2].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) انظر: نعوم شومسكى، المثلث المحتوم: الولايات المتحدة وإسرائيل والفلسطينيون.
NU'AM SHUMSKY, The Inevitable Triangle: U.S.A. and Israel and Palestinian.
ترجمة: أحمد عز الدين بركات، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ص ص: ٢٤ ـ ٢٥.

وفى تعليق البروفيسور اليهودى الأمريكى الليبرالى «نعوم شومسكى» على هذه الواقعة يقول: «ويمكن للإنسان أن يتخيل ما يحيويه مثل هذا الملف بالنظر إلى ما تنشره الصحف الإسرائيلية بالفعل.. ويجب أن نذكر أن كل ما ينشر فى الصحف الإسرائيلية بالعبرية، يتم حذفه من الصحف الأمريكية، حتى لا يعرف هؤلاء الذين يدفعون الضرائب، وبالتالى يساهمون فى المساعدات التى تحصل عليها إسرائيل، شيئاً عن ذلك.. لقد تحققت الأخطار التى تواجهها إسرائيل من مؤيديها الأمريكيين، مما سيؤدى بالتالى إلى مزيد من المعاناة فى المنطقة وبشكل يمثل تهديداً متكرراً بنشوب حرب أكبر... ربما كانت حرباً عالمية»[1].

وفى محاولة للتعبير عن المخاوف من تصاعد نشاطات الجماعات الصهيونية الإرهابية فى أمريكا، كان وفد من رؤساء الجمعيات العربية ـ الأمريكية فى الولايات المتحدة فد التقى مع «وارن كريستوفر» وزير الخارجية الأمريكى، بعد مذبحة الخليل، وقدموا إليه خمس توصيات هى:

ـ على إدارة الرئيس «كلينتون» أن تؤيد فى إطار مجلس الأمن تدابير ملائمة وفعّالة لضمان حماية السكان الفلسطينيين فى الأراضى المحتلة، بما فى ذلك القدس.

ـ على الولايات المتحدة إقناع إسرائيل، الدولة المحتلة، اتخاذ خطوات سريعة لوضع حد لكل أعمال العنف ضد الفلسطينيين، من قبل المستوطنين الإسرائيليين، وأن تنزع سلاح هؤلاء، خصوصاً الذين ينتمون منهم إلى حركات عنصرية، ذات آيديولوجية عنف، وتدعو إلى تهجير الفلسطينيين.

ـ على الولايات المتحدة أن تدعو إسرائيل إلى وقف كل النشاطات الاستيطانية فى الأراضى المحتلة.

ـ دعوة الإدارة إلى إعادة تقويم دورها فى عملية السلام والتخلى عن

(١) المصدر نفسه، ص: ٢٥.

موقفها «الهامد»، الذى تميزت به خلال الأشهر القليلة الماضية، والعودة إلى دور أكثر نشاطاً، كشريك كامل فى العملية السلمية، وعلى المسارات الأربعة.

ـ بناء على واقع أن مرتكب المجزرة فى «الخليل»، كان مواطناً أمريكياً ينتمى إلى منظمة إرهابية لها ارتباطات أمريكية، فإن من المهم أن تعمل مختلف أجهزة الحكومة الأمريكية على تحمل مسئولياتها وأن تفتح تحقيقاً وافياً يشمل عضوية وتمويل تدريب أتباع هذه المجموعات فى الولايات المتحدة.

الانحياز بعينه

وبالطبع، ففيما عدا بعض كلمات التهدئة والمجاملة، التى لا تقدم أو تؤخر فى الواقع شيئاً، لم تتخذ الإدارات الأمريكية خطوة فعلية واحدة لتنفيذ هذه التوصيات أو غيرها، بل على العكس تماماً تمادت فى تبنى المواقف والسياسات الإسرائيلية، «الرسمية» منها و«المتطرفة»، واللتان تلتقيان فى منبعهما الواحد، وغاياتهما الواحدة، مع المنابع والغايات الأمريكية، والمصالح الاستراتيجية لها... وتعترف مجلة «نيوزويك» أن المطلوب إغلاق الباب أمام حركة الأفراد.. والأموال والأفكار أيضاً، من أمريكا إلى إسرائيل، فى محاولة لإيقاف تصدير القاتلين من المتطرفين اليهود إلى الأراضى العربية المحتلة[1].. فهل هذا ممكنٌ؟.. ممكن بالطبع فى حال إذا ما قررت الإدارة الأمريكية إيقاف إسرائيل ومتطرفيها عند حد معين.. لكن الواقع أن هذا الأمر غير مطروح تحقيقه بالمرة. بل إن أمريكا تتمادى فى تجاهل مشاعر ومصالح العرب إلى أقصى درجة ممكنة، ويكفى أن نقرأ تعليق الإدارة الأمريكية على تقرير الأمم المتحدة الذى يدين إسرائيل فى جريمة تَعَمُّدْ قتل المدنيين الذى لجأوا إلى مقر الأمم المتحدة ـ للاحتماء بها ـ فى قرية «قانا» بجنوب لبنان، لنعرف حقيقة الموقف الأمريكى الفعلى، ففى حين نقل تقرير لمجلة «كول هائير» (الإسرائيلية حول المذبحة التى نصبها جنود المدفعية الإسرائيلية، بدم بارد للمدنيين الأبرياء)، تعليقات الجنود

(1) NEWS WEEK, U.S.A., November 27, 1995.

الإسرائيليين، الذين أبلغوها أنهم «لا يشعرون بأى ندم أو أسف على سقوط هذا العدد الكبير من القتلى المدنيين العزل»، واعتبارهم أن القتلى: «مجرد حفنة من العرب»، وفى حين ذكرت المجلة أن قائد المدفعية الإسرائيلية عقد اجتماعاً قبل القصف، مع الجنود، وأبلغهم بالحرف: «هذه حرب، إن هؤلاء النفايات البشرية يطلقون عليكم الصواريخ.. فماذا تفعلون.. أنتم تعرفون أن هناك ملايين كثيرة من العرب* فماذا أنتم فاعلون».. جاء تعليق الرئيس الأمريكى (بعدما أعربت المؤسسات الرسمية الأمريكية عن غضبها على إدانة التقرير لإسرائيل)، على النحو التالى:

«نلتمس العذر لإسرائيل فى مذبحة «قانا» بجنوب لبنان، وما حدث هو من قبيل «الأخطاء» المتوقعة فى زمن الحرب.. والتى لا يمكن تفاديها مهما تكن دقة الأسلحة»(١).

يقول «نعوم شومسكى»، فى كتابه السابق الذكر، معلقاً على عشرات من المواقف الأمريكية الشبيهة.. إنه «الانحياز بعينه»(٢) لكنه انحياز مفهوم، ودوافعه واضحة، فتقييم علاقة آمريكا بإسرائيل مرهون بدورها «الوظيفى» لخدمة المصالح الاستراتيچية لأمريكا والغرب فى منطقتنا، أو حسب «شومسكى»، فهو قد «تحدد طبقاً للدور المتغير الذى لعبته إسرائيل، بمقتضى المفاهيم الأمريكية المتغيرة لمصالحها الاستراتيجية السياسية فى الشرق الأوسط»(٣).

«فمن النفاق بالفعل، كما يذكر «شومسكى»، أن ندين إسرائيل بسبب إقامة المستوطنات فى الأراضى العربية المحتلة، بينما نحن ندفع لها من أجل إقامة هذه المستوطنات والتوسع فيها، ومن الزيف أن ندين إسرائيل لمهاجمتها الأهداف المدنية، بالقنابل الفوسفورية والعنقودية، بينما نحن نمدها بهذه

* استخدم لفظ «عرابوشيم» العبرى، وهو تعبير عنصرى يحمل معانى الاحتقار والازدراء للعرب.

(١) جريدة «الأهرام»، القاهرة، ١٩٩٦/٥/١١.

(٢) نعوم شومسكى، مصدر سبق ذكره، ص: ٨٩.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٢٧.

الأسلحة ونعرف أنها ستستخدمها فى هذه الأغراض فقط، ومن الزيف والنفاق والكذب أن ننتقد قصف إسرائيل للمناطق المدنية المزدحمة بالسكان أو مغامراتها العسكرية الأخرى، فى الوقت الذى لا نمدها فيه فقط بالأسلحة، بل ونرحب أيضاً باختبار هذه الأسلحة الحديثة المتطورة فى ميدان المعركة، لكى نتأكد، بأكثر الطرق أمناً، من صلاحيتها فى تنفيذ هذه التجارب.. وبصفة عامة، فإنه من النفاق المحض أن ننتقد ممارسة إسرائيل للقوة بينما نرحب بمساهمات إسرائيل نحو تحقيق الهدف الأمريكى بتصفية كل التهديدات التى تواجه السيطرة الأمريكية على منطقة الشرق الأوسط.. وبوضوح فإن علينا أن نتأكد من أنه طالما استمرت الولايات المتحدة فى تقديم الأداة، فإن إسرائيل سوف تستخدمها لتحقيق أغراضها»[1].

٢ـ «الصهيونية غير اليهودية» والمحرقة النووية:

تُعَرِّف «ريجينا الشريف» «الصهيونية غير اليهودية» باعتبارها «ظاهرة فريدة» تُعَبِّرُ عن «مجموعة من المعتقدات المنتشرة بين غير اليهود، والتى تهدف إلى تأييد قيام دولة قومية يهودية فى فلسطين، بوصفها حقًّا لليهود، طبقاً لمؤتمر بازل».. وعلى ذلك «فالصهيونيون غير اليهود، هم أولئك الذين يؤيدون أهداف الصهيونية ويشجعونها، بشكل صريح أو مُقَنَّع»[2].

فـ «الصهيونية غير اليهودية»، أو «المسيحية الصهيونية»، أو أياً كانت المسميات التى تتخذها الجماعات التى تحمل أفكاراً ومعتقدات مشابهة، انطلاقاً من هذا التعريف، تُمَثِّلُ وجه العملة الثانى للأصولية اليهودية العنصرية المتشددة، ويكمل كل فريق منهما عمل الآخر، ويتحدان فى المسعى النهائى لهما: انتزاع فلسطين من العرب وبناء الدولة اليهودية عليها، وعلى أرضٍ عربية أخرى، بحسب التفسيرات التوراتية التى يؤمن بها أتباع هذه الطوائف.

(١) المصدر نفسه، ص: ١٥.

(٢) ريجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية: جذورها فى التاريخ الغربى، الكويت، سلسلة عالم« المعرفة»، العدد (٩٦)، ديسمبر ١٩٩٥، ص: ١٠.

وهناك فرق واضح بين أنصار «الصهيونية غير اليهودية» والمسيحيين الخُلَّصْ، هو آن الأولين تشكل دوافعهم السياسية الجزء الأساسى من البنية الأيديولوجية لمعتقداتهم، فيما يقتصر الآخرون على دوافع دينية وأفكار إيمانيه، لا يتعدونها إلى برامج ومشاريع وأهداف وخطط ذات طبيعة وغايات سياسية، يلجأون إليها لتحقيق مطامعهم، كما يفعل دعاة الفريق الأول وأنصاره.

وتعود جذور هذه الدعاوى السياسية، التى تَسَتَّرَتْ بأزياء دينية، حسبما يُجمع الباحثون، إلى عهد حركة الإصلاح الدينى، البروتستانتى، فى القرن السادس عشر، فالأساطير الصهيونية التى بدأ غرسها فى تلك المرحلة المبكرة، كما تذكر ريجينا الشريف، «كانت متوافقة مع تلك التى أصبحت تشكل، فى النهاية، المنطق الروحى الباطنى للصهيونية اليهودية السياسية، وهى أساطير «الشعب المختار»، و«الميثاق»، و«عودة المسيح المنتظر».. وقد جعلت أسطورة «الشعب المختار» اليهود أمة مفضلة على الآخرين، بينما كانت أسطورة «الميثاق» تركز على الارتباط السرمدى الدائم بين «الشعب المختار» و«الأرض المقدسة» كما وعد الله، وبذلك مُنحت فلسطين لليهود كأرض كُتبت لهم. آما أسطورة «تَرَقُّبْ عودة المسيح»، فقد كفلت للشعب المختار أن يضع حداً لتشرده. وقد صاحب «الإصلاح البروتستانتى» اهتمام واضح بالتنبؤات التوراتية المتعلقة بـ «نهاية الزمان»، وتحقيق «العصر الألفى السعيد» وهى فكرة جوهرها الاعتقاد بعودة «المسيح المنتظر» الذى سيقيم «مملكة الله» فى الأرض، والتى ستعمر لمدة «ألف عام» كاملة، وكان أصحاب هذه العقيدة يؤمنون أيضاً بآن تقرير مصير اليهود جزء عضوى ومكون أساسى من مكونات نظريتهم، فالتفسير الحرفى لنصوص «سفر الرؤيا»، «قادهم إلى الاستنتاج بآن عودة اليهود كآمة «إسرائيل»، إلى فلسطين، هى بشرى الألف عام السعيدة»[١].

وقد تواكبت هذه الدعاوى مع مصالح الفئات الاجتماعية والجهات

(١) المصدر نفسه، ص: ٣٨.

المعادية لليهود التى وجدت فى تهجيرهم إلى فلسطين حلاً نموذجياً للمشاكل المتراكمة المترتبة على وجودهم فى أوروبا، وكذلك مع رغبات كبار الرأسماليين الغربيين الذى رأوا فى هذا التوجّهُ، قَطعاً للطريق على انضمام «البروليتاريا اليهودية»، إلى صفوف الطبقة العاملة الأوروبية الثورية النشطة، أوائل هذا القرن.

فمن المعروف أن إعلان نتائج «مؤتمر بازل»، الصهيونى، الذى عقد عام ١٨٩٧ قد تواكب مع تدفق يهود أوروبا الشرقية إلى بريطانيا وأمريكا هرباً من موجات العنف التى تعرضوا لها أواخر القرن الماضى، وقد أزعجت موجات الهجرة اليهودية الضخمة القادة الكبار للإمبراطوريات الاستعمارية، مثل «جوزيف تشمبرلن، (١٨٣٦ ـ ١٩١٤م)، الذى تخوف من انعكاساتها السلبية على الاقتصاد البريطانى، «ومن مزاحمة الأيدى الرخيصة للمهاجرين اليهود للطبقة العاملة البريطانية»[١].

رباط لا ينقطع

ومن جهة أخرى فلقد وجد دعاة الاستعمار الغربى، فى هذه الفكرة مصدراً جديداً لدعم أطماعهم وتطلعاتهم فى منطقتنا، وقد عَبَّرَ «نابليون بونابرت»، عن هذه الأطماع حين وجّهَ نداءه الأول إلى يهود العالم، للقتال معه من أجل «إعادة إنشاء مملكة القدس القديمة»[٢]، عام ١٧٩٩، وكذلك جَسَّدتها دعوة الرئيس الأمريكى الأسبق «جون آدامز»، إلى «استعادة اليهود لفلسطين وإقامة حكومة يهودية مستقلة»[٣]، ثم تكرست فى الدور الذى لعبه الاستعمار البريطانى، برموزه وقياداته، فى تدعيم هذا التوجّه، وتيسير سبل تحقيقه، دون النظر بأدنى اعتبار للحقوق المشروعة لأصحاب الأرض الأصليين، على نحو ما عَبّرَ عنه اللورد «بلفور»، صاحب الوعد المشؤوم

(١) محمد السمّاك، الصهيونية المسيحية، ط ٢، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٣، ص: ٤٨.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٢. (٣) المصدر نفسه.

لشهور، بوضوح قاطع: «ليس فى نيتنا حتى مراعاة مشاعر سكان فلسطين الحاليين.. إن القوى الأربع الكبرى ملتزمة بالصهيونية، وسواء كانت الصهيونية على حق أم على باطل، جيدة أم سيئة، فإنها متأصلة الجذور فى التقاليد القديمة العهد، والحاجات الحالية، وآمال المستقبل، وهى ذات أهمية تفوق بكثير رغبات وميول السبعمائة ألف عربى الذى يسكنون هذه الأرض القديمة»(١). وكذلك فالدعم المستمر الصريح من الولايات المتحدة لإسرائيل الآن، على كل المستويات، وبكل السبل يُعَبِّرُ بوضوح قاطع عن هذه الأطماع المُدركة من قبل الطرفين: الغرب الإمبريالى بزعامة الولايات المتحدة من ناحية، والدولة الصهيونية وقادتها، من ناحية أخرى، مثلما صَرَّحَ، بحسم، الرئيس الأمريكى «بيل كلينتون»، بقوله:

«إن الرباط الذى يشد أمريكا إلى إسرائيل هو رباط خاص: والعلاقة بين الدولتين هى علاقة مميزة وفريدة بين الأمم»(٢).

الإمبريالية الدينية

والخطير فى أمر السياسات الأمريكية، والغربية، المتصاعدة، لدعم العدو الصهيونى بلا حدود ولا حساب، هو أن تلك السياسات، تعتمد، إضافة إلى الدوافع المصلحية والاستراتيجية الأمريكية والغربية المفروغ منها، إلى بُعد «مسيحى ـ صهيونى» عميق الغور فى المكونات الأيديولوچية والثقافية للقادة والرؤساء الأمريكيين والغربيين، المؤثرين، الذين ينتمون إلى اتجاهات كنسية «مسيحية ـ صهيونية»، تؤمن كما يشير الدكتور «رفيق حبيب» فى كتابه «المسيحية والحرب: قصة الأصولية الصهيونية الأمريكية والصراع على الشرق الإسلامى» بعدد من الأهداف، وضعتها نصب أعينها، منها:

« ـ حتمية تفوق أمريكا، فى السلاح، حتى تصبح أقوى قوى العالم.

(١) ريچينا الشريف، مصدر سبق ذكره، ص: ١٥٩ ـ ١٦٠.

(٢) انظر: أحمد بهاء الدين شعبان، الاستراتيچية العسكرية الإسرائيلية عام ٢٠٠٠، القاهرة، دار سينا للنشر، ١٩٩٣، ص: ٤٢٩.

- حتمية عودة اليهود، وإقامة دولة إسرائيل فى فلسطين العربية.

- حتمية عودة يهود الشتات، جميعاً، إلى دولة إسرائيل، وعلى رأسهم بالطبع، يهود (الاتحاد السوفيتى).

- حتمية هدم المسجد الأقصى، وإقامة هيكل سليمان (الثالث)، فى نفس مكانه.

- ضرورة تصاعد أحداث التاريخ، حتى تقوم «قوى الخير»، وعلى رأسها، أمريكا، بمحاربة كل «قوى الشر»، فى معركة «هرمجدون» فى فلسطين، حتى يأتى المسيح، ليحكم العالم لمدة ألف عام سعيد»[1].

وقد أكد هذه التوجهات، قبل ذلك، الرئيس الأمريكى الأسبق «جيمى كارتر»، الذى ينتمى لجناح من الكاثوليكية المتشددة، المتعاطفة مع الصهيونية، فى خطاب له أمام الكنيست الإسرائيلى (القدس - مارس ١٩٨٩م):

«لقد آمن، وأظهر، سبعة من رؤساء الجمهورية (الأمريكية) أن علاقة الولايات المتحدة الأمريكية بإسرائيل هى أكثر من مجرد علاقة خاصة. لقد كانت ولا تزال علاقة فريدة لا يمكن تقويضها، لأنها متأصلة فى وجدان وأخلاق وديانة ومعتقدات الشعب الأمريكى ذاته.. إننا نتقاسم معا ميراث التوراة»[2].

إنها، كما يصفها حقاً «د. رفيق حبيب»، «ليست إلا «إمبريالية دينية»، وإنها شكل جديد من الأشكال العصرية للرأسمالية العالمية، وعصر الهيمنة الأمريكية، ولم لا، والأصولية الأمريكية تعتبر أن أمريكا هى رائد «إمبراطورية الخير»، والسياسة الأمريكية تقول إنها قائدة «العالم الحر»، ولم لا، والأصولية الأمريكية ترى الشعب الأمريكى ذا التراث الدينى، على أنه شعب الله المختار، بعد الشعب اليهودى، الذى فى الصدارة بين شعوب الأرض، باعتباره الشعب المختار الأول»[3].

(١) د. رفيق حبيب، المسيحية والحرب: قصة الأصولية الصهيونية الأمريكية والصراع على الشرق الأوسط، القاهرة، مركز يافا للدراسات والأبحاث، ١٩١١، ص: ٣.

(٢) انظر لواء أ. ح. د. فوزى محمد طايل، النظام السياسى فى إسرائيل، ط ٢، القاهرة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٢، ص: ٢٩.

(٣) المصدر السابق، ص ص: ٥ - ٦.

وتبدو خطورة هذه العقائد المغلوطة على آمننا ومستقبلنا واضحة غاية الوضوح، بغير التباس أو تشويش، إذا ما عرفنا أن هذه التيارات الأصولية، المسيحية ـ الصهيونية (والمتمركزة داخل الحركة الإنجيلية العالمية)، قد استطاعت أن تدفع بعدد من المنتمين إلى أفكارها إلى سدة الحكم فى آمريكا، ومنهم على سبيل المثال الرؤساء: «جيمى كارتر» و«رونالد ريجان»، و«جورج بوش»، وعدد كبير آخر منهم إلى المواقع الأولى فى الإدارات الامريكية المتعاقبة.

ويزيد من إدراكنا لخطورة وأبعاد هذه الاتجاهات «المسيحية ـ الصهيونية»، التى تعمقت داخل أركان حركة «الإنجيليين الأصوليين»، إذا ما طالعنا الإحصاءات التى توضح الأعداد الضخمة من الأشخاص المنتمين إلى هذه التيارات، فى الولايات المتحدة، وعلى امتداد العالم كله، كما يذكرها «د. رفيق حبيب» فى كتابه السابق الإشارة إليه «المسيحية والحرب»، نقلاً عن موسوعة العالم المسيحى» (World Christian Encyclopedia)، وعن موسوعة عملية العالم ، (Operation World):

١ ـ الإنجيليون (الأصوليون) فى العالم، بمختلف تياراتهم، ٢٤٠,١٥٧,١٠٠ نسمة، وذلك فى سنة ١٩٨٥، وفى سنة ٢٠٠٠، يتوقع أن يصل عددهم إلى ٣٤٣,٥٥٤,٣١٠.

٢ ـ الإنجيليون (الأصوليون) فى آمريكا، بمختلف تياراتهم، ٧٤,٧٢٨,٠٠٠ فى سنة ١٩٨٥، ومتوقع أن يصل عددهم فى سنة ٢٠٠٠ إلى ٩٣,٥١٥,٠٠٠. (المصدر الأول).

٣ ـ وتقدر الموسوعة عدد المنتمين إلى الجماعات الأصولية (المجموعات الإنجيلية الأكثر تشدداً) بـ ١٠ ملايين نسمة، (المصدر الثانى)[١].

(١) المصدر السابق، ص ١٠.

هيكلهم.. ومسجدنا

وقد نشرت مجلة «نيو ريببلك» «New Republic»، بحثاً عن التحالف غير المقدس بين فئات متعصبة من المسيحيين الصهيونيين واليهود، لتقويض الحرم الشريف بالقدس، أَعَدَّهُ «مايكل لادن»، الأستاذ بمعهد الدراسات الاستراتيجية» فى جامعة «جورج تاون» بواشنطن، و«باربره لايدن»، نائبة رئيس تحرير المجلة العلمية «نظرة على الأثريات فى الأراضى المقدسة» وأشار إليه المحامى الفلسطينى «درويش ناصر» فى كتابه «الفاشية الإسرائيلية»، وقد ذكر الباحثان إلى أن خلوة «تاج الكهنة» فى القدس القديمة، التى تعمل على إعداد كهنة للهيكل الثالث، تُمول من قبل طائفة إنجيليكانية، وهى تدعم الخلوة المذكورة أيضاً فى استملاك أبنية فى الحى الإسلامى، على طول الطريق المؤدى إلى الحرم القدسى».

ولا تقتصر نشاطات المجموعات الأمريكية الدينية المتعصبة على مساعدة الفئات اليهودية الدينية المتعصبة وحسب، بل تشجع أيضاً أوساطاً قومية متطرفة فى إسرائيل تؤمن بالهدف ذاته: السيادة اليهودية فى الحرم.

ويشير البحث إلى أنه فى العاشر من شهر مارس ١٩٨٢ أُلقى القبض على أربعين يهودياً، بتهمة محاولة التسلل إلى الحرم القدسى، أربعة منهم حاولوا التسلل مدججين بالسلاح والمواد المتفجرة عبر نفق تحت الأرض إلى مسجد قبة الصخرة، وبلغت مصاريف الدفاع القانونى عنهم خمسين ألف دولار مولت من قِبل أثرياء طائفة إنجيليكانية فى «تكساس». وفى السابع والعشرين من يناير ١٩٨٤، أُلقى القبض فى القدس على عصابة أخرى، جمعت فى مخبأ قريب من الحرم قنابل ومواد متفجرة. وفى وقت لاحق أُلقى القبض على عصابة جمعت فى مخبأ واحد أكثر من مائة لغم من نوع «كليمور»، وصواريخ مضادة للدبابات، وكمية كبيرة من المواد المتفجرة، ويكشف البحث المذكور أن تمويل العصابات وصل من مصادر مشابهة فى

الولايات المتحدة الأمريكية، وأن أكثر الطوائف حماساً وسخاء، هى الطائفة الإنجيليكانية الأمريكية التى يبلغ تعدادها آكثر من أربعين مليونا والتى كثيراً ما التقى رؤساؤها مع شخصيات بارزة فى إسرائيل، وحَثّوها على إقامة «الهيكل الثالث»، لأنه حسب معتقداتهم: عندما يقام الهيكل سيظهر المسيح ثانية.

المؤسسة البارزة والنشطة، لهذه الطائفة، فى هذا المجال، هى «صندوق هيكل القدس» ومركزه فى «لوس أنجلوس»، ويرأس إدارته «جرى روز نهاور»، وهو متعصب وثرى كبير، وغيره من أثرياء «تكساس» وقساوسة كنيسته، الذين يرافقون الحجاج المتزمتين فى زيارتهم للأراضى المقدسة، بقصد الترويج لفكرة المسيح والهيكل.

أما ممثل الطائفة فى إسرائيل فهو «ستانلى جولدفوت» من عناصر عصابة «ليحى» سابقاً، يؤمن بأن الحرم ملك لليهود وحدهم، وبضرورة حرمان أبناء الديانات الأخرى من موطئ قدم فيه.

أما رئيس الصندوق «شارلز مونرو» فقد التقى مع كبار رجال الدين اليهود فى البلاد، وضمنهم مفتى الطوائف الشرقية، وحسب قوله أنهم باركوا مساعيه إلى إقامة كنيس يهودى فى الحرم.

يقول الباحثان «لايدن» أنهما طرحا سؤالاً على أحد زعماء الأوساط اليهودية التى تسعى إلى السيطرة على الحرم القدسى، فيما إذا كنت لا ترى تناقضاً بين الهدف النهائى للمسيحيين الذين يمثلون هذه الأوساط، وبين الأهداف الدينية لليهود. فأجاب: «هم يعتقدون بأنه عند إقامة الهيكل الثالث سيظهر المسيح ثانية. ونحن نؤمن أنه عند إقامة الهيكل سيظهر المسيح لأول مرة. سنبنى الهيكل وننتظر من الذى سيأتى».

وعلى كل حال - يقول «مايكل لادن، وباربرا لايدن» - إن ملايين المسيحيين المتعصبين فى أمريكا «تنتظر الحدث المسيحى» فى الحرم القدسى، وهى على استعداد لتقديم كل عون ومساعدة مهما كلف الأمر»[1].

... وهكذا فعشرات الملايين من الأتباع المتعصبين، لعقيدة متطرفة، ترى فى أرضنا محلاً لتحقيق نبوءات توراتية صارمة يؤمنون بها، يملكون إمكانيات مادية هائلة ويتمرسون فى أعلى مواقع التأثير، فى أكثر دول العالم قوة وجبروتاً: الولايات المتحدة، ودول الغرب، يشكلون دعماً ضخماً لا يُستهان به للدولة الإسرائيلية.. هو أمر بالغ الخطورة لا يمكن التهوين من شأنه أو التقليل من آثاره.

معمودية النار

وهذه الآثار لا تمتد فقط لكى تشمل عالمنا العربى، أو أرضنا المحتلة فى فلسطين ولبنان وسوريا.. بل تغطى الكرة الأرضية بكاملها، فالعقيدة (المسيحية ـ الصهيونية)، التى تؤمن بالعودة الظافرة للمسيح، وبقيامة المملكة الألفية، تشترط وقوع معركة كونية شاملة بين قوى الخير والشر، وبين «الأطهار» و«الأشرار»، ومن هنا يمكن أن نفهم ادعاءات «رونالد ريجان»، الرئيس الأمريكى الأسبق، عن أهمية التصدى لـ «إمبراطورية الشر»، «السوفيتية» السابقة، ويمكن أن ندرك دواعى تصعيد حُمّى التسلح و«حرب النجوم»، التى تدفع بالبشرية إلى حافة الكارثة، ومن هنا يمكن أن نفهم كذلك تحذير «د. نيلين كالديكوت» «Dr. Nelen Caldicatt»، الرئيس الفخرى لمؤسسة «الأطباء من أجل المسئولية الاجتماعية»:

«إن عقائد اليمينيين المسيحيين الجدد أخذت تبنى لها أرضية فى مجتمعنا بشكل واضح. لقد أظهر التصويت لقياس الآراء، أن أربعة من كل عشرة أمريكيين يعتقدون أنه عندما يتنبأ الكتاب المقدس بأن الأرض سوف تُدَمّرُ بالنار، فإن ذلك معناه إخبارنا بأن الحروب النووية لا مفر منها.. والعواقب السياسية لهذا الاتجاه تصدم الفكر»[٢].

---

(١) درويش ناصر (المحامى)، مصدر سبق ذكره، ص ص: ٩٢ ـ ٩٤.

(٢) جريس هايسل، النبوءة السياسية: الإنجيليون العسكريون فى الطريق إلى الحرب النووية، =

وليس هذا الذى يصدم الفكر وحده، إنما الأهم أن هذه التوجهات ترى، على حد تعبير «ميرل ثورب»، (Merle Thorbe)، «رئيس هيئة السلام للشرق الأوسط»، «أن هناك مبرراً كاملاً يمكن التماسه، لدى أولئك الأشخاص، يدفع إلى اعتبار «الشرق الأوسط المكان الذى سيتم فيه الصدام العالمى.. والحرب النووية»[1] القادمة.

■ ■ ■

- ترجمة: محمد السمّاك، طرابلس - ليبيا، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ١٩٩٠.

(١) المصدر نفسه.

«إن الوقت خطير الآن..

وأنا أظن أنى أستطيع أن أجعل الحكومة الروسية تقوم، بواسطتى، بدور فى إخماد المشاعر الثائرة، ولذلك أطلب من السلطات الرسمية أن ترتب لى مقابلة مع القيصر».

من رسالة «هرتزل» إلى «بليغيه»

وزير الداخلية الروسى

١٩٠٣/٥/١٩

«لحماية أنفسنا من اليهود، لا أجد أمامنا غير وسيلة واحدة هى: نستولى على (أرض الميعاد) ونُرَحِلْهُمْ إليها..».

«فخته»

أبو القومية الألمانية

الفصل الثانى عشر

مائة عام على كتاب أنشأ دولة

السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر.

كان وطننا العربى يحيا فى سكون ما قبل العاصفة، ركود مميت يشى بقرب الانفجار.. والاستعمار الأوروبى اقتسم أركانه، ووطد دعائمه.. فى مصر انهزم العرابيون، بسبب «الولس»، أو الخيانة، كما يقول الفلاحون، بعد أن هتف زعيمهم «أحمد عرابى» بصيحته المدَوِّية: «لقد ولدتنا أمهاتنا أحراراً ونحن لسنا عبيد إحساناتكم» أما فى باقى أجزاء الوطن الكبير فالحال لم يكن أفضل كثيراً: الجزائر انبسطت عليها العباءة الفرنسية، وليبيا العباءة الإيطالية والشام العباءة الفرنسية.. وهكذا دواليك!.

وهناك على بسطة الركن الآخر من العالم، كانت الدنيا تمور بمقدمات مؤامرة محبوكة، تُدَبَّرُ وقائعها على امتداد العالم أجمع.. من أوربا إلى أمريكا، ومن الشرق إلى الغرب، ومن الإمبراطوريات التى لا تغرب عنها الشمس، إلى الإمبراطورية التى تحتضر، وتلفظ أنفاسها: إمبراطورية «بنى عثمان».

وفى عمق هذا الخضم يبرز يهودى شاب من «بوادست»، العاصمة الثانية للإمبراطورية النمساوية، وُلد فى مايو ١٨٦٠، وحصل على شهادة فى القانون من جامعة فيينا، و«نحوى» الأدب والمسرح، ثم عمل مراسلاً صحفياً فى باريس، أعوام ١٨٩١ ـ ١٨٩٥، لجريدة «نويه فرييه بريس Neue Freie Presse».

وحتى هذه اللحظات لم يكن «تيودور هرتزل» كثير الاعتناء بالـ «قضية اليهودية» بل كان من دعاة «الاندماج»، الذين آمنوا بأن الحل الجذرى للمشكلة اليهودية ولأزمة اليهود، التى تجسد اضطهاد العالم لها، وتعصبه فى

مواجهتهم.. إنما يكون بتفاعل اليهود فى محيطهم.. وذوبانهم فيه، وتخليهم عن انعزاليتهم التى تخيف الآخرين وتدفعهم إلى الريبة فى أمرهم.

كانت المجموعات اليهودية ـ فى الربع الاخير من القرن التاسع عشر ـ قد تغولت، وسيطرت على مواقع شديدة الحساسية، فى مجالات الاقتصاد والفكر والعلوم، الأمر الذى استفز مخاوف عديدة فى أوربا. ودفع إلى استنفار تراث الكراهية الكامن مجدداً فى مواجهة اليهود، والمعروف باسم «اللاسامية»، وانتشرت المفاهيم العنصرية وأصبح لها أنصار مرموقون، بعضهم صبّ جام غضبه على اليهود واتهمهم بكل نقيصة، وارجع اليهم السبب فى كل ضائقة ألمت به أو بوطنه، وآخرون طالبوا بحجزهم ـ كالموبوئين ـ فى أحياء خاصة، أو معازل (جيتوهات)، يُمنعون فيها من الاختلاط بباقى المواطنين، وتُصادر عبرها حرياتهم، وممتلكاتهم، جزاءًا وفاقاً لما ارتكبوه، ونفر ثالث أسال دمهم، تكفيراً عما ارتكبوه من جرائم وآثام.

فى هذا المناخ الملبد بالغيوم، المنذر بالتفجرات، سافر «تيودور هرتزل» إلى باريس، وقُيضّ له أن يشهد واحدة من أهم «أحداث العصر».. اتهام ضابط المدفعية، اليهودى، «الفرد داريفوس»، بالخيانة العظمى لـ «وطنه»، وسجنه سجناً مؤبداً فى أوائل عام ١٨٩٤، واجه «داريفوس» مشاعر الجماهير الغاضبة المستاءة، التى حاصرته بصيحاتها الهادرة: «الموت للخائن.. الموت لليهود».

وكانت هذه اللحظة ـ فى حياة «هرتزل» ـ لحظة فاصلة.

ساعتها انقلب «تيودور هرتزل» من الدعوة للاندماج إلى الدعوة للانفصال.. وآمن بأن «المشكلة اليهودية» ليست مجرد مسألة إنسانية تحل باندماج اليهود فى مجتمعاتهم.. والزمن كفيل بعلاج زواياها الحادة.. وإنما هى مسألة «قومية» لا يمكن حلها إلا فى إطار التمايز اليهودى الذى يستوجب التفكير فى اتجاه آخر لحل إشكالاته، بعد أن اعتبر أن «قضية

داريفوس»: «تعبير عن رغبة الأغلبية فى فرنسا لإدانة يهودى، وكل اليهود من خلال هذا اليهودى».

وهكذا بدأت مرحلة جديدة من مراحل حياة «هرتزل».. طاف فيها بأرجاء المعمورة يدعو إلى فكرة الوطن القومى لليهود، قابل الملوك والقياصرة، والخلفاء، والرؤساء والوزراء، ورجال المال والمفكرين، وألقى الخطب ودبج المقالات ونظم اللقاءات والمؤتمرات يدعو إلى فكرته.. بعد أن صاغها فى كراس صغير، لم يلفت فى البداية انتباه أحد، ثم كان له بعد ذلك فى الواقع اليهودى المأزوم دوى الانفجار الهائل، قبل أن يُقَيَّضُ لهذه الصفحات المحدودة أن تغير مصير بلادنا، وأن تدفع أوطاننا إلى دوامة لا نهاية لها.

والحق أن «هرتزل» لم يكن مبتدع فكرة «الدولة اليهودية»، ولا صاحب براءة اختراعها.. فقد سبقه إليها «موسى هس» - الاشتراكى المرتد - الذى طرح جانباً من هذه الدعوة فى كتابه الشهير «روما والقدس»، (عام ١٨٨٦)، و«ليون بنسكر» صاحب كتاب «التحرر الذاتى»، (١٨٨٢) الذى ناقش فكرة الوطن القومى لليهود عبر صفحاته.. بل إن كلمة «الصهيونية» ذاتها، التى أصبحت علماً على الحركة السياسية المترتبة على كتاب «الدولة اليهودية».. كانت أيضاً من بنات أفكار مفكر آخر اسمه «ناثان بيرنيوم».. لكن القيمة الأساسية، التى جعلت «هرتزل» يتبوأ موقعه الريادى، هى كونه أول من جمّع هذه الأفكار المتناثرة، وجدل منها حبلاً واحداً.. قفزت به الحركة اليهودية من الضياع والتمزق إلى الوجود والتحقق، فى قرن واحد لاغير.

وفى علاقة جدلية مع تطور أفكاره ونمو شخصيته، بدأ يبرز دور «هرتزل» كزعيم سياسى دبلوماسى وخطيب، ومُنَظِّم جم النشاط، استطاع أن يُجَمّعف من حوله شتات الحركة السياسية الصهيونية، ومُزقَهَا، الموزعة على أركان المعمورة.. ومن وحى أفكاره عُقد المؤتمر الصهيونى الأول بمدينة بازل

(سويسرا) فى أغسطس ١٨٩٧، بحضور ٢٠٨ عضوا يمثلون يهود ١٦ دولة.. لبحث مستقبل الحركة الصهيونية وآفاق نشاطها، وبعد انتهاء المؤتمر أعلن «هرتزل» بحسم: «فى بازل أسست دولة يهود».. فقد كان الإعلان الأبرز الذى صدر فى بازل، هو الهيكل الذى كسته الصهيونية السياسية، بمساعدة الغرب، لحمه ودمه.. فأصبحت دولة «إسرائيل».

«الدولة اليهودية» هى مانيفستو الحركة الصهيونية التى استهدفت بناء وطن ليهود الشتات.. إنه الخطة السياسية لليهود فى إطار سعى حركتهم المنظمة إلى حل مشكلتهم.. ولو كان ذلك على حساب الآخرين، لا يهم.. إنما المهم حقاً هو أن تكون لليهود دولتهم القومية وليكن ما يكون بعد ذلك.

ينقسم الكتاب إلى سبعة أجزاء، الأول مقدمة للمؤلف، والثانى تمهيد كمدخل للكتاب، وهما موجهان للقارئ اليهودى لإقناعه بأن فكرة «الدولة اليهودية» المأمولة ليست فكرة خيالية، «يوتوبيا»، وإنما فكرة قابلة للتحقق بمقدار قدرة الإرادة اليهودية على تجميع ذاتها، ودفع الدماء فى شرايينها الجامدة، لأن كل شىء يعتمد على قوتنا.. ولكن ما قوتنا الدافعة؟ إنها بؤس اليهود.. فمن يجرؤ على إنكار وجوده؟».. «إن اليهود الذين يريدون الدولة ستكون لهم، وسوف تستحقونها».. وليس هذا فحسب، بل لأن «الدولة الصهيونية ضرورية للعالم.. لذلك فسوف تقوم» لكن قيام هذه الدولة، يعتمد أولاً وأخيراً (وقد أثبتت الأحداث التالية صدق هذه النبوءة) على توفر عنصر القوة.. «إن القوة - يقول «هرتزل» - تسبق الحق. هذه هى الحقيقة الواقعة فى عالمنا المعاصر، وسوف تبقى كذلك إلى أمد بعيد».

ويشن «هرتزل» فى صفحاته التمهيدية حملة ضارية على دعاة «الاندماج»، (وقد كان فى الماضى واحداً منهم).

«إن من كان قابلاً للفناء، أو فى طريقه إليه، أو يجب أن يفنى - يقول «هرتزل» - فلندعه يفنى».. «أما القومية المتميزة لليهود.. فلا يمكن أن تفنى،

ولن تفنى، ولا ينبغى لها أن تفنى.. إنه لا يمكن تدميرها، لأن الأعداء الخارجيين يدعمونها.. قد تبلى فروع كثيرة من اليهودية، وتسقط.. أما الجذوع فإنها تبقى ثابتة».

إن حلم الدولة «الملكى»، كما يصفه «هرتزل»، «هو وحده الذى يستطيع أن ينقل أمة من بيئة، لكى تستوطن فى بيئة أخرى»، أما أهل هذه البيئة الأخرى، فليس لهم أن ييتئسوا، لأن «رحيل اليهود الآن لن يؤدى إلى اضطراب اقتصادى أو أزمات أو اضطهادات..».

وستتم عملية ترحيل اليهود إلى دولتهم الجديدة من خلال «حركة بالغة التنظيم» وبالتعاون مع «الحكومات المعنية».. إنها عملية اقتصادية مدروسة، يضمن قوة تنفيذها إنشاء هيئة عامة، سوف تسمى «جمعية اليهود»، «The Society of Jews»، وإلى جانب هذه الجمعية ستوجد شركة يهودية وهى مؤسسة إنتاجية اقتصادية، سيضمن استقرارها توفير رأس المال الكافى لها.

إن كل المحاولات السابقة لحل المسألة اليهودية كانت بلا جدوى، وإن صحب أكثرها وحسن القصد.. لماذا؟! يجيب «هرتزل».. لأنها اعتمدت - جميعها - على إذابة اليهود فى الأمم التى يوجدون بين ظهرانيها.. فى حين «أن الأمم التى يعيش فى وسطها اليهود جميعها مناهضة للسامية بشكل علنى أو مستتر».. وكلها تهتف فى نفس واحد «أيها اليهود اخرجوا».. وإذا توجب على اليهود الرحيل.. «فإلى أين؟!».. إلى أين و«العداء للسامية بين الشعوب يتعاظم يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة، وهى حَرِيةٌ بأن تتعاظم حقاً، لأن أسباب نموها مستمرة فى الوجود ولا يمكن إزالتها».

.. لقد أصبح من المستحيل أن يهرب اليهود، وكما يقول «هرتزل» من هذه «الدائرة الأبدية».. فلن يسمحوا لنا بالاندماج.. «إنهم لن يدعونا فى سلام».. «إن الكراهية التى تحيط بنا هى التى تجعلنا غرباء مرة أخرى».. وليس أمامنا من سبيل لتجاوز جدار الكراهية ومحيط الغربة إلا بتكوين «الدولة».. و«إننا نملك كل المواد الإنسانية والمادية اللازمة لهذا الغرض».

خطة تأسيس الدولة:

إن خطة «هرتزل» لتأسيس الدولة ـ كما يذكر فى صفحات كتابه ـ فى جوهرها، «بسيطة كل البساطة».. «فلنُمنح السيادة على جزء من الأرض يكفى للاحتياجات الحقيقية لأمة.. وسوف نتكفل نحن بالباقى».

وليس هذا فحسب.. بل إن «الحكومات فى جميع البلاد، التى انتُقدت بسبب العداء للسامية سوف تكون حريصة على مساعدتنا فى الحصول على السيادة التى نريدها».

وترتكز خطة «هرتزل» ـ كما بَيَّنها فى «الدولة اليهودية» ـ على ركيزتين:

١ ـ **جمعية اليهود**، التى تقوم بالاعمال التمهيدية فى مجال العلم والسياسة.

٢ ـ **الشركة اليهودية**، التى تقوم بتنفيذ الشق التطبيقى ـ العلمى ـ لإنشاء هيكل الدولة.. كما أنها سوف «تنظر فى تحقيق المصالح المالية لليهود الراحلين، وسوف تنظم الاقتصاد والتجارة فى الدولة الجديدة».

وخطة ترحيل اليهود اللازمين لوضع اليد على الأرض، وبناء أركان الدولة، ستستغرق عدة عقود من الزمن.. سوف يُرَحَّلُ أولاً الأكثر فقراً لزراعة الأرض، وفى إطار خطة سبق تصميمها: سوف ينشئون الطرق والجسور، والسكك الحديدية والتلغراف والأنهار، ويستثمرون الأنهار ويبنون المساكن ويمارسون التجارة، وسيرفع عملهم من قيمة الأرض، الأمر الذى سيُغرى يهوداً آخرين بالرحيل، وسيتدفق المتعلمون على الأرض الموعودة.. ثم.. «سوف تعترف الحكومات بالجمعية باعتبارها سلطة لإقامة الدولة».

مهمة استعمارية:

إن مهمة الشركة ـ بوضوح، وحسب تعبير «هرتزل» ـ «مهمة استعمارية خالصة»، وسر نجاحها (وهو أسلوب ظل معمولاً به على الدوام من الدولة

الصهيونية)، هو أن تضع نفسها «تحت حماية دولة عظمى»، انجلترا آنذاك ثم أمريكا بعد ذلك، و«سيكون مركزها لندن»، (الذى منح رئيس وزرائها ووزير خارجيتها«بلفور» لليهود ـ بعد عقدين ـ وعده المشهور).

أما مهمة «الجمعية اليهودية»، فهى الهيئة السياسية العامة التى يقترحها «هرتزل» لكى تقوم على سياسة شئون اليهود، ومن أجل استكمال تكوين دولتهم المتقدمة، حيث سيكون لديها مهمات علمية وسياسية «فلن نَرْحَلَ اليوم من مصر بالطريقة البدائية التى رحلنا بها فى العصورالقديمة.. إننا سوف نحصل مسبقاً على إحصاءات دقيقة لعددنا وقوتنا.. وستتكفل الجمعية بتجميع آراء اليهود المختلفة، وستقوم بترتيب بحوث الخبراء فى الوطن الجديد، وتدرس ثرواته الطبيعية وتقوم بالتخطيط الموحد للهجرة والاستيطان، والأعمال المبدئية فى التشريع والإدارة.. إلخ، وستسعى الجمعية ـ مع العالم الخارجى ـ إلى الحصول على اعترافها باعتبار الجمعية سلطة لإنشاء الدولة.

أى أن الجمعية ستكون قيادة الدولة السياسية والتشريعية فى حين تتولى الشركة واجباتها التنفيذية، لاستكمال مهمة الدولة الرئيسية: احتلال الأرض.. «وحالما تضمن الأرض، فسترسل سفينة إلى هناك، على ظهرها ممثلو كل من الجمعية والشركة والمجموعة المحلية، الذى سيدخلون فى ملكيتها على الفور: وهؤلاء الناس أمامهم ثلاث مهام لإنجازها:

١ ـ البحث العلمى الدقيق لجمع الثروات للوطن.

٢ ـ تنظيم إدارة مركزية صارمة.

٣ ـ توزيع الأرض.

لكن أين هى الأرض التى ستتولى الجمعية مهمة تحويلها إلى الدولة المنشودة؟!: «هناك منطقتان موضوعتان فى الاعتبار»، يقول «هرتزل»:

الأولى: «فلسطين». **والثانية:** «الأرجنتين».

وبرغم أن «الأرجنتين»، التى تعد من أكثر بلاد العالم خصوبة، تمتد على مساحات شاسعة، وفيها عدد قليل من السكان، ومناخها معتدل، إلا أن لُعاب الحركة الصهيونية كان يسيل على فلسطين.. إنها - يقول «هرتزل» بعاطفية مفرطة تتناقض وأسلوب الكتاب البارد الجامد - «وطننا التاريخى الذى لا تمحّى ذكراه.. إن اسم فلسطين بحد ذاته سيجتذب شعبنا بقوة ذات فعالية رائعة.. ومن هنا سوف نشكل جزءاً من استحكامات أوروبا فى مواجهة آسيا كموقع أمامى للحضارة فى مواجهة البربرية: وعلينا - كدولة طبيعية - أن نبقى على اتصال بكل آوربا التى سيكون من واجبها أن تضمن وجودنا».

لكن فلسطين - يعرف «هرتزل» - أرض يملكها شعب وليست صحراء جرداء تنتظر المدد اليهودى - بل إن «آشير جنسبرج»، الذى كان يوقع باسم «آحاد ها عام Ahad Ha - Am»، آى واحد من الشعب، كتب بعد عام واحد من مؤتمر «بازل» يحذرهم من مغبة الاعتقاد بأن «جميع العرب رجال بدائيون يعيشون فى الصحراء، وأنهم لا يرون ولا يفهمون ما يجرى حولهم.. وهذه غلطة كبيرة، لأن العرب، وخاصة سكان المدن منهم، يرون ويفهمون ما نفعله وما نبتغيه فى فلسطين.. وإذا ما تطور الأمر فى فلسطين إلى درجة زحفنا على المجال الحيوى للمواطنين الأصليين فإنهم لن يتخلوا عن مكانهم بسهولة».. «إن الدولة اليهودية الجديدة، تنشر الموت وتجلب العار على شعبنا».

لم يستمع «هرتزل» لكلمات «آحاد ها عام»، وإنما خاطب قومه متجاهلاً تحذيره.. «هناك أمر واحد يحتاج إلى شرح» - يقول هرتزل - «وأعنى به كيف يتم احتلال الأرض بالنسبة للمجموعات المحلية؟».

«فى آمريكا كانت طريقة احتلال الأرض الجديدة المفتوحة» - على نحو ما يشرح «هرتزل» - طريقة بدائية.. حيث يتجمع المستوطنون على الحدود، وفى وقت محدد سيندفعون جميعاً فى وقت واحد بعنف لاحتلال الجزء الذى

يقـدرون عليـه».. لكن هذه الوسـيلة السـاذجـة لم تعـد تصلح فـى عـصـر الاسـتعمـار والعدوان والسـلاح، ومن الغباء، على حد تعبيـر «هـرتزل» الرجوع إلى المراحل الحضـارية السـابقـة، كمـا يـريد الكثيـر من الصـهاينة أن يفعلوا.. فإذا توجب علينا أن نُخلى أرضاً من «الحيوانات المفترسة»، (وهم هنا العرب، مـلاكها الأصليون).. «فلن نقوم بالمهمة بنفس الطريقة التـى اتبعها الأوربيون فى القرن الخامس عشر».

...«فلا يصح أن نأخذ رمحاً وحربة ونخرج أفراداً وراء الدببة، بل ينبغى أن ننظم مـجموعة قوية من الصيادين، فنسوق الحيوانات لنجمعهم معاً فى مكان واحـد.. ثم نقـذف وسطهم بقنبلـة مـدمـرة»..، وقـد كـان لـ «هـرتزل» ـ وحركته ـ وأنصـاره ـ وحلفـائه.. ما أرادوا. لقد ألقى الصهاينة بالقنبلة، على مـجـموعـة (الحـيوانات) التى أرادوا التـخلص منهـا، فـانفـجـرت ولا زال دويها يصم الآذان..

راحت نصـيحـة «آحاد هـا عـام» أدراج الرياح، وجـاء «المتـحـضـرون» لكى يقذفوا بقنابلهم المدمرة وسط «الحيوانات العربية المفترسـة».. وبعد مائة عام فقط على وضع كتاب «الدولة اليهودية» انفتح الطريق لـ «أبناءالعم»، تماماً، مثلما تنبأ «هـرتزل»، وهو يخاطب قومه:

.. «يا إخـوانـنا اليــهـود: هذه هى «أرض الميـعـاد».. لا أسطورة هى ولا خدعة، وكل إنسان يستطيع أن يختبر حقيقتها بنفسه، لأن كل إنسان سيحمل معه قطعة من «أرض الميعاد»: بعضها فى رأسه، وبعضها فى ذراعيه، وبعضها فى ملكيته المكتسبة».

■ ■ ■

«يجب أن تكون حدودنا الشمالية تلك الجبال المواجهة لـ قبادوكيا (Cappadocia)، والجنوبية عند قناة السويس.

وسوف يكون شعارنا: «فلسطين داوود وسليمان»

«هرتزل»

اليوميات، جـ١، ص:٣٤٢

...«من نهر مصر إلى الفرات»

«هرتزل»، اليوميات

١٨٩٨/١٠/١٥

الفصل الثالث عشر

الجماعات الإرهابية والأصولية الإسرائيلية (رصد عام)

أكدت وقائع عملية الاغتيال الناجح، التى راح ضحية لها «إسحق رابين»، رئيس الوزراء الإسرائيلى السابق، على يد أحد عناصر الجماعات الإرهابية الأصولية اليهودية العديدة العاملة فى إسرائيل، ومحاولات الاغتيال الأخرى التى تعرض لها «شمعون بيريز» رئيس الوزراء الحالى[1]، واعترف بها علناً، أن مضمون ومساحة التهديد الفعلى لهذه الجماعات أكبر كثيراً من حدود الاهتمام الذى حظيت به، أو الدراسة الموضوعية التى خضعت لها، وقد ساعدها كونها مجهولة الهوية، غائبة الملامح، غائمة الصورة، كثيراً، فى تأخير اكتشاف معالم خطورتها والتحرك لضربها... أحياناً، وفى أحيان أخرى، ثَبُتَ أن جهاز الأمن الإسرائيلى ذاته، كان متورطاً فى علاقات عميقة مع العديد من هذه الجماعات الفاشية الإرهابية، إلى حد المبادرة بتشكيل وإعلان بعضها، من أساسه، مثلما كان الحال مع جماعة «آيال»، التى اُغتيل «رابين» برصاصات أحد العناصر المنضوية تحت عباءتها، ومع غيرها من منظمات الإرهاب.

ومن نافل القول بالطبع، الإشارة إلى أن هذه الجماعات ودورها الإرهابى، ما كان يمكن له أن يتم، إلا بعلم قوى ومباشر من هيئات عديدة فى الحكومة، والأحزاب السياسية والدينية، والمؤسسات الصهيونية المختلفة، داخل إسرائيل وخارجها.

ويلمس البروفيسور «أيهود سبرنيزهاك»، الأستاذ بالجامعة العبرية فى

(١) جريدة «الأخبار»، القاهرة ١٩٩٦/١/٣.

«القدس»، هذه القضية، فى ملحوظة بالغة الأهمية، مفادها أن جريمة قتل «رابين»، قد نفذتها مجموعة إرهابية صغيرة، وليست منظمة سرية كبيرة أو قوية، وهى مجموعة ظلت مجهولة الهوية حتى نَفَّذَتْ ضربتها، واعتبر البروفيسور «سبرنيزهاك»، أن هذه الظاهرة آكثر خطراً على المجتمع الإسرائيلى «حيث يكون من الأصعب توجيه الضربات عندما يكون الأمر متعلقاً بمجموعات متشبعة»[1].

وهذه الملحوظة صحيحة للغاية، وهى ظاهرة عامة ليست مقصورة على الحركة الأصولية اليهودية وحدها، حيث يمكن لنا ـ نحن هنا فى مصر ـ أن ندرك طرفاً من ملامحها، ممثلاً فى ذلك التوالد الذى كان يشبه انقسام الخلايا الحيّة، السريع والمتواصل، للمجموعات والتنظيمات الإرهابية، بعضها من باطن البعض، أو بمحاذاته أو عبر امتداداته... إلخ.

كذلك يلمس البروفيسور «سبرنيزهاك» ملمحاً آخر من ملامح هذه الجماعات الإرهابية، ومصدراً جديداً لخطورتها، حيث ينحصر عدد النشطين المعروفين فى إطار هذه الحركات المتطرفة بالعشرات فقط، فى حين أنهم يعتمدون على حلقة أوسع تضم مئات الشبان، غالبيتهم من المستوطنين، شديدى الحماس، والمستعدين للقيام بأى عمل يستهدف تَجَنُّب الانسحاب من أراضى الضفة الغربية وغزة، باعتبارها مهمة مقدسة، ويقول «سبرنيزهاك» إن نجاح عملية إغتيال رابين، سيشجع هؤلاء المتطرفين: «فمن وجهة نظرهم كانت العملية ناجحة، وكل الأمور تدفع إلى الاعتقاد أنها سَتَحُثُّهُمْ على معاودة الكرَّة»[2].

وفيما يلى نقدم رصداً مكثفاً لأهم هذه الجماعات: تأسيسها ومظاهر أنشطتها، وأشكال حركتها، وأبرز رموزها وزعمائها، مع ملاحظة أن بعض هذه الجماعات قد اندثرت مع انقضاء المهمة التى أُنشئت من أجل تحقيقها،

(١) انظر: ماجد أبو دياك، هدف «إسرائيل الكبرى» قَتْلَ رابين، جريدة «الحياة» الدولية لندن، ١٩٩٥/١٢/٣.

(٢) المصدر نفسه.

والبعض الآخر دخل مرحلة «كمون مؤقت» حتى يتم تنشيطه فى الوقت المناسب، أما البعض الآخر فلا زال يمارس نشاطاته بحماس ووضوح، ونظراً لطبيعة الدوافع التى تكمن خلف إنشاء هذه الجماعات فإن أغلبها مُرَشّحٌ لدور متعاظم فى الفترة القادمة، حينما تبدأ المفاوضات الإسرائيلية ـ الفلسطينية فى التعامل مع أهم وأعقد موضوعين فى سياق التسوية السياسية الراهنة، وهما قضية المستوطنات التى أقيمت غصباً على الأراضى المحتلة، وكذلك قضية القدس، والتى ترى هذه الجماعات أنهما قضيتان محسومتان، باعتبارهما من صلب «أرض إسرائيل الكاملة» التى وعد الرب بها «شعبة المختار»:

١ ـ حركة أرض إسرائيل الكاملة

بعد مرور أقل من شهرين على حرب الأيام الستة، أغسطس ١٩٦٧، وما آلت إليه من نتائج مذهلة على كافة الأصعدة، التقى نفر من الكتاب والمثقفين والفنانين والعسكريين وزعماء الكيبوتسات، وعدد من الزعماء والشخصيات البارزة، الذين لعبوا دوراً ملموساً فى الصراع من أجل تكوين الدولة، وأعلنوا تأسيس «حركة أرض إسرائيل» التى جعلت لها هدفاً أساسياً يتمثل فى الضغط من أجل الاحتفاظ بكامل الأراضى المحتلة التى سقطت فى قبضة إسرائيل مؤخراً. وبالنسبة لهذه الجماعة فإن القضية لم تكن تمثل مجرد سيطرة على أراضٍ جديدة تم احتلالها، وإنما اعتبرتها قضية أساسية تتصل بالمصير القومى لليهود، وبالرغم من أن برنامج عملها كان يخلو من العمق الدينى ومظاهره، إلا أن مؤسسيها نظروا إلى الاستيطان العاجل فى الأراضى المحتلة، والسعى إلى ضمها ضماً مستديماً لإسرائيل، على أنه مسألة لها أولوية مطلقة، متحججين بأن الحكومة الإسرائيلية لا تملك «حق التخلى عن أية أرض كانت تنتمى إلى الشعب اليهودى على مر التاريخ»[1].

جمعت بنية «حركة ،أرض إسرائيل» أفراداً من الحركات العمالية

---

(١) ديفيد نيومان، مصدر سبق ذكره، ص:٣١.

الدينية والقومية فى إطار واحد، وسعت إلى حشد كل ما يمسها من طاقات ... هدفها الرئيسى. على المدى القصير. تحقيق استيطان زراعى وحضرى واسع، والدمج الاقتصادى للأراضى، وتطبيق القانون الاسرائيلى داخل هذه المناطق، وعلى المدى الطويل: إنجاز ضم نهائى، قانونى ورسمى للأراضى المحتلة إلى إسرائيل[1].

وقد جعل هذا الهدف عدداً من الباحثين ينظرون إلى هذه الجماعة باعتبارها قد أعادت بعث ايديولوجية تقليدية معروفة فى تاريخ الصهيونية السياسية، هى «الحركة التصحيحية»، التى ظلت قناعة ثابتة لدى العديد من الجماعات الإسرائيلية، على الرغم من كونها «لم تكن تملك أى مغزى عملى بين عامى ١٩٤٨ و١٩٦٧»[2].

وكما عَبَّرَتْ عن هذا الموقف فى برنامجها السياسى: «إن النصر الذى حققه «تساحال»، (جيش إسرائيل)، فى حرب الأيام الستة، قد وضع الشعب والدولة فى حقبة جديدة ومصيرية، إن أرض إسرائيل كلها هى الآن، فى أيدى الشعب اليهودى، وكما أنه لا يجوز أن نتنازل عن دولة إسرائيل، كذلك نحن ملزمون بصيانة ما حصلنا عليه من «إرتس يسرائيل».

نحن ملزمون بالولاء لكامل الوطن من أجل ماضى شعبنا ومستقبله، ولا يحق لأية حكومة إسرائيلية أن تتنازل عن هذا الكمال الذى يمثل حق شعبنا الجوهرى الثابت منذ بداية تاريخه»[3].

وبالرغم من تواجد بعض الحاخامات، فى صفوف الموقعين على البيان التأسيسى لحركة «أرض إسرائيل الكاملة»، إلا أن صُلب توجهاتها اندرجت تحت لافتة الجناح القومى المتشدد من الصهيونية العلمانية، وهى، وإن لم تتجه إلى تشكيل حركة ذات بُعد جماهيرى أو إنشاء حزب سياسى، إلا أنها

(١) المصدر نفسه، ص: ٣٦.
(٢) المصدر نفسه، ص. ٣٥.
(٣) إيان لوستك، مصدر سبق ذكره، ص: ٥٢.

بلورت نظامها فى تشكيل جماعة ضغط قوية، تسعى إلى التآثير فى سياسة الحكومة بواسطة أشكال الضغط المتعددة: كالإعلام والصلات الشخصية بوزراء الحكومة ومسئوليها»[١].

وكان من أهم الشخصيات الفاعلة فى حركة «أرض إسرائيل الكاملة»، ومؤسسها «إبراهام يوفى»، الجنرال السابق فى الجيش الإسرائيلى، والذى اعتبر أن جوهر التوراة الذى يجسد «إرادة الشعب» ويُعَبّرُ عنها «هو الحرب»، وهى «أداة تحقيق السيادة على أرض إسرائيل الكاملة»[٢].

كما كان عام ١٩٦٩ ذروة نشاط الحركة، وفيها انتُخب عدد من أعضائها فى الكنيست ممثلين لأحزابهم الأخرى التى ينتمون إليها، وقد منحهم هذا الوضع قوة نسبية باعتبارها جماعة ضاغطة، تؤثر على الحكومة، عبر عناصرها فى المؤسسة التشريعية، واستمر نشاطها فى بداية عقد السبعينيات، وبعد حرب أكتوبر ١٩٧٣، ومع بروز جماعة «جوش إيمونيم» بحركيتها ونطاق عملها الواسع، امتصت أعداداً مؤثرة من نشطاء الحركة فى سياقها، ومع مقدم عام ١٩٧٧، كانت الحركة قد ذابت داخل جماعة «جوش إيمونيم»، فتجمدت أنشطتها وتوقفت صحيفتها «زوت هاآرتس» عن الصدور[٣].

٢ ـ «أمناه»

كانت «أمناه» وليدة اتساع مجال حركة جماعة «جوش إيمونيم»، وخروجها من حيز منظمة استيطانية محدودة النشاط، تركز جهودها على مظاهر الاجتماع والتظاهرات السياسية المحدودة، وعناصر التأثير الهامشى فى المجتمع، إلى حركة واسعة المقومات والقدرات، تحتوى فى إطار جهودها

(١) المصدر نفسه.

(2) BEN AMI, Book of the Holly, London, P. 192.

مذكورة فى: إيان لوستيك، مصدر سبق ذكره، ص: ١٦٠.

(٣) المصدر نفسه، ص٥٣٠.

مخططات عملية لإنشاء وتعزيز المستعمرات اليهودية على الأراضى المحتلة، وفيما يعرف بـ «أرض إسرائيل الكاملة».

أُنشئت «أمناه» عام ١٩٧٦، وفى ربيع ١٩٨٠، حينما كانت «جوش إيمونيم» تمر بأزمة أدت إلى تفرق شمل الشخصيات القيادية فيها، وإزاء تسارع معدلات الاستيطان، وتأثر تملك الأراضى فى المناطق الواقعة تحت السيادة الإسرائيلية، أعلنت «أمناه» أنها هى «جوش إيمونيم» بكل ما تمثله، وفى استطاعتها النطق باسمها»[١].

واستمرت منظمة «أمناه» فى العمل من أجل تدعيم الحركة الاستيطانية لـ «جوش إيمونيم»، وتأثرت معدلات حركتها سلبياً بالانسحاب الإسراتيلى من «مستعمرة ياميت» إثر معاهدة السلام مع مصر، (أبريل ١٩٨٢)، لكن «أمناه» استمرت «تُدار بواسطة عشرة من الأعضاء المتفرغين الموظفين، ولديها ممثلين منتشرين فى أوروبا والولايات المتحدة، وميزانيتها تقارب المليونى دولار سنوياً»[٢].

٣ـ عصابة «درع ديفيد مكاى»

مجموعة من المجموعات الإرهابية اليهودية الأمريكية المنشأ، أعلنت فى يناير ١٩٩٤ مسئوليتها عن محاولتى تفجير ضد جماعتين يهوديتين «ليبراليتين» مقرهما «نيويورك»، هما: «الصندوق الإسرائيلى الجديد» و«الأمريكيون من أجل السلام الآن»، وقد أيد «إسحق شامير»، رئيس الوزراء الإسرائيلى السابق، نشاطات هذه العصابة الإرهابية، وقدم لها غطاءً سياسياً، بقوله، فى معرض تعليقه على هجوم «نيويورك»: «إن حركة السلام الآن ألحقت بإسرائيل من الأذى والضرر أكثر مما كانت ستلحقه تلك القنبلة فيما لو انفجرت»[٣].

---

(١) المصدر نفسه، ص:٧٠.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) مجلة «الوسط»، لندن العدد (١١٠)، ١٩٩٤/٣/٧.

وقد أصدرت هذه العصابة الإرهابية بياناً شَنَّتْ عبر سطوره حملة ضخمة على حكومة حزب العمل السابقة، ورئيسها «إسحق رابين»، واتهمتها بأنها «باعت الشعب اليهودى»، ودَقّتْ طبول «الحرب الأهلية اليهودية التى بدأت»، من جرّاء السياسات (المهادنة) لرابين وحكومته[1].

٤ ـ جماعة «آيال» التنظيم اليهودى المقاتل

فى إسرائيل جامعة دينية شهيرة هى جامعة «بار إيلان»، تُعد من مراكز التطرف الإسرائيلى وأهم معامل تفريخه، وقد شَكَّلَ نفر من طلبتها هذه الجماعة الإرهابية فى عام ١٩٩٢، ويمكن إدراك حدود هذه الجماعة الإرهابية، ومنظور تطوراتها الإجرامية، من تقويمها لأداء جماعتين مصنفتين باعتبارهما من أشد الجماعات الإرهابية اليهودية تطرفاً، وأكثرها عنفاً وعدوانية: جماعة «كاخ» التى أسسها الحاخام الفاشستى «مائير كاهانا»، وحركة «كاهانا حى» التى تأسست على يد ابنه بعد مقتله، فقد اعتبرت جماعة «آيال» هاتين الجماعتين «لا تجيدان سوى الكلام»[2]؛ بالرغم مما عرف عنهما من توجيه سهام عملياتهما الإرهابية تجاه العرب والأراضى المحتلة، (على النحو الذى أوضحناه فى موضع آخر من هذا الكتاب).

وتؤمن هذه الجماعة، كغيرها من جماعات الإرهاب الأصولى اليهودى، بقدسية «أرض إسرائيل الكاملة»، وبارتداد وكفر من يجرؤ على (التنازل) عما تعتبره حقاً توراتياً لا رجعة فيه وتدفع بالحكم على من يرتكب هذه «الكبيرة» بالموت، وهى على علاقة وطيدة بغيرها من الأحزاب والقوى والجماعات الإرهابية والأصولية واليمينية الإسرائيلية. وبعد واقعة اغتيال «إسحق رابين» على يد واحد من عناصرها، «إيجال عامير»، تبين أن مكتب «إسحق شامير»، رئيس الوزراء الإسرائيلى الأسبق، قد تدخل لدى جامعة «تل

(١) (المصدر نفسه).

(٢) نهال شريف، هل ينجح بيريز فى الاختبار الصعب؟!. مجلة «المصور»، القاهرة، العدد (٧٣١)، ١٩٥٥/١٠/١٧.

أبيب ـ عام ١٩٩٢ ـ من أجل السماح بعودة «أفيشاى رافيف» زعيم جماعة «ايال» للدراسة، بعد أن طرد منها لسلوكه العنصرى.

فى أعقاب اغتيال «إسحق رابين» وُجهت اتهامات إلى جهاز الـ «شين ـ بيت»، (جهاز الأمن الداخلى الإسرائيلى)، بتأسيسه لهذه المجموعة المتطرفة. وقد أعلن الحاخام «آيلون» حاخام مدرسة «بيت عوروت» التلمودية الواقعة على جبل الزيتون، فى القدس الشرقية، وابن أحد قضاة «المحكمة العليا» فى إسرائيل، أن «آيال» أُنشئت وتطورت بواسطة «شين بيت»، ثم أعاد تأكيد هذا الاتهام، فى حديث للإذاعة الإسرائيلية بقوله «إن «شين بيت» تعرف، ليس فقط من هم أعضاء «آيال»، بل إنها قامت بتأهيلهم وتمويلهم»[١].

وقد كشفت صحيفة «أحرونوت» الإسرائيلية، بعد أيام من هذا الإعلان، أن «إيجال عامر» قاتل «رابين» قد تدرب بالفعل كأحد الحراس فى جهاز الأمن الداخلى الإسرائيلى «شين ـ بيت» عام ١٩٩٢، وأنه قد تلقى تدريبات على كيفية إطلاق النار، ومحاضرات عن تمارين الحماية، قبل إرساله فى بعثة حكومية إلى «لاتفيا»، وقد تعلم فى إحدى هذه المحاضرات الكيفية العملية التى تتيح له اختراق حواجز الأمن الكثيفة بسهولة، لحظة وصول أو انصراف «الهدف».

ولفت نظر المراقبين، الذين حضروا جلسة استماع لمحاكمة «إيجال عامير» هدوءه وابتسامته التى لم تفارق وجهه، وتعليقه الذى ذكر فيه «أنه ربما يكون قد نفذ عملية القتل بمفرده، ولكن لم يجذب الزناد وحده. وإنما كل أمة إسرائيل التى تحلم بالوطن منذ ألفى عام، وضَحَّتْ بالدماء من أجله، فعلت ذلك معه»، كذلك وصف «إيجال عامير» رئيس الوزراء المقتول «رابين»، بأنه «لم يكن زعيماً شرعياً لليهود»، مؤكداً أن اغتياله قد خدم «قضية العدل» فى البلاد، وذكر أنه حاول اغتياله قبل ذلك ـ عدة مرات[٢].

(١) جريدة «الحياة» الدولية، لندن، ١٨/١١/١٩٩٥.

(٢) جريدة «الاهرام»، القاهرة، ٢٣/١١/١٩٩٥.

ويزيد من أهمية ما تقدم ذكره، أن التحقيقات التى تمت عقب عملية اغتيال «رابين»، اثبتت أنها لم تكن العملية الوحيدة التى خططت لها منظمة «ايال»، وإنما اعدت المنظمة لعمليات إرهابية أخرى فى الأراضى المحتلة، كما أعدت قائمة جديدة للاغتيال، على رأسها «شمعون بيريز» رئيس الوزراء، ووزير الخارجية السابق، والعديد من الشخصيات الفلسطينية والإسرائيلية الأخرى.

والأخطر من ذلك، أن التحقيقات كشفت تغلغل هذا التنظيم داخل «جيش الدفاع الإسرائيلى» ومنه تَحَصَّلت الجماعة على الأسلحة والذخيرة والمتفجرات التى ضبطت بحوزة القاتل.

٥ ـ عصابات أمناء «جبل الهيكل»

واحدة من المنظمات الإرهابية التى اتجهت إلى ترويع الآمنين من السكان العرب، وممارسة العديد من أشكال الإرهاب والاعتداء، بهدف إكراه العرب الفلسطينيين على النزوح، وترك مواقعهم فى أراضيهم التى ورثوها عن الأجداد، بحجة أنها جزء من «أرض إسرائيل الكاملة» التوراتية.

شاركت عصابات «جبل الهيكل»، مع غيرها من التنظيمات والتجمعات الإرهابية اليهودية المسلحة فى إسرائيل، فى تنظيم العديد من المظاهرات الصاخبة وعمليات الهجوم على العرب وأملاكهم فى «الخليل»، وباقى مدن الضفة الغربية و«القدس»، تلك العمليات التى بلغت ذروتها فى الفترة بين ١٩٨٠ ـ ١٩٨٤، وهى الفترة التى شهدت ٣٨٠ اعتداء على أفراد عرب، وتمخضت عن قتل ثلاثة وعشرين فلسطينياً، وإصابة ١٩١ منهم بإصابات بالغة. كما تم خلالها اختطاف ٣٨ عربياً، وتنفيذ المئات من الهجمات والاعتداءات على الممتلكات والسيارات والمنازل والمتاجر، إضافة إلى ٤١ اعتداء على المؤسسات والهيئات الإسلامية والمسيحية. وفى تلك الفترة وقع حادث الاعتداء البارز، الذى فَجَّرَ سيارتى رئيس بلديتى «نابلس»، «ورام الله»، الأمر الذى أدى إلى إصابتهما بإصابات بالغة[١].

(١) إيان لوستيك، مصدر سبق ذكره. ص: ٧٩.

ترتبط هذه العصابات بحركة «كاخ» الفاشية، وتعمل علناً من أجل هدم قبة الصخرة، ومن أجل إعادة بناء «هيكل سليمان» فى الموقع ذاته.

يرأس هذه الجماعة الآن «جيروشون سالمون»، الذى كان عضواً نشطاً فى «رابطة الدفاع اليهودية الأمريكية»، ويعمل مديراً تنفيذياً لمدرسة «جبل المعبد»، وكُشِفَ لديه مخزون هائل من الأسلحة والمتفجرات والخرائط، التى فَضَحت تدبيراً إجرامياً لنسف المنطقة، وقتل سكان الأراضى المحتلة الفلسطينيين، وقد انضم «سالمون» وهو صبى إلى منظمة «الأرجون» الإرهابية، وفى مطلع الستينيات انضم إلى حزب «حيروت» اليمينى، وباسمها انتُخب فى مجلس بلدية «القدس»، قبل أن ينضم إلى كتلة «جيئولا كوهين»، وليشترك معها فى تأسيس حزب «هتحياه» المتطرف، وليرأس فرعه فى «القدس».

وبالرغم من اعتقال عدد من نشطاء الحركة بسبب نشاطاتهم الإرهابية ضد الفلسطينيين، أصحاب الأراضى الأصليين، فإن حكومة «إسحق شامير» السابقة أفرجت عنهم فى إطار عفو عام صَدّقت عليه[1].

وكانت المحكمة العليا الإسرائيلية، قد أصدرت قراراً يقضى بالسماح لأعضاء الجماعة بالدخول إلى حرم المسجد الأقصى، وإقامة شعائرهم التوراتية فيه، الأمر الذى عُدَّ انتهاكاً جديداً للمقدسات الإسلامية، واستفزازاً مباشراً للسلطة الفلسطينية بعد اتفاقات الحكم الذاتى.

وينادى «سالمون» بضرورة نقل المحكمة العليا إلى جبل «البيت»، وبأن يؤدى رئيس الدولة القسم فيها، كما يدعو إلى مرور الطوابير الاستعراضية المسلحة، للجيش الإسرائيلى، فى ساحة المسجد الأقصى[2].

---

(١) لواء أ.ح أحمد سويلم، عودة الحركات الصهيونية لتضرب من جديد، جريدة «الوفد»، القاهرة، ١٨/٣/١٩٩٤.

(٢) غازى السعدى، من ملفات الإرهاب الصهيونى فى فلسطين: مجازر وممارسات (١٩١٦ ـ ١٩٨٣)، عمان ـ الأردن، دار الجيل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، طبعة أولى، يونيو ١٩٨٥، ص: ٢٦٣.

٦ـ جماعة «شوفو بانيم»

إحدى جماعات المستوطنين الذين نشطوا للاستيلاء على الأراضى العربية، فى فترة تصاعد عمليات مصادرة الأراضى الفلسطينية وحُمّى الاستيطان الإسرائيلى عام ١٩٨٤.

وخلافاً للجماعات الأخرى المستلهَمة من «جوش إيمونيم»، «ليس لشوفوا بانيم أية إستراتيجية قومية ملموسة، بل إن طريقة أعضائها فى التعبد، وعقائدهم العنصرية المناهضة للعرب، هى التى كَوّنت العامل المخل بالأمن والاستقرار»(١)، ومن أبرز أنشطتهم الاعتداء المتكرر على الفلسطينيين المقيمين فى فناء «حياى عولام»، وتعمد إزعاجهم بالصياح، أثناء الصلاة والأناشيد طوال الليل.

٧ـ حركة «وقف الانسحاب من سيناء»

تأسست فى ربيع عام ١٩٨١، بهدف تطوير نشاطات وقف الانسحاب من مستعمرة «ياميت» على أثر الاتفاقية المصرية ـ الإسرائيلية، وانضم لصفوفها عناصر من دعاة «جوش إيمونيم» و«تحيا» و«بيشع»، الذين كانوا يخشون أن يكون الانسحاب من «ياميت» سابقة تُكَرِّسُ فكرة الانسحاب من المستوطنات المقامة فى الضفة الغربية وغزة، إضافة إلى عدد من الحاخامات الملتزمين بمبدأ يقول إن «ياميت»، «جزء لا يتجزء من أرض إسرائيل، وأن التخلى عنها «سيعوق الخلاص الإلهى إعاقة شديدة»(٢).

الهدف الأول المعلن لحركة «وقف الانسحاب من سيناء» كان هو السعى عن طريق التعبئة الجماهيرية إلى تعويق عملية الانسحاب من مستعمرة «ياميت»، أما فيما إذا استحال تنفيذ هذه الغاية، فقد استهدفت الحركة القيام بأعنف ما يمكن من المصادمات بين الحكومة والمستوطنين المعارضين

(١) مجلة الدراسات الفلسطينية، بيروت، العدد (٨)، خريف ١٩٩١، ص: ٤٣.

(٢) إيان لوستك، مصدر سبق ذكره، ص: ٢٠.

الانسحاب، بحيث تتحول ذكرى الصدمة النفسية والسياسية الحادثة، إلى كابح يحول دون قيام أية حكومة مستقبلية إلى إخلاء المستعمرات اليهودية في أى مكان.

وقد حاولت الحركة حملة «مليون توقيع» على عريضة تتضمن الاحتجاج على الانسحاب من «ياميت»، لكنها لم توفق... ثم ذوى نشاطها، بفشلها في أداء المهمة الأساسية المنوطة بها، ألا وهي شل عملية تنفيذ الشق الخاص بإعادة سيناء للسيادة المصرية، في الاتفاق الموقع بين الحكومتين المصرية والإسرائيلية.

٨ـ حركة «العودة إلى سيناء»

حركة شكّلها العديد من أعضاء منظمة وقف الانسحاب من سيناء، وكذلك من «هيشع» و«جوش إيمونيم»، ومن ضمنهم شخصيات بارزة مثل الحاخام «موشيه ليفنجر» و«بيني كتسوفر» والحاخام «حاييم دروكمان»، الذين استطاعوا التسلل إلى المنازل التي أخلاها مستوطنو «ياميت»، واحتلالها، قبل أن يُجلوا عنها بتدخل سلمي لجنود إسرائيليين بلا سلاح.

استهدفت الحركة على نحو ما يشير اسمها: إعادة الحكم اليهودي إلى سيناء، لكنها أخفقت في تحقيق هذه الغاية، الأمر الذي شكّل «صدمة حقيقية» للمستوطنين، ولأعضاء «جوش إيمونيم» بالذات، وللأصوليين اليهود عامة، الذين هالهم مازعموه من تفريط حكومة «مناحيم بيجين» في «أرض إسرائيل»، وسعوا إلى التجمع من أجل إثنائه ـ دون جدوى ـ عن هذا القرار الخطير، والذي اعتبروه سابقةً لا مثيل لها.

وقد جاء بداية نشاط حركة العودة إلى سيناء مواكباً لحدثين مهمين للغاية في تاريخ الأصولية اليهودية: الأول: هو موت الحاخام «تسفي يهودا كوك»، صاحب التأثير الهائل على الأصوليين اليهود، والثاني: هو شن حرب لبنان من قبل تكتل «الليكود»، والتي قادها «آريئيل شارون»، وزير الحرب الإسرائيلي آنذاك، وتعرض نشاطها ـ بعد إتمام الانسحاب الإسرائيلي من سيناء ـ للذبول يوماً بعد يوم.

٩ ـ حركة « هذه الأرض لنا »

فى أوائل شهر أغسطس ١٩٩٥ صَعَّدَ آلاف من المستوطنين المتطرفين، ذوى القبعات السوداء، حركتهم الاحتجاجية على مفاوضات الحكم الذاتى الفلسطينى بين الدولة الإسرائيلية والجانب الفلسطينى (برئاسة ياسر عرفات)، فاحتلوا خمس عشرة تلة محاذية لمستوطنات فى الضفة الغربية، فيما عُرف بـ «حرب التلال»، وتصاعدت الصدامات الدموية من جرّاء هذه الخطوة، بعد أن استولى المستوطنون على العديد من المواقع الأمامية التى أُقيمت على طرق الضفة الغربية فى ضواحى المستوطنات، وأعلن وزير الشرطة «موشى شاحال»، على أثر ذلك أنه «فى حال مواصلة المتطرفين أعمالهم، قد يؤدى إلى سفك دماء»، ومشدداً على أن حكومة إسحق رابين «لن تسمح بأن تعيش البلاد فى أجواء من الفوضى»، بعد أن أُصيب نحو ٦٠ شخصاً، واعتقل أكثر من مائة مستوطن، وتم قطع الطرقات أمام السيارات.

كانت هذه الصدامات العنيفة، التى قام بها المستوطنون تلبية لدعوة حركة «هذه الأرض لنا» (زو أرتيزينو بالعبرية)، اليمينية المتطرفة، التى أعلن «شاحال» أن «الحكومة تعتزم إعلانها حركة محظورة»، فيما أشار قائد الشرطة «عساف حيفيتز» أنه «فوجئ بحجم التظاهرات التى نظمه المستوطنون» بقيادتها(١).

وفى معرض تعليقه على الأحداث، ذكر «شاموئيل ساكيت»، أحد قادة الحركة: «أن قطع الطرق ليس سوى الخطوة الأولى، وهدفنا الآن هو تعزيز أنصارنا الذين انتشروا على طول الطرق لضمان أمننا... فى الوقت الذى تخلى الجيش عنا»... «إن هدفنا هو إثبات أن هذه الأرض هى أرضنا، وأن يهودا والسامرة (الضفة الغربية) لن تصبح يوماً غزة جديدة، حيث يُطَبَّقُ الحكم الذاتى منذ مايو ١٩٩٤». وأضاف ساكيت «أن حركته لن تتردد فى اللجوء إلى

(١) جريدة «الحياة» الدولية لندن، ١٠/٨/١٩٩٥.

القوة. إننا مستعدون للمواجهة مع الأراضى الفلسطينية»[1].

وبعد أن نجحت جماعة «هذه الأرض لنا» ـ بدعم عدد كبير من أنصار الأحزاب اليمينية ـ فى تعطيل حركة المرور بضع ساعات على مئات من الطرق الرئيسية فى إسرائيل، اعتقلت قوات الأمن نحو مائة شخص آخرين، كان من بينهم «موشى فيجلن»، رئيس الحركة، الذى دعا إلى «العصيان المدنى»، مهدداً الحكومة، ومُحَرِّضاً المستوطنين على الانضمام إلى حركات المعارضة العنيفة، فى مواجهة أية اتفاقية تُعقد بين الحكومة الإسرائيلية والطرف الفلسطينى.

وحركة «زو أرتيزينو»، (هذه الأرض لنا)، التى قادت ما أطلق عليه المراقبون «أكبر عصيان مدنى شهدته إسرائيل منذ بدء العملية السلمية مع الفلسطينيين، وامتد من الضفة الغربية ليشمل أنحاء إسرائيل»[2]، إحدى الحركات اليمينية حديثة المنشأ، وأُعلنت فى ديسمبر ١٩٩٣، حين اجتمع مؤسسوها فى حى «نفى عليزا»، بمستوطنة «جينون سمرون»، فى الضفة الغربية، بهدف «تأسيس حركة تسلك طريق العصيان المدنى»، وبالرغم من نظرة الاستخفاف التى قوبلت بها الجماعة، فى مقتبل فترة الإعلان عنها، إلاّ أن حجم التأثير الواسع الذى أحدثته، ألقى أضواء هامة وكاشفة على الأصول الأيديولوجية لها، وقد اعترف «فيجلن»، (وهو خبير كمبيوتر فى الرابعة والثلاثين من عمره) بانتماء حركته إلى معسكر اليمين المتطرف، نافياً أن يكون أعضاؤها من أتباع الحاخام «مائير كاهانا»، ويضيف: «لسنا سياسيين فى الحركة، ولا تنتمى إلى الحركات السياسية، ولا علاقة لنا بكاهانا أو غيره، ولكن إن شئتم، نحن كل هؤلاء فى ذات الوقت»، وقد عمدت الحركة إلى احتلال أعداد من المنتمين لها أراضٍ خالية، وإعلان تأسيس مستوطنات جديدة فيها، وهو ما يدعمه الحاخام «بنى آلون»، أحد مُنَظِّرى الحركة، (الذى

(١) (المصدر نفسه).

(٢) ربى الحصرى، من الأرض المحتلة، جريدة «الحياة» الدولية، لندن ١٩٩٥/٨/١٠.

يدير حلقة دينية فى مستوطنة «بيت إيل» القريبة من «رام الله»، وتتركز أنشطتها فى دعم منظمات الاستيطان المتطرفة، وبالذات، «عطيرت كوهانيم»)، وقدأعلن الحاخام «ألون» أن «العصيان المدنى أصبح الطريق الوحيد المتبقى أمام الإسرائيليين، الذين يشعرون بأزمة، لأن «رابين» لا يستجيب لهم فعندما يكون ظهرك للحائط يجوز لك استخدام العصيان المدنى شرط أن تكون مستعداً لدفع الثمن والمكوث فى السجن»[١].

وقد قُدِّمَ الحاخامات الثلاثة: «فيجلين» و«ألون» و«همويل ساكت»، الأعضاء القياديين للجماعة، إلى محاكمة، كانت هى الأولى من نوعها تحت سقف قانون «المعاقبة على العصيان»، من جرّاء تحركاتهم التى تحض الإسرائيليين على التمرد[٢].

١٠ ـ كاخ: (هذا هو الطريق)

منظمة إرهابية عنصرية فاشية النزعة، وواحدة من أهم هذه النوعية من المنظمات التى عرفها تاريخ إسرائيل، ظهرت أوائل السبعينيات على يد الحاخام الإرهابى «مائير كاهانا»، وتبنت منظومة من الأفكار النازية التى تتوعد العرب، وتدعو إلى طردهم، وتمارس فى مواجهتهم أحط أشكال القهر والإرهاب والتمييز العنصرى، فى دولة تزعم التمسك بالديمقراطية واحترام حقوق الإنسان.

أيديولوچية التنظيم هى أيديولوچية مؤسسها «كاهانا»، التى شرحناها بالتفصيل فى موقع آخر من هذه الدراسة. وفى بداية نشاط حركة «كاخ»، وزعيمها «كاهانا» نظر الكثيرون باستهانة ولا مبالاه إلى هذه الظاهرة، خاصة مع تكرار فشل «كاهانا» فى الحصول على مقعد فى انتخابات الكنيست الإسرائيلى لأعوام ١٩٧٣، ١٩٧٧، ١٩٨١ بيد أن التغيرات العميقة فى المناخ السياسى والفكرى الذى واكب سيطرة تكتل «ليكود» على مقاليد السلطة عام ١٩٧٧، ومع نمو «الأصولية الدينية اليهودية» و(اليمين) الصهيونى

(١) (المصدر نفسه).

(2) Le Monde, Paris, 5/12/1995.

«الراديكالى» وارتفاع حدة العداء الموجّه للعرب وممارساته، «بدأت كاخ» تشق طريقها بقوة نحو المركز، فيما وُصف بـ «فضيحة سياسية لإسرائيل» لكن هذه «الفضيحة» كانت فى الواقع، تعكس مناخاً بات يُحقق تقدماً مستمراً ملحوظاً: «الأفكار التى نادى بها (كاهانا) استُوعبت جيداً، من دون أدنى شك فى أوساط تتسع باستمرار فى المجتمع»[1].

يبلغ عدد أعضاء تنظيم «كاخ» المسجلين عدة مئات، لكن دائرة أنصاره أكثر كثيراً وتُقَدَّرُ بالآلاف، ويتمركزون أساساً فى «كريات أربع» و« الخليل »، وله فروع علنية فى «القدس» والمدن الكبرى، وفى بعض «مدن التطوير» فى إسرائيل.

يستمد تنظيم «كاخ» أنصاره، على نحو ما يذهب الباحث، «أحمد خليفة»، فى الغالب، من الشرائح الاجتماعية الفقيرة المتذمرة، الناقمة على المؤسسة الحاكمة، والتى تحمل كراهية وعداء شديدين للعرب، ويبرز فى «نواته الصلبة»، وقيادته، العناصر المهاجرة من الولايات المتحدة «مدفوعة بتعصبها الدينى وعدائها للأغيار، وحملها بالخلاص المسيحانى»[2]،وله فروع نشطة للغاية فى الولايات المتحدة، تمده بالدعم المالى، وبحاجته من الأسلحة، وترفده بأعضاء جدد بعد تدريبهم على السلاح.

تتألف قيادة «كاخ» العليا من ثلاثة أعضاء هم «باروخ مرزيل»، (٣٦ عاماً)، رئيس الحركة، و«نوعام قدرمان»، الناطق بلسانها، «وتيران بولاك»، رئيس «لجنة الأمن على الطرق» وقد كان «باروخ مرزيل» أمين سر «كاخ» عضواً فى الكنيست، والناطق بلسان الحركة، وساعد «كاهانا» الأيمن، وقد علّق على مجزرة الحرم الإبراهيمى فى الخليل»، مُشيداً بسفاحها «باروخ جولدشتاين» قائلاً: «إنه ليس مجنوناً، إنه رجل عظيم، إنه رجل صِدِّيق»[3]

(١) جريدة «عال همشمار»، الإسرائيلية ١٩٩٠/١١/٩.

(٢) أحمد خليفة: حركة كاخ فى المشهد السياسى الفلسطيني، مجلة الدراسات الفلسطينية، بيروت العدد (١٨)، ربيع ١٩٩٤، ص:١٩١ ـ ١٩٢.

(٣) جريدة «ها آرتس»، الإسرائيلية ١٩٩٤/٣/٤.

كما علق «شموئيل بن بشاى» على الموقعة نفسها بقوله: «لقد كان «جولدن شتاين» رجلاً حقيقياً، وقام بعمل بطولى، لقد قال دائماً إنه يجب أخذ الأمور باليد وقتل العرب»[1].

وقد رصد «دان عومر» الكاتب الإسرائيلى، العشرات من عمليات حركة «كاخ» الإرهابية، كان من أبرزها:

- محاولة الاستيلاء على المسجد الأقصى، ثم إطلاق النار على المصلين فى ساحته.
- خطة تفجير قبة الصخرة.
- اغتيال عدد من نشطاء «حركة السلام الآن»[2]، منهم «ميل جرينسفاريح».
- تفجير أتوبيسات ركاب ملأى بالمواطنين العرب.
- نشر متفجرات مفخخة فى منطقة القدس.
- إحراق سيارات العرب الفلسطينيين فى حى «أبو طور».

وكما يذكر «آمنون كابليوك»، فى كتابه «الخليل، مجزرة معلنة» فإن المناقشة حول (شرعية) قتل العرب والانتقام منهم، كانت دائرة على قدم وساق فى «المجلس البلدى» لمستوطنة «كريات أربع»، الذى كان «جولد شتاين» عضواً فيه قبل أن يستقبل استعداداً لمجزرته، واستُند فى ذلك إلى فتوى من الحاخامات الأصوليين فى المستوطنات اليهودية، تربط بين الفلسطينيين و«العماليق»، الذين جَسَّدوا على مسار التاريخ اليهودى (منذ هزيمتهم على يد الملك داوود) العدو الأكثر شراسة، والذى (ببساطة ينبغى العمل على إبادته»[3]، و«جولد شتاين» هنا، من وجهة نظر أصولية يهودية، «لم يقتل أناساً أبرياء يُصلون، وإنما قتل «عماليق»، مثل «هامان» و«هتلر» وغيرهم، وهو بهذا

(١) جريدة «يديعوت أحرونوت»، الإسرائيلية ١٩٩٤/٣/٤.

(٢) دان عومر، الفاشية الجديدة فى إسرائيل، مجلة «هعولام هزيه»، الإسرائيلية، ١٩٨٣/١٢/٢٨.

(٣) أمنون كابليوك، مصدر سبق ذكره.

العمل قد قَدَّسَ الرب، كما يَدَّعون، ورفع ذكره وشأنه، فقتل شخص من العماليق يكون شرعياً حتى لو كان فى زمان أو مكان مقدس»... أما بيان ممثل «كاخ» فى نيويورك بشأن المجزرة، فقد قال «إن جولد شتاين» كان «رجلاً نقياً صالحاً، درس التوراة وشريعتها، وسينفذ عمله الآلاف من العرب واليهود، بتبديده الفكرة الخاطئة التى تقول إن العيش سويا سيجلب السلام»[1].

١١ـ كاهانا حى

منظمة صغيرة نسبياً وإن كانت أكبر عدداً من «آيال»، وأُنشئت بعد مقتل الحاخام «مائير كاهانا» الذى تحمل اسمه فى «نيويورك» واتُهم بقتله الشاب المصرى «سيد نصير».

يتولى رئاستها الإرهابى الشاب «بنيامين كاهانا»، ابن الحاخام «كاهانا»، وقد أنشأها بعد انشقاقه على حركة «كاخ»، ورفضه الانصياع إلى توجيهات زعماتها، ويساعده بصورة رئيسية «دافيد إكسلرود»، (٢٨ عاماً)، وهو يهودى متعصب ولد فى أمريكا، ثم هاجر إلى إسرائيل عام ١٩٨٠، ويعد من غلاة المتعصبين لإتمام تدمير المسجد الأقصى وبناء «هيكل سليمان» فى موقعه.

وتنشط جماعة «كاهانا حى» لتحقيق الأفكار العنصرية لـ «كاهانا الأب»، فتتحرش بالعرب الفلسطينيين، وتتعدى عليهم وعلى أملاكهم، وتهدد علناً بالاقتصاص منهم، والعمل على إبادتهم، ويقع مركزها فى مستوطنة «كفار تبواح»، بقضاء «نابلس».

عقب مقتل «إسحق رابين» خطب «بنيامين كاهانا» فأعلن أن «وزير الداخلية قد هدد بتصفيتنا... لكنه سيتأكد من خطلته قريباً»، وتوعد بأن «رابين» «لن يكون آخر المغتالين»[1].

فى منشور وزعه هذا التنظيم، (فى مارس ١٩٩٢)، عنوانه «اقصفوا أم الفحم»، صدر تعقيباً على الأنباء التى أذيعت متضمنة مشاركة عربيين من

(١) مجلة آخر ساعة، القاهرة، ٩/١٥، ١٩٩٥.

سكانها فى عملية ضد معسكر للجيش الإسرائيلى، أدت إلى قتل ثلاثة جنود، ما يشير إلى مضمون برنامج هذا التنظيم الإرهابى وإطاره الفكرى، حيث يصرخ: «لماذا عندما خرج عرب من «أم الفحم» وذبحوا ثلاثة جنود، أرسلت الحكومة (الطائرات) لقصف حزب الله فى لبنان، بدلاً من أن تقصف «أم الفحم»؟!، لماذا فى كل مرة يُقتل فيها يهودى يقصفون لبنان، لا القرى العدوة فى دولة إسرائيل؟!»[1].

ولـ «كاهانا حى»، مِثلها فى ذلك مثل «كاخ»، فروع كبيرة فى الولايات المتحدة، ترفده بالأموال والأسلحة والأفراد المدربين على السلاح وأعمال التخريب، وينظم هذه الأنشطة فى الخارج «يكتوئيل بن يعقوب»، (٣٣ عاماً) الذى سبق واتهمته الـ «FBI» الأمريكية، بأعمال عنف ضد أهداف عربية فى أمريكا، كما اتُهم بالاشتراك فى عملية اغتيال «فيليكس عوده»، رجل الأعمال الأمريكى العربى الأصل، فى الولايات المتحدة عام ١٩٨٥، ولـ «كاهانا حى» فرع للفتيان يسمى «نوعر مائير»، (فتيان مائير)، ارتكب أربعة من عناصرها (المبتدئين) جريمة إلقاء قنبلة فى «سوق القصابين» بالبلدة القديمة، بالقدس، فى نوفمبر ١٩٩٢، أدت إلى قتل وجرح عدد من المواطنين العرب.

١٢ ـ لجنة «أمن الطرق» أو «رابطة الأمن على طريق يهودا والسامرة»

فرع من فروع منظمة «كاخ» الفاشية التى أسسها «مائير كاهانا»[2] عام ١٩٧٩، وقد ركزت نشاطاتها على تخريب الممتلكات العربية وتخريب سيارات ومصالح العرب الفلسطينيين، والتصدى للـ «معتدلين» من اليهود الذين، لا ينساقون وراءها فى مخططاتها الإجرامية... وتُعد الهيئة الأكثر تنظيماً وتجربة وتدريباً، وسط مثيلاتها من جماعات وتنظيمات صهيونية إرهابية، فى الوطن المحتل[3].

(١) نزاف شراغى، كاهانا حى... وهو يخوض الانتخابات، جريدة «ها آرتس»، الإسرائيلية، ١٩٩٣/٣/١٢.

(٢) جريدة «يديعوت أحرونوت»، الإسرائيلية، مذكورة فى جريدة «العربى»، القاهرة ١٩٩٥/١١/١٢.

(٣) المصدر نفسه.

ويشير «رونى شَليد» فى صحيفة «يديعوت أحرونوت»[1] إلى أن لجنة «أمن الطرق»، وقد أصدرت بياناً عقب مقتل عدد من العمال العرب، يمجد هذه العمليات الإرهابية ويشجع أفراداً من حركة «كاخ» وأنصارهم «على الاستمرار فى عمليات القتل»، ويضيف: أن هذه المجموعات الإرهابية المنضوية تحت مسمى «لجنة أمن الطرق»، تدفع إلى زيادة سرعة دائرة العنف اليهودى ـ العربى ـ فى المناطق (المحتلة)... وتهدد أمن جميع المستوطنين، حيث إن أعمال «القتل الجنونية» (كما يصفها شَليد) قد تدفع فلسطينيين معتدلين كثيرين إلى الانضمام إلى حركة حماس، أو القيام بعمليات انتقامية ضد اليهود .... خاصةً وأن الرئيس الأول لها «شموئيل بن يشاى»، قد صَرّحَ فى عهد رئاسته للجنه، أن أية حادثة (يرتكبها عرب) تنطوى على مضايقة لحرية تَنَقّل اليهود على الطرق، تجعله يُطلق النار للقتل من دون إنذار: «إننى لا أطلق النار فى الهواء، أنا أطلق النار كى أقتل»[2].

وقد أُنشئت «لجنة أمن الطرق» باعتباره تنظيماً سرياً، يملك كميات هائلة من السلاح والذخيرة والمتفجرات، بدعم من رئيس الأركان السابق «رفائيل إيتان»، ويُقَدّرُ عدد أفرادها بمئات من الأعضاء، يقيم معظمهم فى مستوطنة «كريات أربع» وقد جُهزَت بوسائل نقل سريعة وأجهزة اتصال حديثة، وتملك ـ كما أكدت التقارير الصحفية الإسرائيلية ـ مخابئ للأسلحة ومواد للتفجير وأسلحة فردية مُرَخّصٌ بحملها لأعضاء التنظيم، وتشير المعلومات إلى أن لجان هذا التنظيم قد بدأت نشاطها علناً: فى البداية بتوفير مواكبة مسلحة لأتوبيسات «إيجيد»، ولسيارات المستوطنين المسافرين على طرق الضفة الغربية (ومن هنا اتخذت اسمها المعروف)، ثم مالبثت وأن انتقلت إلى العمل السرى، حيث بادرت إلى تنظيم حملات انتقامية إرهابية ضد الفلسطينيين، ومن اللافت للانتباه، أنه «فى المجالات كافة، كان الجيش يصل إلى أماكن

(١) المصدر نفسه ١٤/٢/١٩٩٤.

(٢) أحمد خليفة، مصدر سبق ذكره، ص: ١٩٠ ـ ١٩٣.

الحوادث بعد أن يكون أعضاء التنظيم قد غادروا المكان»[1].

ومع تفاقم أنشطة هذا التنظيم الإرهابية، والتى وصلت إلى حدود خطيرة عام ١٩٩٠، تقدمت مجموعة من أعضاء الكنيست (اليساريين)، بطلبات استجواب للحكومة بشأن هذا التنظيم، طالبت فيها «بالكشف عنه، ووضع حد لأنشطته»[2]، ولم تستجب الحكومة بالطبع.

١٣ ـ منظمة «قمع الخونة»، أو «دب»

اختصار للكلمتين العبريتين «ديكوى بوجريم»، «دال ـ بيت»، وهو تنظيم مُغلق، يضم نشطاء حركة «كاخ»، وتتولى المنظمة تجهيز عمليات الاغتيال، والتخطيط لتصفية خصومها وأعدائها، وهى لا تخفى أهدافها، وإنما تعلنها عبر منشورات توزعها علناً[3].

وقد اختار «مائير كاهانا» لهذه الحركة شعاراً لها، هو شعار «رابطة الدفاع اليهودية»، التى كان قد أسسها من قبل فى الولايات المتحدة، وهو عبارة عن قبضة يد مضمومة داخل درع داود.

١٤ ـ منظمة دولة يهودا

أنشأ مؤسسو «دولة يهودا» السابق التعرض لها فى القسم الخاص بـ «تخوم الحرب الأهلية»، تنظيماً سرياً مسلحاً، أطلقوا عليه اسم «منظمة دولة يهودا» وقد اعتُقل عدد من عناصره (والمنضمون إلى منظمة «كاخ» فى الوقت نفسه)، للتحقيق معهم بشأن حوادث قتل لفلسطينيين، ووقائع لتهريب المتفجرات والأسلحة... ولكن سرعان ما أفرجت السلطات عنهم «لعدم ثبوت التهم» ضدهم، فيما ظلت «منظمة دولة يهودا» شأنها شأن «لجنة الأمن على الطرق» «شبحاً يظهر ويختفى فى الصحافة الإسرائيلية من وقت لآخر»[4].

(١) المصدر نفسه. (٢) المصدر نفسه.

(٣) جريدة «يديعوت أحرونوت»، مصدر سبق ذكره.

(٤) يهوشع مائيرى، جريدة «ها آرتس» الإسرائيلية، ١٩٩٠/١/١٢.

١٥ـ منظمة «سكان الدقائق الخمس»

مركزها مستوطنة «كفار سابا»، وهى مجموعة شديدة التطرف بالغة العدوانية، تميل إلى إثارة المشاكل وافتعال أسباب العنف (ضد العرب)، والفوضى باستمرار[١].

١٦ـ وحدات «الدفاع الإقليمى»

بدءاً من عام ١٩٧٨، على نحو ما يذكر «دانى روبنشتاين»، انتظمت فى المستوطنات اليهودية، وبتأييد ودعم من رئيس الأركان الإسرائيلى، آنذاك، «رفائيل إيتان»، أجهزة لـ «الدفاع الإقليمى» فى الأراضى المحتلة، اعتمدت فى تشكيل بنيتها الأساسية على المستوطنين المتعصبين، الذين تم تسريحهم من الوحدات العسكرية الاحتياطية العادية التى خدموا بها، لكى ينتظموا فى هذه الوحدات الجديدة التى انتشرت فى مناطق مختلفة من الضفة الغربية المحتلة، وقد أصبح المستوطنون، بمقتضى هذا الإجراء، يخدمون فى «وحدات مستقلة ومتجانسة، وتحت قيادة ومعدات عسكرية تابعة للمستوطنات، وبتنسيق مع الحكم العسكرى فى المناطق المحتلة»[٢].

ويعلق «دانى روبنشتاين» على هذا الأمر، مشيراً إلى أن منازل المستوطنين، قد أصبحت ملأى بالأسلحة «التابعة للجيش الإسرائيلى»[٣] وأصبح كثيرون من المستوطنين يحملون الأسلحة ويتجولون بها فى شوارع الضفة الغربية وداخل المدن العربية (إمعاناً فى استفزاز العرب وجرح مشاعرهم وإرهابهم) حيث يخول القانون لهم صلاحية استخدام السلاح بصفتهم جنوداً خاضعين لوحدات الدفاع الإقليمى.

---

(١) مجلة «روز اليوسف»، القاهرة، العدد (٣٤٢)، ١٩٩٤/٣/٧.

(٢) دانى روبنشتاين، مصدر سبق ذكره، ص ٨١.

(٣) المصدر نفسه.

وليس المقصود بهذه الوحدات مجرد حراسات عسكرية بسيطة التجهيز إنما هى فى الواقع تمتلك تجهيزات عسكرية متقدمة، من ضمنها آليات حربية وأجهزة لاسلكى وأسلحة متطورة، الأمر الذى حولها «إلى قوة ردع فعَّال، وأصبح السلاح بحوزتهم أداة للانتقام والعقاب (للعرب)»(١).

وفى أعقاب هذا التطور أصبح استخدام السلاح من قِبل المستوطنين «أمراً روتينياً»، وخلال مظاهرات احتجاجية نظمها العرب فى الضفة الغربية، ظهرت على شاشات التليفزيون الإسرائيلى «صور للجنود وهم يسيرون جنباً إلى جنب مع المستوطنين المدججين بالسلاح، بينما يوجه المستوطنون ـ وليس الجنود ـ أسلحتهم ويطلقون النار على المتظاهرين مباشرة»(٢).

١٧ ـ منظمة «سيف داود»

واحدة من المنظمات الإرهابية اليهودية فى إسرائيل، تُعلن عن هدفها المركزى وهو تصفية العرب الفلسطينيين، وتطهير «أرض إسرائيل الكاملة» من وجودهم(٣).

وقد وزعت منظمة «سيف داود» فى سبتمبر ١٩٩٤، منشوراً غطى كل إسرائيل، أعلنت فيه أنه «قد قام من بين الشعب اليهودى خائن يدعى «إسحق رابين»، وهذا الخائن يريد أن يبيع القدس وإطلاق سراح الآلاف من الفلسطينيين القتلة، ولذلك فإن عقوبته الموت»(٤).

١٨ ـ الـ «سيكريكيم»

جماعة إرهابية يهودية، وتركز فى نشاطاتها على التصدى لأعضاء الأحزاب والتجمعات (اليسارية) بالعنف والإرهاب، للحد من نشاطاتهم التى ترفضها الفاشية اليهودية، وخاصة عدوانيتها الزائدة فى مواجهة العرب.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) جريدة «يديعوت أحرونوت»، مصدر سبق ذكره.

(٤) المصدر نفسه.

وتتشبه هذه الجماعة السرية بطائفة من القتلة اليهود الذين كانوا يقومون باغتيال الرومان، خلال عصر «المعبد الثانى».

وتشير المعلومات إلى أن علاقة وثيقة تربط هذه الجماعة بجماعة «كاخ» الفاشية التى أسسها «مائير كاهانا»، وهى تستخدم آساليب محددة فى نشاطها، منها توجيه رسائل تهديد، وإلحاق الأضرار بالشخصيات العامة اليهودية من مؤيدى (السلام) مع العرب[1]، وقد مارس هذا التنظيم نشاطاته لفترة محدودة ثم خَفُتَ إيقاعه.

١٩ ـ منظمة T.N.T. (إرهاب ضد إرهاب) وبالعبرية «تيرور نيفيد تيرور»:

واحدة من أكثر المنظمات الإرهابية الإسرائيلية فاشية وعنصرية وعدوانية وشراسة، تأسست فى مايو ١٩٧٥ تحت زعم التصدى لـ «الإرهاب العربى»، ودشنت الإعلان عن وجودها بحرق أتوبيس لنقل الركاب العرب فى حى وادى الجوز، بالقدس، ثم أتبعتها بإطلاق رسائل تهديد لشخصيات عربية قيادية فى الضفة الغربية، مُحَذِّرَةً بأنها «ستقوم بتصفيتهم إذا استمرت عمليات (التخريب) العربية ضد الإسرائيليين»[2].

وهى شديدة التأثر، من الناحية الأيديولوجية، بالأفكار والدعوات الفاشية والعنصرية التى تطلقها الحركات المشابهة فى إسرائيل، كحركة «كاخ» وحركة «جوش إيمونيم»، وهى وثيقة الارتباط ـ من الناحية التنظيمية ـ بالحركة الأولى، وتشير القرائن إلى آن عناصر (T.N.T) هم فى الغالب من اليهود الأمريكيين، الذى تم إعدادهم تنظيمياً، وتدريبهم عسكرياً، قبل آن يتم شحنهم ـ لأداء مهماتهم ـ فى الأرض العربية المحتلة[3]، وقد تم هذا الأمر برعاية الفاشى «مائير كاهانا»، الذى اعتقل ذات مرة وهو يحمل لافتة كتب

(١) أحمد خليفة، مصدر سبق ذكره، ص: ١٩١.

(٢) مجلة «هعولام هزيه»، الإسرائيلية، ١٩٨٤/١/٤.

(٣) جريدة «عال همشمار»، الإسرائيلية ١٩٨٣/١٢/٢١.

عليها «أنا أؤيد T.N.T»، ويشير البعض من كوادر هذه المنظمة إليها باعتبارها الجناح السرى العسكرى الذى يكمل عمل النشاط السياسى العلنى لحركة «كاخ» العنصرية الفاشية، و«لمواجهة الإرهاب بإرهاب مثله»، وقد غمرت البوسترات شوارع الأراضى المحتلة وغطت أبواب محلاتها التجارية ملصقات تتضمن شعار: «العين بالعين، والسن بالسن»[1].

وقد أثبتت التحقيقات، مع العديد من عناصر هذه المنظمة الإرهابية، مسئوليتها عن العديد من العمليات الإجرامية، مثل محاولة اغتيال رؤساء البلديات العرب، الثلاثة، «بسام الشكعة» و«إبراهيم الطويل» و«كريم خلف»، (١٩٨٠)، والانفجار الذى أطاح بمدخل «سينما الزهراء»، فى «القدس»، (فبراير ١٩٨٢)، ووضع عبوات متفجرة فى مساجد «الخليل» (ديسمبر ١٩٨٣)، ووضع متفجرات فى أنحاء متعددة بالأراضى المحتلة، وغيرها.

ويقول «آندى جرين» عضو منظمة «T.N.T»، وأحد «صبية» منظمة «كاخ»، وهو شاب يهودى مهووس، مولود فى أمريكا، وتلقى تدريبه العسكرى فى معسكر للتدريب تابع لرابطة الدفاع اليهودى، قبل انتقاله إلى الأراضى المحتلة لكى يمارس «مهماته» الإرهابية: «ليس للعرب أى حق فى الأرض، إنها أرضنا على نحو مطلق، لقد ورد هذا فى التوراة، ذلك أمر لا يمكن الجدال فيه، لذلك لست أرى مبرراً فى الجلوس والتحدث إلى العرب عن الادعاءات المتعارضة بالحقوق، فالأقوى دوماً يحصل على الأرض»، وهو ـ بناء على تعليمات لكاهانا ألقاها عليه ـ يعتبر «الذين يقتلون العرب أبطالاً»، وقد شارك مع مجموعات من شباب اليهود، الذين انتموا إلى فرع «بروكلين» من «رابطة الدفاع اليهودى»، فى مئات من عمليات إلقاء القنابل والاعتداءات الإرهابية وعمليات الاغتيال للفلسطينيين، وحينما كان مجنداً بالجيش الإسرائيلى هرَّبَ أسلحة ومتفجرات إلى تنظيمه، وحاول ذات مرة سرقة دبابة من معسكره، لقصف مدينة «أريحا» فى الضفة الغربية، وحينما اعتقل فى أعقاب عمليات تدمير واغتيال فى

(١) جريدة «ها آرتس»، الإسرائيلية، ١٩٨٤/١/٦.

الضفة الغربية، أخبرَ جهاز الأمن الداخلى «الشين بيت»، بحكايات مرعبة، عن آعمال عنف ارتكبت بأسلوب «الكوكلوكس كلان»[1] الإرهابية الأمريكية الشهيرة، ضد أبناء الشعب الفلسطينى.

٢٠ـ مجموعة «معهد الهيكل»:

العقل المدبر وراء إنشاء هذا المعهد وقيادة هذه المجموعة هو الحاخام «إسرائيل أرئيل»، وهو حاخام متطرف، سبق وأن رأس «يشيفاه»، «مدرسة دينية» يهودية، فى مستعمرة «ياميت» التى رُحِّل عنها مستوطنوها وعادت إلى مصر، عام ١٩٨٢، فى أعقاب الاتفاقية المصرية ـ الإسرائيلية. وقد كان الحاخام «إسرائيل أرئيل» أحد القادة الذين نظموا حركات الاحتجاج العنيف على قرار إجلائهم من «ياميت».

كما رشح هذا الحاخام على قائمة حركة «كاخ» الفاشية للكنيست، عام ١٩٨١، ولكنه فشل فى آن يحوز عدد الأصوات المطلوبة لنجاحه.

اشتُهرَ عنه فتاويه التى تبرر تدمير ممتلكات العرب وإبادتهم وتصفية وجودهم فى فلسطين المحتلة، فى الثمانينيات، واعتبر «باروخ جولد شتاين»، سفاح مجزرة الحرم الإبراهيمى فى «الخليل»، بعد مقتله «شهيد حرب من أجل ارض إسرائيل فهؤلاء القتلى العرب، الذين يقال عنهم أبرياء، كانوا قد ذبحوا اناساً أبرياء من اليهود، من الشيوخ والنساء والاطفال عام ١٩٢٩»[2].

ويستهدف المعهد إعداد كل الدراسات والاحتياجات الأساسية والتجهيزات اللازمة لاستخدامات هيكل سليمان، بعدما يتم إعادة بنائه، فى موقع المسجد الأقصى، وعلى أنقاضه حسبما يخطط الأصوليون اليهود. ويضم من أجل تحقيق هذه الغاية، كل الكفاءات البشرية والفنية التى يحتاجونها لأداء هذه المهمة المقدسة.

---

(١) مجلة «معولام» هريه، مصدر سبق ذكره.

(١) جعفر هادى حسن، «معهد بناء الهيكل يباشر بإعداد المعدات واللوازم» جريدة «الحياة» الدولية، لندن، ١٩٩٤/٧/٦.

٢١ ـ ميليشيات المدارس الدينية:

مجموعات إرهابية تضم طلاب «اليشيفوت»، (المعاهد الدينية اللاهوتية فى إسرائيل)، الذين نظموا أنفسهم لتحقيق غاية واحدة هى قتل العرب الفلسطينيين[١].

وهذه المدارس تضم عشرات الآلاف من الطلاب، ويتم تجنيدهم وتدريبهم على استعمال السلاح فى إطار مدارس خاصة تكفل لهم ـ إضافة إلى هذا ـ عدم الانقطاع عن الدراسات التوراتية والتلمودية.

٢٢ ـ تنظيم «ييشع»، «مواطنون من أجل يهودا والسامرة وغزة»:

أسسه عام ١٩٨٥ محام من غلاة (القوميين) الطليعيين من مستوطنى «كريات أربع»، ويُعَّدُ واحداً مًن أشد العناصر المتطرفة جهداً ونشاطاً، هو «الياكيم يعتسينى». تحددت وظيفة هذا التنظيم فى تعبئة المعارضة السياسية، لاستباق أية تسوية سلمية بين الإسرائيليين والفلسطينيين والعرب، وبالذات مبادرات «حسين ـ بيريز»، (السلمية)، التى كانت بوادرها تلوح فى الأفق، آنذاك.

ويصل «يعتسينى» فى كتاب له عنوانه «صدمة الانسحاب من أرض إسرائيل» إلى القول بحق «اليهود الأوفياء لأرض إسرائيل فى مقاومة دولة إسرائيل أو حتى إطاحتها، إذا ما خانت الصهيونية والشعب اليهودى، بالموافقة على ترك بعض أجزاء الوطن للحكم العربى»[٢]. وقد اتخذ تنظيم «مواطنون من أجل يهودا والسامرة وغزة» قراراً يتضمن أن أى نظام للحكم فى إسرائيل، يتجه إلى تطبيق أية مقترحات سلمية»، سيُعد نظاماً «غير شرعى، كما عَدَّ الجنرال «ديجول» نظام المارشال «بيتان» الذى خان الشعب

---

(١) مجلة «روز اليوسف»، القاهرة، العدد (٣٤٣)، ١٩٩٤/٣/٧.

(2) ELIAKIM HARTZNI, Shock of Withdrawal from the land of Israel, Elisha (Jerusalem: Israel), 1986, P. 9,.

الفرنسى فى فيشى»[1]، وكان يعتسينى، قد انتقد بحدة، فى يناير ١٩٨٥، كبار رجال الدولة والجنرالات العسكريين «لأنهم لم يطبقوا سياسة الأرض المحروقة فى لبنان، بما فى ذلك تدمير بيروت تدميراً كلياً، وطرد مئات الألوف من الشيعة، من الجنوب اللبنانى»[٢].

٢٣ ـ المنظمة الدولية لضحايا الإرهاب العربى:

تَجَمُّع صهيونى مُغْرَق فى يمينيته، ترأسه «شيفرا هوفمان»، وهى واحدة من الدعاة المتطرفين للفكر الصهيونى الكاهانى. وتضم المنظمة عناصر شديدة العداء والكراهية للعرب، وتعمل على تعبئة الرأى العام، بحقنه بمزيد من المزاعم عما يطلق عليه «الإرهاب العربى».

وقد ألقت هوفمان خطبة تحريضية صاخبة فى احتفال أقامه أنصار «مائير كاهانا»، الحاخام الفاشى، بعد يومين من اغتيال «إسحق رابين» على يد «إيجال عامير» بالمدرسة التلمودية الواقعة فى حى «صامويل حنافى»، أكدت فيها: «أن حكومة رابين هى المسئولة عن العنف فى إسرائيل، لأنها أفرجت عن الآلاف من (الإرهابيين) من منظمة التحرير الفلسطينية» مبرزة مقالات فى الصحف عن العمليات الفدائية التى جرت وقائعها فى العامين الأخيرين، كما عرضت صوراً ضمت نحو مائة من الإسرائيليين القتلى، يحيطون بصورة لإسحق رابين، يصافح «ياسر عرفات»، فى إشارة موحية إلى أنهما القَتَلَة[٣].

---

(1) MOSHE SHABIRA, tha state of Israel VS. the State of Yesha, Nekuda, Israel, No. 93, November 22, 1985, P. 11.

مذكورة فى: إيان لوستك، مصدر سبق ذكره، ص: ١٢٩.

(٢) مذكورة فى:

ELIAKIM, HARTZNI, After The Next War, Nekuda, Israel, No. 93, November 22, 1985, P. 11.

(٣) جريدة «الحياة» الدولية، لندن، ١٩٩٥/١١/٧.

٢٤ـ منظمة «هاشومير الجديدة»:

لاحظت أوساط إسرائيلية كثيرة، ومنهم صحفيون نافذون قريبون من مصادر المعلومات ومراكز اتخاذ القرار فى إسرائيل، أن هناك بوادر تشير إلى تشكيل «تنظيم عسكرى سرى (آخر) وسط المستوطنين» يستهدف القيام بعمليات انتقامية ضد العرب الفلسطينيين، وإرهابهم بالعنف الهمجى، لدفعهم إلى ترك وطنهم والنزوح عن أراضيهم بالقوة، الأمر الذى «يزيد المؤشرات حول احتمالات فقدان السيطرة على التطورات»، كما يذكر «زئيف شيف» المحرر العسكرى لصحيفة «ها آرتس» الإسرائيلية[١].

أما «رونى شكيد»، فيكتب فى صحيفة «يديعوت أحرونوت»[٢] مؤكداً أن لدى هذا التنظيم «إمكانات هائلة، مثل قدرتهم على دراسة منطقة العمليات، ومعلومات استخبارية مسبقة، وتخطيطاً للوصول والانسحاب، وإعداداً للأسلحة، وأيضاً أسلوباً لإيصال معلومات عن العملية لوسائل الإعلام»[٣].

ومن وجهة نظر إسرائيلية، فإذا لم يتم لجم هذه العمليات، سَتُعَرِّضُ للخطر الاتفاق بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية، «حيث توجد لدى بعض الأطراف مصلحة فى مضاعفة حالة عدم الإحساس بالأمن، حتى تصبح الأرض خصبة للنشاطات التى يمكن أن تقوم بها هذه المجموعات المسلحة»[٤].

وفى مراحل لاحقة، بعد ذكر هذه الأنباء، أشارت جريدة «معاريف» الإسرائيلية[٥] إلى أنه قد تم ـ بمشاركة من «أريئيل شارون» ـ وزير الدفاع

---

(١) مذكورة فى جريدة «العربى»، القاهرة، ١٤/٢/١٩٩٥.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) جريدة «ها آرتس»، الإسرائيلية، مصدر سبق ذكره.

(٥) جريدة «معاريف»، الإسرائيلية، ٢٩/٩/١٩٩٥.

الأسبق، تكوين شبكة من المستوطنين اليهود، المتفرغين للتدخل فى «الأحداث الأمنيـة»، وأن اجـتـمـاعـاً قـد عـقـد فـى «السـامـرة»، (الضـفـة الغـربيـة)، ضم مستوطنين متدينين، ومجموعة من العسكريين المتقاعدين (منهم «مائير هريستون»، «بطل» الوحدة ١٠١)، وكان موضوع اللقاء إنشاء تنظيم عسكرى لتجنيد عشرات الآلاف من المتطوعين، من داخل مستوطنى «الخط الأخضر» (حدود عام ١٩٤٨)، بهدف: حماية وتعزيز وضع اليهود فى الضفة الغربية، مع بدء دخول القوات الفلسطينية للمواقع التى تم الاتفاق على منحها للفلسطينيين، بموجب اتفاقية التسوية مع الدولة الإسرائيلية.

وذكرت القيادة المبادرة لهذا العمل أنه «فى مواجهة ٢٠ ألف (مُخَرِّبٍ) مسلح، يجب أن يكون هناك على الأقل مثل هذا العدد من المتطوعين اليهود، يدعمون أشقاءهم وشقيقاتهم، وسيأتى هؤلاء من دولة إسرائيل، وربما من أنحاء العالم، لتحقيق المبدأ القديم الذى يقول إن الإسرائيلى عون أخيه»[1].

وتشتمل الخطة المطروحة لهذه التشكيلات على إقامة قاعدة تنظيمية، وجمع أموال، وإنشاء مراكز للدعاية وتسجيل أسماء المستوطنين المتطوعين، وفتح مكاتب فى قلب المدن، وهيئات لتنظيم وتوزيع هذه القوات... «وفى النهاية سيكون لكل مستوطنة احتياطى خاص بها مكون من مئات وآلاف المتطوعين»... وهذا يعنى ـ حسب رأى «يهوشع سبشنى» أحد قادة هذا العمل فى «كريات أربع» والخليل، وأصحاب المبادرة لطرح وتحقيق هذه الفكرة ـ «أن الجيش فى نظرنا لم يعد له وجود»[2].

ويشير «زان هعتسنى»، أحد غُلاة المستوطنين العنصريين، إلى أن منظمى هذا العمل، «قد عادوا إلى إسم «هاشومير» بكل، (الحارس)، شحنته التاريخية الكبرى»[3].

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

ومعروف أن منظمة «هاشومير» المشار إليها، منظمة عسكرية أسسها المتعصبون من «حزب عمال صهيون» عام ١٩٠٩، حيث حددت منهجاً برفض الحراسة السلبية للمستعمرات، ودفعت إلى ممارسة العنف ضد السكان العرب، حتى يمكن خلق ما يسمى بـ «اليهودى العنيف»، المتحرر من مشاعر الخوف، أو الجبن عن طريق إحياء الأساطير الشعبية اليهودية القديمة.

وقد كان للمنهج الذى وضعته فرق «الهاشومير»، الفضل فى تأسيس الركائز التى استندت إليها الحركة الصهيونية، فيما بعد، لإنشاء «المؤسسة العسكرية الصهيونية» الراهنة[١].

٢٥ـ «سرايا الحرس المدنى»

أعلن «موشى شاحال»، وزير الشرطة الإسرائيلى، يوم ١٩٩٣/٩/٦، عن إنشاء سرايا من الحرس المدنى فى المستوطنات اليهودية بالأراضى المحتلة، وستقام قواعد هذه السرايا فى مستوطنات «معالى أدوميم» و«جيفات زييف» و«آريل» و«معالى أفرانيم» بالضفة الغربية، وكذلك فى مستوطنات «جوش كاتييف» بقطاع غزة.

وكانت الحكومة الإسرائيلية السابقة، التى رأسها «إسحق شامير»، قد سمحت منذ أوائل التسعينيات، بأن يقوم مستوطنون إسرائيليون مسلحون فى الضفة المحتلة بمهام الشرطة فى المستوطنات التى تحيط بها مدن وقرى عربية[٢].

وقد جاءت هذه الخطوة فى محاولة من حزب العمل تستهدف «امتصاص غضب المستوطنين»[٣] اليهود، إزاء الاتفاق الذى كان على وشك التوقيع، بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل، والخاص بالحكم الذاتى المحدود

(١) راجع: صلاح زكى أحمد، نظرية الأمن الإسرائيلى، بيروت، دار الوسام ـ دار ابن زيدون، طـ١، ١٩٨٦، ص: ٤٦ ـ ٤٩ م.

(٢) جريدة «الحياة» الدولية، لندن، ١٩٩١/١٢/٢٧.

(٣) جريدة «الوفد»، القاهرة، ١٩٩٣/٩/٧.

للفلسطينيين على مساحات محددة من الأراضى المحتلة، ونتيجة لإلحاح المستوطنين المستمر منذ عدة سنوات لإنشاء هذه القوات وتوسيع صلاحيتها.

وقد أعلن «شاحال» عن تشكيل هذه السرايا خلال لقاته مع ممثلى المستوطنات لبحث بنود الاتفاق الإسرائيلى ـ الفلسطينى، والذى ينص على إنشاء شرطة فلسطينية، وأوضح أن سرايا «الحرس المدنى» ستُكلف بالأمن «وفقاً لقواعد الشرطة»[1]، وسيقتصر مجال عملها على نطاق المستوطنات. وعلى الرغم من أن هذه السرايا تتصف بكونها هيئة رسمية تابعة للدولة، إلا ان ظروف تكوينها، ومحيط نشاطها، وطبيعة عناصرها، تجعلها ـ فى نهاية المطاف ـ جزءاً من ترسانة الجماعات والتنظيمات الإرهابية الصهيونية فى الأراضى المحتلة، والتى جعلت نصب أعينها هدفاً واحداً هو: إرهاب الفلسطينيين، ودفعهم دفعاً للرحيل من بلادهم.

٢٦ ـ «فرق الموت» فى الجيش الإسرائيلى

أُنشئت «فرق الموت» إبان فترة قيادة موشى آرينز، لوزارة الحرب الإسرائيلية فى أوائل التسعينيات، كمجموعات انتقامية سرية، رسمية داخل الجيش، إبّان تصاعد انتفاضة الشعب الفلسطينى، لكى تقوم بعملية اغتيالات واسعة داخل صفوف القيادات الوطنية الفلسطينية، وهى ترتدى «الزى العربى»، حتى تُلصق تهمة التصفية للخصوم داخل الصف الفلسطينى، محدثة الفرقة والشقاق بين فصائله المختلفة، وقد أشار الكاتب الإسرائيلى «الليبرالى»، «أمنون كابيلوك»، فى كتابه «الخليل: مجزرة معلنه»، الصادر عام ١٩٩٤، عن دار «آرليا» الفرنسية، بالاشتراك مع دار «سوى»، إلى دور هذه الفرق فى مخطط قمع الشعب الفلسطينى، أواخر عقد الثمانينيات وبدايات عقد التسعينيات.

وكان الرئيس الفلسطينى «ياسر عرفات» قد اتهم ما أسماه «تنظيماً

---

(١) المصدر نفسه.

سرياً داخل الجيش الإسرائيلى» والمستوطنين، بالرغبة فى نسف «الحل السلمى» بعد قتل ٨ فلسطينيين وجرح نحو ٤٧ آخرين فى قطاع غزة (المحتل) يوم ٢٨ مارس ١٩٩٤[١]، فى حين دافع وزير الإسكان الإسرائيلى «بنيامين بن أليعازر»، الذى كان مقرباً من «إسحق رابين»، عن سلوك عناصر هذا «التنظيم السرى» وقدم المبررات الضرورية لتغطية جريمتهم بتصريحه أن الجيش الإسرائيلى قد «قام بواجبه» عندما قتل ستة من عناصر «صقور فتح» فى مخيم جباليا، وقد سقط فى هذه المجزرة قتيلان آخران هما رجل وامرأة من المارة، وأصيب ستة فلسطينيين، من بينهم فتى، إصابة خطيرة، وامرأتان (٤٠ و٦٥ عاماً)، فى حين وصف «سفيان أبو زيدان» المسئول فى حركة فتح، فى قطاع غزة، هذا الحادث، بأنه «عملية قتل بأعصاب باردة نفذها الجيش الإسرائيلى»[٢].

وفى تقرير أصدرته جماعة «بيت سلم» الإسرائيلية، لحقوق الإنسان[٣] (يونيو ١٩٩٢)، رصدت الجماعة مصرع تسعة عشر فلسطينياً فى الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين على أيدى هذه الفرق، فى الفترة من أول يناير إلى ٨ مايو ١٩٩٢، كما أشارت الجماعة إلى أن «فرق الموت» العسكرية، المكونة فى قلب المؤسسة العسكرية الإسرائيلية، وبإشرافها، قد نفذت عمليات راح ضحية لها خمسة وعشرين فلسطينياً فى عام ١٩٩١، مشيرة إلى أن الجيش - بصورة عامة - قد أصدر تعليمات تخفف القيود الموضوعة على إطلاق الرصاص فى مواجهة أبناء الشعب الفلسطينى، وأشار التقرير إلى أن القتلى الفلسطينيين كانوا عُزلاً... كما أشار إلى أن إطلاق الرصاص قد تم على يد «فرق الموت» بواسطة طلقات قاتلة، أُطلقت من مسافات قريبة، وعلى الجزء العلوى من أجسام الشهداء الفلسطينيين، وبكميات كبيرة

(١) جريدة «الحياة» الدولية، لندن ١٩٩٤/١٢/٢٣.

(٢) المصدر نفسه، ١٩٩٤/٣/٣٠.

(٣) جريدة «الوفد»، القاهرة، ١٩٩٢/٦/٥.

من الطلقات، كما استنكر التقرير إشادة «موشى آرينز» وزير الدفاع الصهيونى الأسبق، بـ «فرق الموت»، وتمجيده لأفعالهم الهمجية.

٢٧ ـ حركة الحشمونيين

«الحشمونائيم أو «اللونريم»، نسبة إلى زعيمهم «لرنر». أُعلن عن هذه الحركة فى يولو ١٩٨٢، بعد اكتشاف متفجرات مخبأة على سطح إحدى المدارس الدينية اليهودية فى البلدة القديمة بالقدس، عن طريق الصدفة، وذكر المختصون أن كمية المتفجرات المضبوطة كانت كافية ـ لو انفجرت ـ لنسف نصف الحى اليهودى.

وقد أدى التحقيق فى هذه الواقعة إلى اعتقال أعضاء تنظيم أطلقوا على أنفسهم اسم «الحشمونائيم»، بزعامة «يوآل لرنر»، وبعد تحقيقات مطولة معهم تبين أن تخزين هذه المتفجرات كان بغرض الإعداد لنسف «الصخرة المشرفة» فى «القدس»، وكان «لرنر» الذى عمل مدرساً للغة الإنجليزية بالمدرسة المفتوحة فى «القدس»، قد استفاد من موقعه، فى تجنيد العديد من الطلاب والطالبات للحركة، وحُكم عليه فى هذه القضية بالسجن لمدة عامين.

غير أن حركة «الحشمونيين» لم تتوقف باعتقال زعيمها، فقد واصل أتباعه العمل الإرهابى، بحرق سيارات العرب الفلسطينيين، وزرع قنابل موقوتة فى المناطق العربية بالقدس، ومحاولة التخريب الفاشلة لـ «الدير التونسيسكانى» والكنيسة اليونانية الأرثوذوكسية فى جبل «المكبر»، ومسجد قرية «بيت صفافا»، وبتفجير متفجرات فى قرية «هوسان» قضاء «بيت لحم»[1].

وبتحليل نوعيات المتفجرات، توصلت أجهزة الأمن إلى اختراق تنظيم «الحشمونيين» للجيش الإسرائيلى، الذى استمد منه هذه المواد المحظور تداولها.

ويُعَدُّ الحاخام «أفيدور نفتتسال»، المرشد الروحى لهذه الجماعة، التى تعلن عن أهدافها الأساسية فى: «السيطرة على بيت المقدس، وطرد السكان

(١) مجلة «هعولام هزيه»، الإسرائيلية، ١٩٨٤/١/٤.

العرب من القدس كلها، ومن «أرض إسرائيل الكبرى» التى يجب أن تكون خالصة لليهود وحدهم»[1].

٢٨ـ حركة «جبل البيت» السريّة

إحدى الحركات السرية الصهيونية، الأصولية التى تركز نشاطها باتجاه العمل على هدم المسجد الأقصى، وإعادة بناء «الهيكل الثالث» فى مكانه، وتحقيقاً لهذا الغرض، فهى تؤمن بضرورة طرد العرب من أراضيهم، لكى تصبح «أرض إسرائيل الكبرى» خالصة لليهود الصهاينة والأصوليين.

اكتُشِفَت هذه الحركة فى مارس ١٩٨٣، عقب اعتقال ٤٥ شاباً من المتدينين الأصوليين، الذين كانوا يُعدون العدة لاقتحام «جبل البيت» والاستيطان فيه بقوة السلاح.

«وكان الكثير من هؤلاء الشبان يحملون لدى اعتقالهم أسلحة عسكرية إسرائيلية»[2]، أى أنهم حصلوا عليها بمعونة من عناصر مسئولة داخل الجيش الإسرائيلى، وتم اعتقالهم فى منزل الحاخام «يسرائيل آرئيل»، وأطلقت عليهم أجهزة الإعلام الصهيونية اسم «حركة الحاخام آرئيل» السرية أو حركة «جبل البيت» السرية[3].

ويتزعم هذه الحركة الحاخام «يسرائيل آرئيل» الذى وُلد فى حيفا عام ١٩٣٩، كما درس فى مدرسة «مركاز هاراب» الدينية، وعمل حاخاماً للجيش الإسرائيلى فى القطاع الشمالى، وبعد توقع اتفاقات «كامب ديفيد»، والإعلان عن الانسحاب من سيناء، أنشأ منظمة «ماعوز» وهى الجناح المتطرف لـ «حركة وقف الانسحاب»، ثم انتُخب عضواً فى الكنسيت الحادى عشر، على

(١) المصدر نفسه، ١٩٨٣/١٢/٨٢.

(٢) سعيد تميم، المنظمات الإرهابية فى الكيان الصهيونى، المجلة العسكرية الفلسطينية، تونس، العدد (٤)، السنة (٣)، أكتوبر ١٩٨٦، ص:١٤.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٤ ـ ١٥.

قائمة حزب «هتحياه» العنصرى المتطرف[1].

وإضافة إلى مواقفه السابقة، فالحاخام «آرتيل» من المؤمنين بأن حدود «أرض إسرائيل الكاملة» تمتد أيضاً لكى تشمل الأراضى اللبنانية.

٢٩ ـ عصابة «أبناء يهودا»

مجموعة من اليهود المتطرفين، غريبى الأطوار والعادات: غيبية الرؤى، تستوجب عقائدهم الغريبة المشى ووجوههم دائماً فى اتجاه الشمس، أياً كان موقعها من السماء.

اختارت هذه المجموعة الغريبة خرائب قرية «لفتا» العربية، فى المشارف الغربية لمدينة «القدس»، للاعتكاف بها، نظراً لتواجد ينابيع للمياه، تقوم الجماعة بممارسة طقوس الطهارة فيها، ويعتبر أعضاء هذه الجماعة أنفسهم «رسل المسيح».

فى أواخر يناير ١٩٨٤، حاولت عناصر «أبناء يهودا» تهريب صناديق من المتفجرات إلى ساحة «المسجد الأقصى» و«قبة الصخرة» لتدميرهما، وقد اكتشف الحراس العرب الأمر وأحبطوا عملية التفجير فى الوقت المناسب، وأثبتت التحقيقات التالية تجهيز العصابة لقصف الحرم القدسى، باستخدام طائرة، من الجو.

وأثناء التحقيق مع أفراد العصابة، اعترف المتهم الثانى منهم أنه: «قبل حوالى أربع سنوات بدأت بالتفكير بضرورة تطهير جبل «الهيكل» من التواجد الإسلامى فيه، واليوم أرى فى هذه المهمة هدفاً، ومحوراً، وراية، فى سبيل إسرائيل ونحو الخلاص. كان من واجب الدولة أن تفعل ذلك، حالاً، وأثناء حرب الأيام الستة»[2].

---

(١) مجلة الأرض، دمشق، العدد (٨١)، ٧/٦/١٩٨٤.

(2) LE MONDE DIPLOMATIQU. Paris, December, 1995.

وقد ثبت من التحقيقات أن أفراد العصابة تلقت فتاوى من حاخامات متطرفين، باركت هذا المسعى الإجرامى، وبهذه الفتاوى بَرَّرَ بعض قيادييها مسلكهم هذا، أمام المحكمة المركزية فى القدس.

٣٠ ـ الاتجاه الثالث:

حركة استيطانية احتجاجية جديدة، أنشئت عام ١٩٩٥ بفضل مساندة «دان شوبرون» رئيس الأركان السابق، ونائبين آخرين من نواب حزب العمل فى الكنيست، هما «أفيجدور كهلانى» و«عمانويل زيسمان»، وكلاهما من الضباط القدامى.

أعلنت هذه الحركة عن هدفها وهو «معارضة إعادة الجولان» للسوريين، ثم وسَّعت برنامجها لكى يُضم إليه «سائر الأراضى المحتلة الأخرى»(١).

ويسعى أتباع هذه الحركة إلى تمييز أنفسهم عن أنصار «إسرائيل العظمى» وعمن يطلقون عليهم «اليساريين أنصار الخضوع الكامل لمطالب العرب».

وصوَّت نائبا الحركة ضد اتفاقية «أوسلو ـ ٢» فى الكنيست الإسرائيلى، وتقترح الحركة تجميع المناطق الفلسطينية المتفرقة حالياً فى تجمعات أوسع، مُرَكَّزةٌ حول «نابلس» و«رام الله» و«بيت لحم» و«الخليل»، (بانتوستات، أول معازل عنصرية)، وتربط بينها شبكة من «الممرات الضيقة»، الأمر الذى يضمن صراحة لإسرائيل ميزة السيطرة على مصادر المياه المتوافرة فى الضفة، علاوة على أنها ستحتفظ بالرصيد العمرانى الهائل الذى شيدته فى أكبر عشرين مستوطنة يهودية مثل «آريال» و«كروحيم» و«أوتاريم» و«جيفات» و«زياف» و«معالى أدوميم» و«بيتار» و«إيفرات»، كما سيدعم هذا الاتجاه الصلة مع المستوطنات فى وادى الأردن ذات الأهمية الاستراتيجية البالغة لإسرائيل»(٢).

---

(١) المصدر نفسه. (٢) المصدر نفسه.

٣١ ـ « جمعية تجديد الاستيطان اليهودى فى مدينة القدس القديمة كلها » أو « عطرا ليوشنا » (بالعبرية):

اعتبرها المراقبون «أهم أداة تحققت بوساطتها، أواسط الثمانينيات، أهداف إسرائيل الديموغرافية فى الأحياء الإسلامية من المدينة القديمة»[١]. وقد تأسست عام ١٩٧٩ من أجل «استرجاع وبعث وتجديد الاستيطان اليهودى فى تلك الأحياء التى ليست أقل «يهودية من الحى «اليهودى» نفسه»[٢]، ومن رعاة هذه الجمعية ومؤسسيها: «حاخام إسرائيل الرئيسى للسفارديم وحاخام المدينة القديمة»[٣].

وتركز المنظمة جهودها على تحقيق عملية الاستيلاء على الأراضى الفلسطينية التى لازالت بين أيدى الفلسطينيين، فى المدينة القديمة، بكل السبل الممكنة، ومصادرة ما تبقى من أملاك عربية، وإحلال مُلاّك يهود محلهم.

ومن أبرز أنشطتها احتلال منازل فى طريق الواد، واحتلال دير «ماريوحنا» فى حارة النصارى، بدعم من الحكومة وأجهزتها.

٣٢ ـ مجموعة « تاج الكهنة »، أو « عطريت كوهانيم »، (بالعبرية):

أسسها عام ١٩٧٨، عسكرى متطرف سابق فى الجيش الصهيونى هو «متتياهو هاكوهينى»، أحد مستوطنى مرتفعات الجولان، على هيئة مؤسسة تعليمية دينية، «يشيفا»، يقودها الحاخام «شلومو أفينز».

عناصرها من صفوف القوميين ـ الدينيين، وتُعتبر «يشيفا» النخبة الأصولية من عناصر «جوش إيمونيم» العنصرية، وهى تكثف جهودها فى دراسة الطقوس الكهنوتية التلمودية، التى كانت متبعة فى «هيكل سليمان» استعداداً وتحضيراً لمجىء المسيح المخَلِّص، مثلما أوضحها الحاخام «جافتس حاييم»..

فى بداية عقد التسعينيات قدَّرت صحيفة «Jerusalem Post» عدد

(١) مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد (٨)، خريف ١٩٩١، ص: ٥.

(٢) كراس للمنظمة، بدون تاريخ.

(٣) كراس للمنظمة، ١٩٨٧.

عناصرها بمائتى فرد، وهى تحظى بدعم مالى حكومى ضخم، وتقوم - إضافة إلى نشاطاتها اللاهوتية - بامتلاك الأراضى العربية، وهى تفضل العمل من خلف ستار على الضجيج الإعلامى الملفت للأنظار، وتؤمن - مثلما يقول الحاخام «أفينز» بوجوب أن تكون على استعداد للقيام بالشعائر الدينية عندما يُبنى الهيكل، وتعد نفسها - وجمهورها كذلك - للحظة التى يتحقق فيها هدفهم، لأنه - من وجهة نظرها - «إذا شاء الجمهور أن يكون الهيكل.. فسيكون»[1].

٣٣ـ توراة كوهانيم:

تُشبه فى أفكارها وأيديولوجيتها عقائد «عطريت كوهانيم»[2]، وتنذر نفسها لدراسة المعارف المتعلق بـ «هيكل سليمان» وكذلك السعى إلى امتلاك ما يمكن امتلاكه فى الأحياء الإسلامية من المدينة القديمة.

تنتمى إلى اليمين السياسى (القومى) - الدينى، وإلى المنظمة الاستيطانية «جوش إيمونيم»، وتعمل على اجتذاب طلاب «الهسّدير»، أى الشباب الإسرائيلى الذى يخدم فترة تجنيده فى دراسة التوراة، والتفقه فى الشريعة (الهالاخاه).

٣٤ـ حركة «إسرائيل الفتاة»:

تنظيم عنصرى للمستوطنين المتطرفين يتزعمه الحاخام «نحمان كاهانا» شقيق الحاخام العنصرى «مائير كاهانا»، زعيم حزب «كاخ».

يُدَرِّسُ الحاخام «كاهانا» لعناصر حركته خلطياً من لاهوت «إسرائيل الكبرى» وبعض المعارف المتعلقة «بهيكل سليمان».

اصطدمت المجموعة اصطدامات عنيفة بالفلسطينيين حول «طريق المواد»، واتهم ابن الحاخام «نحمان كاهانا» بإطلاق الرصاص من بندقيته

(1) JERUSALEM POST, December 12/1983.

مذكورة فى: مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد (٨)، خريف ١٩٩١، ص ص: ٤٧ ـ ٤٨.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٤٩.

الآليـة على حـشـد من الفلسطينيـين بالمدينة القـديمـة، وهى تتـحـرش بالفلسطينيين فى المواقع الإسلامية، وتنظم رحلات استفزازية لزيارة «جبل الهيكل» (الحرم الشريف)، كما توزع بطاقات بريدية تحمل صورة للهيكل الثالث فى موقع «الحرم الشريف»، و«قبة الصخرة».

٣٥ـ رابطة «صندوق جبل البيت»:

حركة صهيونية فاشية متطرفة، أُعلن عن ميلادها عام ١٩٨٣، تمارس أنشطتها فى كل من إسرائيل والولايات المتحدة، ومركزها الرئيسى فى «القدس» المحتلة[١].

تمول هذه الحركة من قبل التجمعات المسيحية الصهيونية المتطرفة فى أمريكا عموماً، وفى «كاليفورنيا» بالذات، ويترأسها رجل الأعمال الأمريكى الثرى «تارى ازينهوفر»[٢]، وتضع على رأس مستهدفاتها العمل على هدم المسجد الأقصى وبناء «الهيكل الثالث» فى موقعه، وتنشيط عمليات احتلال الأراضى العبرية، وقد أكد هذا التوجه عضو الكنيست الإسرائيلى «يهودا بيرح»، عن «الليكود»، الذى أعلن يوم ١٩٨٣/١/٢٢، أن «رابطة صندوق جبل البيت» ستتبرع بعشرات الملايين من الدولارات للاستيطان فى «يهودا والسامرة»، (الضفة الغربية)، وأن الرابطة تضع نصب عينيها هدفاً أساسياً هو إعادة بناء «الهيكل الثالث» فى نطاق «جبل البيت»[٣].

وليست هذه الحركات والجماعات والمنظمات والروابط التى أشرنا إليها آنفاً هى كل ما يمكن رصده من تجمعات عنصرية فاشية، تستهدف اجتثاث جذور الوجود العربى فى الأرض العربية الفلسطينية وزرع الجسد الصهيونى الاستيطانى الإحلالى فى موقعها، فهناك ـ إضافة إلى ما سبق ـ عشرات

(١) أنظر: سعيد تميم، مصدر سبق ذكره، ص: ١٥.

(٢) مجلة هعولام هزيه، إسرائيل، ١٩٨٤/١/١١.

(٣) مجلة الأرض، دمشق، عدد: (١٨)، ١٩٨٤/٦/٧.

المجموعات، النشطة والكامنة، التى تضغط لتحقيق الغايات الاستراتيجية للمشروع الصهيونى، بشقيه (العلمانى) والدينى فى فلسطين والمنطقة، ومنها حركة «إعادة التاج»، التى يتزعمها «يسرائيل فويختو نفر»، والتى تضم مجموعة عدوانية من الشباب المتعصب، الذى يقوم بطرد العرب الفلسطينيين من ديارهم بالقدس وإحلال مستوطنين يهود محلهم، تحت زعم أن هذه المواقع كانت مملوكة لليهود فى الزمن الغابر[1]، وهناك حركة «الاستيلاء على المسجد الأقصى» التى يحمل اسمها مضمون طبيعة هدفها الأساسى، وحركة «الرائد السرية»، إحدى تفريعات حركة «الاستيلاء على المسجد الأقصى» التى كُشف عنها بعد اعتقال خمسة عشر شاباً من المتدينين المتعصبين، فى مارس ١٩٨٣، أثناء إعدادهم العدة لاقتحام «جبل البيت» وفرض استيطان مجموعات يهودية فيه بقوة السلاح، وكذلك منظمة «سيورى صهيونى»، أو (جولات صهيونية)، التى تستهدف، حسبما يوضح أحد مسئوليها، «زئيف أنسباخ»: «نقل الشعب اليهودى من حائط المبكى إلى أماكن مقدسة أخرى فى جبل البيت»[2].

ومن المهم توضيح أن أغلب هذه الحركات تعمل بتنسيق مع الاتجاهات والمؤسسات المسيحية الصهيونية مثل «السفارة المسيحية الدولية» فى القدس، وهى هيئة مسيحية بروتستانتية تنشط فى دول أمريكا الجنوبية، وتمثل مجموعة من الكنائس التى تطالب بإقامة «كنيسة فى ظل الهيكل»[3]، وغيرها من الهيئات الشبيهة، ومن جهة أخرى، فإن دعم الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة، على اختلاف انتماءاتها وادعاءاتها السياسية والأيديولوجية، وتباين مواقفها: العلنية والسرِّية، كان مصدراً أساسياً من مصادر استمرار وتفشى هذه الجماعات واستفحال أمرها فى السنوات السابقة، برغم أية إجراءات شكلية، قد تضطر لها هذه الإدارة أو تلك، فى مواجهة بعض تصرفات هذه الجماعات أو بعض مسلكياتها.

(١) سعيد تميم، مصدر سبق ذكره، ص: ١٥.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

لا للدولة الفلسطينية

ولا للقدس عاصمة لها

ولا للانسحاب من الجولان

«بنيامين نتنياهو»

رئيس الوزراء الإسرائيلى

الفصل الرابع عشر

انتخابات ١٩٩٦: ماذا بعد؟!

فاز تكتل الليكود بانتخابات الكنيست الرابع عشر، مايو ١٩٩٦، وتولى «بنيامين نتنياهو» رئاسة الحكومة الإسرائيلية، لمدة أربع سنوات قادمة، معتمداً فى تشكيل أركانها على ائتلاف يمينى - دينى (أصولى)، يرتكز على التحالف بين الاتجاهات الصهيونية السياسية شديدة التعصب والعنصرية من جهة، وعلى الأحزاب الدينية التى حصلت على ٢٦ مقعداً بزيادة ١٣ مقعداً عن الكنيست الثالث عشر، من جهة أخرى.

وصل نتنياهو إلى قمة السلطة فى إسرائيل، باعتباره «الأفضل لليهود» وعلى أساس برنامج سياسى يضم مجموعة من اللاءات القاطعة، أبرزها:

- لا للدولة الفلسطينية، ويكفى الفلسطينيين ما حصلوا عليه من حكم ذاتى شكلى محدود، بدون أمل فى تطويره أو طموح لتعميقه وتوسيع مداه.

- لا للمشاركة فى مدينة «القدس»، باعتبارها «عاصمة لدولتين» كما كان يطمع بعض الواهمين، فالقدس هى العاصمة الوحيدة الأبدية لإسرائيل.

- لا للانسحاب من الجولان: فهى «أرض تحت السيادة الإسرائيلية المطلقة»❖.

وإضافة إلى هذه اللاءات، احتوى البرنامج الليكودى المعلن تنويهاً بقوة الجيش الإسرائيلى، باعتبارها مفتاح الحل والربط فى المنطقة، وهو الذى يردع العرب ويحمى أمن إسرائيل، الأمر الذى يخوله حق دخول الأراضى الفلسطينية المدارة بواسطة (السلطة الوطنية الفلسطينية) إذا اقتضى الوضع، كما يعتبر حزب «الليكود» أن حدود إسرائيل الشرقية هى نهر الأردن عند

❖ يُلاحظ أن هذه المحددات الاستراتيجية التى أعلنها «نتنياهو» فى عهد وزارته الأولى (عام ١٩٩٦) لازالت هى الحاكمة فى عهد وزارته الأخيرة (٢٠١٠)، وهى التى ستحكم مسار المفاوضات الجديدة التى ستطلق بمبادرة من الرئيس الأمريكى «باراك أوباما»، هذا العام.

بحيرة طبرية إلى البحر الميت، ثم جنوباً حتى البحر الأحمر، ويؤمن «بحق اليهود فى جميع الأراضى الواقعة بين نهر الأردن والبحر الأبيض المتوسط، باعتباره «حق مطلق ونهائى، ولهذا ينبغى «تعزيز الاستيطان اليهودى فى الصفة الغربية، وزيادته بنسبة نصف مليون مستوطن جديد حتى عام ٢٠٠٠»[١].

وقد أجمل «نتنياهو» سياسته فى مفهوم جديد غريب هو «السلام مقابل السلام»، بعد أن أطاح بالمفهوم السابق «الأرض مقابل السلام» الذى اعتبرته الاوساط الإسرائيلية العمالية والعربية، أطراف عملية التسوية السياسية السابقة، مرجعية مقبولة للتحرك فى إطارها.

وكان أبرز دلالات نتائج الانتخابات الأخيرة، التى خسرها حزب «العمل» وخسر معها عشرة مقاعد، كما خسرت خلالها كتلة «ميرتس» (اليسارية) ثلاثة مقاعد، **ما أشار إليه المحللون من أن التيار (العلمانى) فى إسرائيل قد أخذ فى الانحسار، وفى المقابل حققت الأحزاب الدينية واليمينية المتطرفة تقدماً فى عدد المقاعد عما كان لها فى الكنيست السابق.**

فـ «الحزب القومى الدينى»، «المفدال» كسب أربعة مقاعد إضافية (من ستة إلى عشرة مقاعد)، و«حزب شاس» (الذى يمثل المتدينين من اليهود الشرقيين) فاز أيضاً بأربعة مقاعد إضافية (من ستة إلى عشرة مقاعد).

أما حزب «موليدت» الذى لا يعترف بالدولة الفلسطينية ويدعو إلى ترحيل جميع العرب، سواء المقيمين منهم داخل إسرائيل أو فى الأراضى المحتلة، إلى الأردن أو إلى أية دولة عربية أخرى، على سبيل تحقيق النقاء العنصرى لإسرائيل كـ «دولة يهودية».. قد فاز بمقعدين بعد أن كان له مقعد واحد.

وهناك حزبان جديدان لم يكن لهما وجود فى البرلمان السابق وحققا مكاسب ملحوظة وهما:

- حزب «الطريق الثالث»، الذى انشق على حزب العمل، بسبب الخلاف مع «بيريز» حول الانسحاب من الجولان، وهو يضم أعضاء المستوطنات اليهودية

---

(١) مجلة «الوسط»، العدد (٢٢٧)، ١٩٩٦/٦/٣.

التى أقيمت فى هضبة الجولان، وترفض الانسحاب منها حتى فى ظل معاهدة سلام سورية ـ إسرائيلية، وقد حصل على أربعة مقاعد من لا شىء.

ـ حزب «إسرائيل إلى العلا» أو «إسرائيل باعاليا». وهو حزب جديد أسسه أخيراً اليهود القادمون من الاتحاد السوفيتى السابق، بزعامة «ناتان شارانسكى»، واسمه الأصلى «أناتول شارانسكى»، وكان جاسوساً إسرائيلياً فى الاتحاد السوفيتى، واعتقلته السلطات السوفيتية وحاكمته وحكمت عليه بالسجن مدى الحياة، ثم جرى تبادله منذ ست سنوات مع جاسوس كان يعمل فى إسرائيل لحساب الاتحاد السوفيتى. ومنذ وصول «شارانسكى» إلى «أرض إسرائيل»، عام ١٩٩١ اعتبروه بطلاً قومياً، واتخذه اليهود السوفيت المهاجرون إلى إسرائيل زعيماً لهم، لكى ينهض بالدولة على نحو ما فعل مؤسسو الدولة منذ نحو نصف قرن، حيث كان معظم هؤلاء «الآباء» المؤسسون من المهاجرين من الاتحاد السوفيتى وشرق أوربا مثل «بن جوريون» و«جولدا مائير»، وأيضاً «شيمون بيريز» نفسه.

وقد حصل هذا الحزب على سبعة مقاعد من لا شىء.

ومعنى هذه المكاسب الملحوظة للأحزاب الدينية واليمينية المتطرفة أن هناك مداً واضحاً فى الموجة «الدينية القومية»، وأن هذه الموجة جاءت على حساب انحسار «التيار العلمانى»[1]، ذلك التيار الذى راهن عليه كثير من العرب فى الفترة السابقة.

وللدلالة على التوجهات الحاكمة لمواقف هذه الأحزاب الدينية المتشددة، التى تحكم إسرائيل وسياساتها الآن، يكفى أن نستعرض تصريحاً للنائب «حنان بورات» عضو «الحزب القومى الدينى» (٩ نواب)، المتحالف مع حزب «الليكود»، فقد صرح «بورات» قائلاً:

«إذا نَفَّذَ ياسر عرفات تهديده، بإعلان قيام دولة فلسطينية عاصمتها

(١) حسن فؤاد: ما بعد الانتخابات الإسرائيلية: هل تضع إسرائيل مصيرها بين أيدى «آيات الله اليهود»، جريدة «الأهرام»، القاهرة، ١٩٩٦/٦/١١.

«القدس» ينبغى على الحكومة أن تعلن على الفور بسط سيادتها على قطاعات يهودا السامرة (الضفة الغربية)، التى لا تزال تحت سيطرتها».

وأوضح «بورات» أن عملية الضم هذه، يجب أن تشمل المناطق التى لاتزال تحت السيطرة الإسرائيلية الكاملة أو الجزئية، أى أكثر من ٩٠٪ من مساحة الضفة الغربية، لكن باستثناء المدن السبعة، فى المنطقة التى باتت خاضعة للسلطة الوطنية الفلسطينية.

وقال أيضاً إن أياً من المستوطنات الـ ١٤٠ فى الضفة الغربية وقطاع غزة لن تفكك، وأن «المستوطنات الواقعة فى مناطق حيوية بالنسبة إلى أمن إسرائيل ستخضع للسيادة الإسرائيلية».

وكان «بورات» قد كُلف، بالتعاون مع نائب الليكود «ميخائيل إيتان»، بإعداد مسودة برنامج عمل الحكومة الإسرائيلية الجديدة، التى احتوت أيضاً ما يشير إلى أن هضبة الجولان السورية التى احتلتها الدولة الصهيونية فى العام ١٩٦٧، حُددت «كمنطقة حيوية لأمن إسرائيل»، واستبعدت أى «تنازل» عن هذه «الأراضى»، فى حال التفاوض مع سورية»(١).

يمكن، اختصاراً، إجمال ما تم فى إسرائيل خلال الشهور القليلة الماضية، على أنه **انقلاب أطاح بـ «العلمانيين» الإسرائيليين، ورفع إلى سدّة الحكم فيها تحالف الجنرالات والحاخامات، الأكثر تعصباً وعدوانية وكراهية للعرب وللفلسطينيين وللمصريين، وللسلم والحرية، وللإنسانية جمعاء.**

إن هذه النتيجة تستدعى إعادة تقويم شاملة للموقف القومى والوطنى، وإعادة بناء لحائط المواجهة العربى والمصرى، الذى تصدّعت أركانه فى السنوات السابقة، وإعادة تأكيد لثوابت الصراع المصيرى، بين أصحاب الأرض الحقيقيين وبين المغتصبين.. وهى أولاً وأخيراً تستدعى وقفة موضوعية مع الذات لتصحيح الخلل الاستراتيجى فى مفهوم الصراع وآليات المواجهة، التى لن تنتهى إلا بهزيمة الطرف العنصرى الصهيونى. المعتدى، ودحره نهائياً.

---

(١) جريدة «الحياة» الدولية، ١٤/٦/١٩٩٦.

«خريطة مملكة إسرائيل، الوارد ذكرها فى التوراة، يجرى رسمها من جديد، على أساس النتائج الحاصلة من عملية مسح الآثار فى مناطق جبال (اليهودا والسامرة).. ومرتفعات الجولان».

«بنيامين مازار»

رئيس مجلس الآثار الإسرائيلى

١٩٦٨/٤/١٢

«ولما كان عندنا كتاب التوراة (Book of the Bible)، ونحن أهل الكتاب (People of the Book)، يصبح لدينا أيضاً «أرض التوراة»، (Land of the Bible)، أرض القضاة والآباء، فى القدس والخليل وأريحا وجوارها».

«موشيه دايان»

فى ٩ أغسطس ١٩٦٧



ملحق الكتاب:

(أ)
مقتطفات من فكر
الحاخام العنصرى «مائير كاهانا»
مؤسس حركة «كاخ» الإرهابية

(١) مقتطفات من كتاب «كاهانا»: «كأشواك فى عيونكم»..

«عرب إسرائيل الحاد سافر،

وستحل بنا اللعنة إن لم نطردهم»

«فى عام ١٩٧٦ أجرت مكتبة الكرنجرس الأمريكى بحثاً عن السكان العرب واليهود توصلت فيه إلى نتيجة: أنه حتى وإن تنازلت إسرائيل عن المناطق التى حررتها، سيكون العرب فى إسرائيل أكثرية عظمى خلال مائة عام».

«توقعات البحث المذكور استندت إلى هجرة يهودية سنوية إلى إسرائيل بمعدل ٢٥٠٠٠ مهاجر، هذا مع أن إسرائيل لا تقترب إلى هذا العدد فى أيامنا هذه. فإذا أخذنا بعين الاعتبار الوضع الاقتصادى المتهاوى فى البلاد، فقد يكون من الصعب تقليص عدد المهاجرين من إسرائيل بأقل من عدد المهاجرين إليها. فمدة سبعين سنة هى المدة المعقولة لتحقيق الأكثرية العربية، فما دام الوضع على هذا الحال فما الذى يحدو بالعربى اتخاذ مواقف معتدلة.. دولة إسرائيل تأسست كدولة يهودية وهذا المبدأ يحتم على دولة إسرائيل منع تمكين العرب بأن يكونوا أكثرية فيها»..

..«الخبير الإسرائيلى للشئون العربية، «تسفى ألبيلج»، كتب فى أعقاب

تمرد يوم الأرض: «العرب يعرفون كيف يخفون عداءهم، وتحديد الوقت المناسب لانفلات هذا العداء، فى الظرف الذى لم تكن فيه الفرصة مناسبة لإظهار العداء سارت الأمور على ما يرام، علاقات حُسن جوار، وحُسن ضيافة».

«مئير هارتسيون»، أشهر أبطال جيش الدفاع الإسرائيلى، كتب فى يناير/ كانون ثان ١٩٧٩ عن العرب: «أنا لا أقول بأنه يجب طردهم وقتلهم.. بل يجب خلق ظروف لا تمكنهم من العيش هنا، بل فى الأردن والسعودية أو فى أى دولة عربية أخرى».

«أقوال «هارتسيون» هذه لاقت إعجاب الملحنة الإسرائيلية المشهورة «نعومى شيمر»، فكتبت فى صحيفة «دافار» ١٩٧٩/٣/٩ «هجرة العرب من إسرائيل إن تمت باحترام متبادل وعن طيبة خاطر.. فقد تكون الحل الأفضل».

«وفى النقاش الذى دار فى الكنيست حول الإرهاب العربى قال عضو الكنيست «أمنون لين» ١٩٧٦/٥/١٨: «يجب البدء بعمليات طرد كاملة لكل الذين شاركوا فى المظاهرات، ونقلهم إلى ما وراء الحدود، بدون استثناء بما فيهم الرجل والنساء والأطفال».

«هذه الأصوات ما زالت أقلية، ولم تتفهم بعد كل ما يجب فعله، إن مجرد انتخاب حكومة حازمة وصارمة سيحد من مقاومة العرب.. دولة إسرائيل ليس وليدا سياسيا بل دينيا.. عرب إسرائيل هم إلحاد سافر بالله.. ستحل بنا مصيبة إن لم نبعد العرب من بين ظهرانينا، لأن الخلاص بأجلى صوره سيشملنا إن أطعنا وصايا الله، وستحل بنا كارثة إن عصينا».

«إن مدى صدق إيماننا فى ظرف يحتم علينا اتخاذ قرارات حاسمة.. يقاس بمدى استعدادنا لاعتبار مخافة الله قبل مخافة العبد، ولطرد العرب من إسرائيل».

«.. وأزال «داوود» رأس «جالوت» من على كتفيه وبذا أزال العار عن بنى إسرائيل. هيا نزيل العرب من بين ظهرانينا، وبذا نُقَرِّبُ الخلاص».

٢ ـ مقتطفات من كتاب «كاهانا»: «أربعون عاماً»

«.. قامت دولة اليهود من خلال المحارق والرماد.. ليس لأننا كنا أهلاً لها، بل نكايةً بالأجانب، لأننا سُحقنا، فجاء غضب الله ونقمته، أنزلها بالعالم الذى أهان وهَزِئ بالله، إله بنى إسرائيل، أنا على يقين أن دولة إسرائيل التى قامت عام ١٩٤٨، ليست بداية الخلاص فقط بل أيضا المهلة التى أعطيت لنا، أنا مقتنع فى قرارة نفسى بأن الله تبارك وتعالى منحنا بذلك الفرصة الأخيرة، لقلب العذاب إلى خلاص عظيم وسريع، كما قال العلاّمة أليعزر «سنهدرين»: «أيام المسيح أربعون عاماً».

«.. حقيقة المجد ـ أيام المسيح ـ تشملنا بالعزة والمجد، إذا أيقنا بالمبدأ.. «إذا تمسكتم بحبلى.. أمنح السلام للبلاد»، (فيكرا)، وإن لم تُصغوا أصيبكم بعذاب أليم..»، هذا هو السبيل الوحيد. الوقت يمضى والقرار بأيدينا».

«العربى صار «حقيقة» تفزع الصهيونى. وهذا بحد ذاته هو نتيجة التناقض الأساسى بين «دولة يهودية صهيونية» ونمط الديمقراطية الغربية ودعاتها، بين اليهود، والتى بموجبها يحق للعرب أن يكونوا أكثرية، ولذا بإمكانهم، وبدون مجهود خاص تقويض الدولة اليهودية التى قامت على أساس وثيقة الاستقلال، أنتم اليهود العلمانيون المهووسون، هل تودون رؤية الحقيقة؟ أخرجوا إلى «الجليل» و«المثلث» حيث توجد أكثرية عربية تحلم بالتسلط على الدولة.

اذهبوا إلى «عكا» و«اللد» و«الرملة»، إلى «الناصرة العليا»، «يافا» و«القدس»، لتروا توسعهم الهادئ والسريع، لجعل «الجليل» و«المثلث» معقلاً للقومية والمطالبة بالحكم الذاتى.. العربى يتمادى يومياً فى الكفر، المتمثل فى تجواله فى البلاد بحثا عن يهوديات لمضاجعتهن وحتى لزواجهن، يهوديات يشبعن الغرائز الجنسية للعربى ـ هذه مظاهر الدولة الهائمة ـ لكن من هو مستعد للاعتراف بهذه الحقيقة المرّة والمؤلمة؟!.

«الزعيم الذى يتكلم أو يكتب عن مشاكل اليهودى، حتى دون ذكر اسم الله، أقل ما يوصم به ويقال عنه، أنه يمينى ـ تجنبوه وابتعدوا عنه سيقودنا لمأساة قومية، فانبذوه».

مصير اليهودى مرتبط دائماً بمدى إخلاصه لله وتعاليمه، وهذا مفتاح الفرج إلى الأبد. الشعب اليهودى سوية فى سفينة واحدة ومن يثقب قعرها بخطايا، يلقى بنا جميعا إلى الأمواج».

٣ـ مقتطفات من كراس «عن الإيمان والخلاص: شعب إسرائيل ورسالته»:

الله خلق الكون من أجل التوراة والشعب اليهودى».

«ولا توجد «فلسطين» فى الماضى أو الحاضر.. ولا فى المستقبل».

«الشعب الذى اختاره الله العلى العظيم، لا مبرر له أن يرهب أى جبروت فى هذا العالم، الرسالة اليهودية مصونة ومحمية من الرب، ليس روع الأجنبى، بل خشية الله والإيمان بملكوته، تقرر مصيرنا، قال رب العالمين، «الكون خلق لغاية واحدة: التوراة والشعب اليهودى».

«العالم ومضمونه لم يُخلق إلا بحق التوراة»، «سفر التكوين». رب العالمين خلق الكون لغاية توراة بنى إسرائيل، كى تترجم ثوابتها ومثلها، فى الحياة العملية، وهو تعالى اختار شعب إسرائيل ليحمل مشعل التوراة ومثلها، للحفاظ عليها وبث تعاليمها، هذا وهذا فقط غاية الخليقة».

«كل ما يدور فى العالم من حروب وكوارث، بزوغ وأفول دول عظمى، لا مفاد ضمنى لها إلا إذا كانت جزءا من الرسالة الإلهية، ولها تأثير على سعادة ـ أو تعاسة ـ بنى إسرائيل، رُسل الله تعالى، الشعب اليهودى هو حقا قلب العالم، ولا سبب أو غاية لوجود شعوب ودول عظمى، ملوك وسلاطين وحكومات، سوى تأثيرهم على الشعب اليهودى ومصيره، وتحقيق الرغبة الإلهية فى تكوين الخليقة».

«الشعب اليهودى هو شعب الله، تربط بينهما عروة وثقى، «لأنك شعب مقدس لله، اختارك الله لتكن له شعبا مختارا من بين جميع الشعوب على وجه البسيطة»، (دفريم).

«شعب مختار، ليس شعباً أو دولة كبقية الشعوب والدول، وليس تقليدا شاحبا للغرب أو الشرق، أو انتماء للمعسكر الاشتراكى أو الرأسمالى، بل شعب أوحد فريد».

«الشعب اليهودى الذى اختاره الله ليكون شعبه المختار الفريد الخاص ـ شعب مقدس:

«وتكونون لى مقدسين لأنى ربكم المقدس»، (فيكرا).

اختيار اليهود معناه واجب ورسالة شاقة ومضنية.

«ولا تخالطوهم»، (فيكرا)، «وإن اختلطتم بهم تزوغون عن طريقى، وما فائدتى منكم وأنتم تسيرون فى طريق التهلكة».

«الأمور بسيطة، فلا غاية من الوجود المنفرد لشعب إسرائيل بدون قدسية شعب إسرائيل، وتوراة بنى إسرائيل».

«الرسالة تنبع مباشرة من المهمة «وجعلتكم منارا للشعوب»، (أشعيا). الحفاظ على الوصايا، والتمسك بحبل الله والعمل بالتعاليم، هذا كله يجعلنا مقدسين».

«هذه هى التوراة، وهذا هو الشعب، وهذه هى الرسالة، وهذه هى العروة الوثقى، التملص من تحمل عبء الرسالة لن يجدى، ومحاولة التملص من الغاية لن تفلح. فلا مفر من الروابط الخاصة بالله تبارك وتعالى، لأن حاجزا أبديا يفصل بين عالم اليهود وعالم الشعوب الأخرى».

اليهودى، فى الماضى لم يُصغ، أو رفض الحكمة والتعقل، وابتعد عن التوراة التى هى مضمون حياته، لذلك طُرد اليهودى من بلاده، وزُجَّ به فى

«بلاد الغربة «كورقة تحملها الريح»، ملأ الذعر قلبه. هناك وبَّخَهُ الأجانب وأهانوه، داسوه، بصقوا فى وجهه، استباحوا ماله، طردوه من بلاد لأخرى، حرقوه حيا، أغرقوه، خنقوه بالغازات، وقهقهوا قهقهة الشيطان عندما أهانوه إهانة لم يذقها من قبله إنسان».

«اليوم نعيش حقبة، يقف المسيح على عتبتها، ويطل علينا فجر الخلاص، يتحتم علينا أن نعرف جليا ما ينطوى عليه هذا الحدث، باستطاعتنا إنقاذ أنفسنا من الكارثة والتهلكة لو هدينا».

«الفرصة أمامنا وهى ثابتة وبسيطة، إما أن تحظى بالخلاص وإما لا تحظى. أيها الشعب الضال والمسكين الوقت أمامنا قصير. انقذوا أنفسكم وتجنبوا الكارثة».

«الإيمان والاعتصام بحبل الله هما مفتاح الخلاص.

أركان الخلاص الأربعة:

١ ـ القرار الحاسم لتطبيق سلطان شعب إسرائيل ودولة إسرائيل على جميع أجزاء بلاد إسرائيل.

٢ ـ القرار الحاسم بطرد كل من هو غير يهودى، ولا يعترف بالحق القطعى للشعب اليهودى على كل بلاد إسرائيل، ولا يقبل بوضع أجنبى قاطن ـ مبتور الحقوق.

٣ ـ القرار الحاسم بحب كل يهودى كما تحبه لنفسك، والتسليم بأن دولة إسرائيل هى القيِّم والأمين على بنى إسرائيل حيثما وجدوا.

٤ ـ القرار الحاسم بترك المقبرة المسماة «المهجر» والعودة إلى بلاد إسرائيل».

«السلام أَخَّاذ، لكن ليس للسلام جاء «يهوشع بن نون»، لاحتلال بلاد الكنعانيين وليس بالسلام ـ كهدف سامٍ ـ أعادنا الله إلى بلادنا.. لذلك لا

يجوز أى انسحاب ـ وكل انسحاب مبنى على «الأمن العسكرى» أو «الاستراتيجية العسكرية»، أو التعقل السياسى، أو أى سبب (علمانى) آخر، لن يكون مجديا»*.

«الانسحاب يمحو عن البلاد المقدسة اسم وملكوت الله. هذا عين الكفر. عدم التنازل حتى عن «شبر» ليس شعارا سياسيا بل دينياً، **كل البلاد ملك الله وهو أعطاها لنا، لا توجد «فلسطين» ولا يوجد شعب أو دولة بهذا الاسم، لا فى الماضى ولا فى الحاضر ولا فى المستقبل، بلاد إسرائيل ملك لشعب إسرائيل، جميع البلاد لجميع الشعب.**

«للإسماعيلى** قد تكون حقوق دينية، حضارية، اجتماعية واقتصادية فى دولة يهودية، لكن لن يكون أبدا متساوى الحقوق تماما مع اليهودى، اليهودى فى سوريا المسلمة غير متساو مع المسلم بها، لا يمكن أن يسود السلام فى دولة يسكنها شعبان، فى حين يؤمن كل منهما أنها ملكه هو وحده. عرب البلاد هم قنبلة موقوتة تضمن لنا وضعا مثل «أيرلندا» أو «قبرص».

«لنسلك أُعطيت هذه البلاد من نهر مصر حتى النهر الكبير، نهر «الفرات»، «سفر التكوين»، هذا هو الأساس، إبقاء سلطان الغرباء على قسم من البلاد، مثله كمحو اسم الله عن الأراضى التى بأيديهم.. سيادة اليهود على بلاد إسرائيل هى تجسيم اسم الله على الأرض.. هى فريضة من التوراة، وهكذا قضى «موسى بن ميمون» فى «تعاليم الكفرة»: «فى زمن سلطان بنى إسرائيل محظور علينا إبقاء كفرة بيننا.. إلا إذا التزموا باتباع وصايا أبناء «نوح» حيث جاء: «لن يقطنوا فى بلادك»، «شموت»، حتى ولو مؤقتا».

«فما دام محظور علينا أن نُبقى غريباً، إلا من حظى بوضع «غريب

* من الملاحظ أن هذه المواقف (المتطرفة) لـ «مائير كاهانا»، الإرهابى، أصبحت مُسَلّمَات لأغلبية جمهرة المجتمع اليهودى فى «إسرائيل»، ويتبناها حتى ماكان يُسَمّى بـ «اليسار» الإسرائيلى، وحزب «العمل» وأشياعه.

** المقصود بنسل إسماعيل (عليه السلام) من العرب والفلسطينيين.

قاطن». فكيف نجرؤ على التخلى عن أجزاء من بلاد إسرائيل ونحن أصحاب سلطان فيها».

«التوراة تابعت وحظرت، ليس فقط التنازل عن أراض مقدسة للغريب، بل حتى بيع أرض الملكية الخاصة اليهودية للغريب داخل حدود الدولة المستقلة، حيث جاء «لا تنزلهم»» (دفريم)، أى لا تجعلهم يقيمون على الأرض، وأفتى الحاخام «موسى بن ميمون»، «لا تُباع لهم البيوت والحقول فى بلد إسرائيل»، واعلم، ولا تنس، أن التنازل عن أجزاء من أرض إسرائيل هو بمثابة إثم يتوجب منعه حتى وإن كَلَّفَ ضحايا بشرية، لأن الحرب من أجل البلاد هو جزء أساسى من الحرب التى تسميها التوراة حرباً مقدسة، العدو الذى يهاجم إسرائيل، من الطبيعى أن يكون هدفا لحرب مقدسة، تُلزم كل يهودى حتى العريس فى يوم زفافه، المشاركة فيها ..

٤ ـ مقتطفات من مشروع قانون (عنصرى)، قدمه عضو الكنيست الحاخام «مائير كاهانا»

إلى رئيس الكنيست الحادية عشرة لطرحه على الكنيست

مشروع قانون

(قانون لتحريم التمازج بين اليهود وغير اليهود، ولقدسية شعب إسرائيل)

(أ)

١ ـ جميع المؤسسات التربوية فى بلاد إسرائيل، بما فيها رياض الأطفال، المدارس الابتدائية والثانوية، معاهد التعليم العالى والتدريب المهنى، وكل مؤسسة أخرى تكون منفردة «واحدة لليهود وآخرى لغير اليهود».

٢ ـ تُخصص شواطئ بحر لليهود وأخرى لغير اليهود، بدون فرق فى مستوى خدماتها. ابن الشعب الذى يتواجد فى الشاطئ المخصص لابن الشعب الآخرَ يُعَرِّضُ نفسه لعقوبة السجن لمدة نصف سنة.

٣ ـ لا يُسمح لغير اليهودى السكن فى حى يهودى بدون موافقة أكثرية السكان اليهود فى تلك البناية. أو إذا كان البيت خاصاً أو بناية يسكنها أقل من خمس عائلات، وبموافقة أكثرية اليهود القاطنين فى تلك المنطقة.

(جـ) يُحَّرم على اليهود واليهوديات، مواطنى الدولة، التزوج من غير اليهود، سواء فى البلاد أو خارجها، بأى شكل كان، مدنى أو دينى.

(هـ) يُحظر على اليهود واليهوديات مواطنى الدولة، إقامة علاقات جنسية بأى شكل كان مع غير اليهود: بالتزاوج أو بدونه، مخالف هذا البند يُعاقب بالسجن لمدة سنتين.

(و) غير يهودى ـ يهودية، ينتحل شخصية يهودى ـ يهودية، ليغرى يهودياً ـ يهودية، للزواج به ـ بها، أو لإقامة علاقات جنسية من أى نوع كان معه ـ معها، يُعاقب بالسجن لمدة خمس سنوات.

١ ـ غير يهودى ـ يهودية، يغرى يهودياً ـ يهودية، للزواج منه ـ منها، أو لإقامة علاقات جنسية من أى نوع كان معه ـ معها، يعاقب بالسجن لمدة ثلاث سنين.

٢ ـ غير يهودى يقيم علاقات جنسية مع عاهرة يهودية أو ذكر يهودى يعاقب بالسجن لمدة خمسين سنة، عاهرة يهودية أو ذكر يهودى يقيما علاقات جنسية مع ذكر غير يهودى يعاقبا بالسجن خمس سنوات.

(ز) عند فرض العقوبات المذكورة لا تأخذ المحكمة أى اعتبارات لظروف المخالفة.

(ح) لم يعرف اليهودى ـ اليهودية أن القرين غير يهودى ـ يهودية، يستطيع اليهودى ـ اليهودية مطالبة القرين، بالتعويضات المالية عن الألم النفسانى الذى سببها ـ سببته، وذلك بالإضافة إلى العقوبات المذكورة فى القانون.

(ط) حالات التزاوج المختلط، التى تمت سابقا، يُرغم فيها الزوجان على الفرقة حالا.

(ى) يبقى أبناء الزوجين فى كل الحالات فى حضانة والدتهم، وانتماؤهم الدينى والقومى يتبع والدتهم.

شرح

التقاليد اليهودية واضحة.

(وتكونون مقدسين. لأنى ربكم المقدس، وأميزكم عن الشعوب، لتكونوا لى)، (فيكرا).

«ولا تزاوجوا منهم، لا تعطى ابنتك لابنه، ولا تأخذ ابنته لإبنك، «دفريم»، لماذا؟ لأنك شعب مقدس ولا يجوز أن تدنس قدسيتك وتولد نسلاً طالحاً.

«ولما عاد بنو إسرائيل من سبى بابل، وكان لليهود سلطان، اتخذ زعماء الشعب الوسائل الكفيلة للقضاء على ظاهرة الامتزاج لم يُميز بنو إسرائيل والكهنة عن بقية شعوب البلاد لأنهم اتخذوا لأنفسهم ولأولادهم أزواجا منهم، وتمازج النسل المقدس مع شعوب البلاد»، (عزرا).

«فى تلك الأيام رأيت اليهود يستكينون إلى نساء من نسل أشدوت وعامون ومؤاب فقاتلتهم ووبختهم»، (نحميا).

«لزام علينا نحن برلمان إسرائيل أن نقتدى بطريق آباء الأمة، ونضع حدا للكارثة الروحية التى تفشت فينا، ونُسِّنُ قانونا لهذا الغرض».

(ب)

موسى بن ميمون

يلعب «موسى بن ميمون» Maimonides أو رامبام (اسم مركب من الراباى موسى بن ميمون) فى فكر الجماعات الأصولية والمتطرفة اليهودية، دوراً هاماً ومؤسساً، شبيهاً بالدور الذى يلعبه «ابن تيمية» فى فكر الجماعات الأصولية والمتطرفة الإسلامية المعاصرة.

ولد ابن ميمون بقرطبة إبان حكم المسلمين لها عام ١١٣٥م، ودرس الآداب العربية والعبرية القديمة، كما درس الشريعة وأصول الدين اليهودى، وتفقه فيهما، وإزاء تهديد جيش «الموحدين» لقرطبة فرت أسرته إلى «غرناطة»، ثم مدينة «المريّة»، وبعدها رحلت إلى «فارس»، حيث استكمل «ابن ميمون» دراساته الفلسفية والدينية وكتب أول كتاباته.

هاجرت أسرة «ابن ميمون» إلى فلسطين عام ١١٦٠م، وأقامت بعكا وزارت القدس التى لم يكن بها سوى أربع أسر يهودية فقط، وأنقاض لبعض المعابد اليهودية، وقد كتب «ابن ميمون» بتأثير زيارته: «ليمنحنى اللّه القوة فى كل شىء والعون على الوفاء بعهودى، وأن يحقق ما صليت لأجله بين تلك الأنقاض، ويرى شعب إسرائيل كله هذه الأرض المقدسة وقد ازدهرت، وأُنقذت من هذا الخراب»، ثم سافرت أسرة ابن ميمون إلى مصر، وأقامت فى الإسكندرية وبعدها رحلت إلى «الفسطاط» حيث أتم تفسيره الكبير

المصدر:

- عدد خاص لمجلة «رسالة اليونسكو» عن «ابن رشد» و«ابن ميمون»، العدد: (٣٠٤)، سبتمبر ١٩٨٦.
- معجم أعلام الفكر الإنساني، المجلد الأول، ألفه نخبة من الأساتذة المصريين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤.

نتائج الانتخابات العامة فى إسرائيل (١٩٩٢)
الكنيست الثالث عشر

الأحزاب الممثلة فى الكنيست الثالث عشر الحزب	عدد الأصوات	الأصوات بالنسبة المئوية	عدد المقاعد	المقاعد فى الكنيست الثانى عشر
العمل	٩٠٦,٨١٠	٣٤,٦	٤٤	٣٩
الليكود (التكتل)	٦٥١,٢٢٩	٢٤,٩	٣٢	٤٠
ميرتس (قائمة أحزاب اليسار)	٢٥٠,٦٦٧	٩,٥	١٢	١٠
تسومت (الصهيونية التقدمية)	١٦٦,٣٦٦	٦,٣	٨	٢
المفدال (الحزب الدينى القومى)*	١٢٩,٦٦٣	٤,٩	٦	٥
شاس (السفاراديم حراس التوراة)*	١٢٩,٣٤٧	٤,٩	٦	٦
يهدوت هتوراه (يهودية التوراة)*	٨٦,١٦٧	٣,٢	٤	٧
موليدت (الوطن)	٦٢,٢٦٩	٢,٣	٣	٢
حداش (الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة)	٦٢,٥٤٦	٢,٣	٣	٤
الحزب الديمقراطى العربى	٤٠,٧٨٨	١,٥	٢	١

* أحزاب ذات طبيعة دينية.

المصدر لهذا الجدول، والجداول التالية: صحيفة «ها آرتس» الإسرائيلية، ٢٨ و٢٩/٦/١٩٩٢.

الأحزاب التى لم تتجاوز نسبة الحسم (١,٥٪)

الحزب	عدد الأصوات	المقاعد فى الكنيست ١٢
هتحيا (النهضة)	٣١,٩٧٥	٣
القائمة التقدمية للسلام	٢٤,١٨١	١
الحزب الليبرالى الجديد	١٦,٦٦٩	
خلاص إسرائيل	١٢,٨٥١	
الديمقراطية والهجرة	١١,٦٩٧	
المحالون على التقاعد	٨,٣٢٧	
ضحايا الرهون العقارية	٥,٩٦٢	
بيكانتي	٣,٧٥٠	
التوراة والأرض	٣,٧٠٨	
عال غلغاليم (سائقو التكسيات)	٣,٣٥٥	
النساء	٢,٨٨٦	
الأمل	٢,٠٥٣	
قانون الطبيعة	١,٧٣٤	
تالى (حركة تجديد إسرائيل)	١,٣٣٦	
تسيبور (العصفور)	٥٢٣	

التركيبة النهائية للكنيست الإسرائيلى
الثالث عشر
انتخابات يونيو (١٩٩٦)

الحزب	عدد المقاعد	المقاعد فى الكنيست ١٢
حزب العمل	٣٤	٤٤
ليكود وحلفاؤه	٣٢	٤٠
شاس (دينى)	١٠	٦
الحزب الوطنى الدينى	٩	٦
ميريتز (يسارى)	٩	١٢
إسرائيل بعليا (روس)	٧	حزب جديد
حداش (شيوعي)	٥	٣
اليهودية الموحدة للتوراة	٤	٤
اللائحة العربية الموحدة	٤	٢
الطريق الثالث (وسط)	٤	حزب جديد
مولوديت (يمين متطرف)	٢	٣

الأحزاب الرئيسية الإسرائيلية
وأبرز زعاماتها (انتخابات ١٩٩٦)

حزب العمل: شمعون بيريز

تكتل ليكود: بنيامين نتانياهو (بالتحالف مع حزب «جيشر» بزعامة دافيد ليفى، وحزب «تسوميت» بزعامة رفائيل إيتان).

تجمع ميرتيس: يوسى ساريد (ويضم حركة حقوق المواطن بزعامة ساريد، وحزب مابام بقيادة حاييم أورون، وحزب شينوى بقيادة آمنون روبنشتاين).

حزب المفدال: (الحزب الوطنى الدينى) زيجولن هامر.

حزب التوراة اليهودية الموحدة: مائير بوروش (دينى متشدد ـ غربى).

حزب شاس: آربيه دورى (دينى متشدد ـ شرقى).

حزب موليديت: رحفعام زئيفى* (يمينى متشدد).

حركة الطريق الثالث: أفيجدور كهلانى (منشق عن حزب العمل ـ يمينى).

حزب يسرائيل باعاليا): ناتان شارانسكى (يمثل المهاجرين الجدد من روسيا ـ يميل إلى اليمين).

جبهة حداش (الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة): هاشم محاميد وتامار غوزانسكى وعزمى بشارة (الشيوعيون واليسار العربى واليهودى).

المصدر: مجلة «الوسط»، العدد ٢٢٧، ١٩٩٦/٦/٣.

* تم اغتياله على يد شاب عربى.

القائمة العربية الموحَّدة: تضم «الحزب العربى الديمقراطى» بزعامة عبد الوهاب الدراوشة، والحركة الإسلامية بزعامة عبد المالك الدهامشة (تتحالف عادة مع حزب العمل واليسار).

الحركة العربية للتجديد: أحمد الطيبى (مستشار الرئيس عرفات للشؤون الإسرائيلية، انسحب لمصلحة القائمة العربية الموحدة والعمل).

المصــادر

١ ـ د. جمال حمدان، اليهود، القاهرة، كتاب الهلال، فبراير ١٩٩٦.

٢ ـ على محمد على، ملف وثائق وأوراق القضية الفلسطينية، ط١، القاهرة، مركز دراسات الشرق الأوسط، بدون تاريخ.

٣ ـ محمد السمّاك، الصهيونية المسيحية، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٣.

٤ ـ غريس هانسل، النبوءة والسياسة: الإنجيليون العسكريون فى الطريق إلى الحرب النووية، ترجمة محمد السمّاك، ليبيا، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ١٩٩٠.

٥ ـ محمود نعناعة، الصهيونية فى الستينات: الفاتيكان واليهود، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٤.

٦ ـ ريجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية: جذورها فى التاريخ الغربى، سلسلة «عالم المعرفة»، الكويت، العدد (٩٦)، ١٩٨٥.

٧ ـ د. منى ناظم، المسيح اليهودى ومفهوم السيادة الإسرائيلية، دولة الإمارات العربية المتحدة، أبو ظبى، مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر، ١٩٨٦.

٨ ـ د. رفيق حبيب، المسيحيون والحرب: قصة الأصولية الصهيونية الأمريكية والصراع على الشرق الإسلامى، القاهرة، مركز يافا للدراسات والأبحاث، ١٩٩١.

٩ ـ محمد السمّاك، الأصولية الإنجيلية أو الصهيونية المسيحية والموقف الأمريكى، مالطا، مركز دراسات العالم الإسلامى، ١٩٩١.

١٠ ـ رجاء جارودى، أصول الأصوليات والتعصبات السلفية، بدون مترجم، القاهرة، مكتبة الشروق، يناير ١٩٩٦.

١١ ـ د. عبد الوهاب المسيرى، الجمعيات السرية فى العالم، القاهرة، كتاب الهلال، نوفمبر ١٩٩٣.

١٢ ـ د. عبد الوهاب المسيرى، الأيديولوجية الصهيونية، دراسة حالة فى علم اجتماع المعرفة (القسم الأول)، سلسلة «عالم المعرفة»، الكويت، يناير ١٩٨٢.

13 - IAN S. LUSTICK, Israel's Dangerous Fundamentalists, Foreign Policy, No. 68, 1987.

مترجمة فى سلسلة «شئون استراتيجية»، منظمة التحرير الفلسطينية (مركز التخطيط)، يونيو ٦/١٩٨٨.

١٤ ـ د. مجوب عمر، (تقديم) الترانسفير، الإبعاد الجماعى فى العقيدة الصهيونية، ترجمات مختارة من العبرية، القاهرة، دار البيادر للنشر والتوزيع، ١٩٩٠.

١٥ ـ يفجينى يفسييف، الفاشية فى ظل النجمة السداسية، بدون مترجم، القاهرة، دار الثقافة الجديدة، بدون تاريخ.

١٦ ـ ديفيد لانداو، الأصولية اليهودية: العقيدة والقوة، ترجمة مجدى عبد الكريم، القاهرة، مكتبة مدبولى، ١٩٩٤.

١٧ ـ د. رشاد عبد الله الشامى، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد (١٠٢)، يونيو ١٩٨٦.

١٨ ـ أشرف راضى، الفجوة: الصراع الطائفى فى التجمع الصهيونى، القاهرة، دار البيادر للنشر والتوزيع، ١٩٨٧.

١٩ ـ د. إميل توما، الصهيونية المعاصرة، الأردن، الدار العربية للنشر والتوزيع، ١٩٨٢.

٢٠ ـ نصر شمالى، إفلاس النظرية الصهيونية، بيروت، منشورات فلسطين المحتلة، ١٩٨١.

٢١ ـ يعقوب شريف، دولة إسرائيل زائلة، عمان ـ الأردن، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ١٩٩١.

٢٢ ـ وجيه حسن هاشم (أبو مروان)، نظرة جديدة فى التحالف الصهيونى الامبريالى، القاهرة دار البيادر للنشر والتوزيع، ١٩٨٧.

٢٣ ـ توم سيغف، الإسرائيليون الأوائل ـ ١٩٤٩، ترجمة خالد عايد ـ رضا سلمان ـ رنده حيدر شراره ـ كمال إبراهيم، بيروت مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٦.

٢٤ ـ موسى ميليمان، الإسرائيليون الجدد: مشهد تفصيلى لمجتمع متغير، ترجمة مالك فاضل البديرى، عمان ـ الأردن، الأهلية للنشر والتوزيع، بدون تاريخ.

٢٥ ـ يهوشفاط هركابى، قرارات إسرائيل المصيرية، ترجمة منى سماره، عمان ـ الأردن، منشورات دار الكرمل ـ صامد، ١٩٩٠.

٢٦ ـ «الكتاب المقدس، كتب التاريخ: يشوع ـ القضاة ـ راعوت ـ صموئيل ـ الملوك ـ الأحبار ـ عزرا ـ نحميا ـ طوبيا ـ يهوديت ـ استير ـ المكابيون»، بيروت، دار الشرق، ١٩٨٦.

٢٧ ـ الكتاب المقدس، كتب الشريعة الخمسة: التكوين ـ الخروج ـ الأحبار ـ العود ـ تثنية الاشتراع، بيروت، دار الشرق، ١٩٨٦.

٢٨ ـ «الكتاب المقدس، كتاب المزامير»، بيروت، دار الشرق، ١٩٨٦.

٢٩ ـ درويش ناصر (المحامى)، الفاشية الإسرائيلية، عمان ـ الأردن، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ١٩٩٠.

٣٠ ـ جدع جلادى، إسرائيل نحو الانفجار الداخلى، القاهرة، دار البيادر للنشر والتوزيع، ١٩٨٨.

٣١ ـ د. خليل فاضل، سيكولوجية الإرهاب السياسى، القاهرة، إصدرات خليل فاضل، ١٩٩١.

٣٢ ـ أمنون كابليوك، تحقيق حول مذبحة صبرا وشاتيلا، ترجمة منى عبد الله، القاهرة، دار العربى للنشر والتوزيع، ١٩٨٤.

٣٣ ـ حسن شكرى، الملف السرى الأسود لإسرائيل: من ٣٥٠٠ ق. م حتى اليوم، القاهرة، دار الطباعة المتميزة، ١٩٩٢.

٣٤ ـ نخبة من الأساتذة المصريين، (إعداد)، معجم أعلام الفكر الإنسانى، المجلد الأول، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤.

٣٥ ـ رجاء جارودى، فلسطين: أرض الرسالات الإلهية، ترجمة د. عبد الصبور شاهين، القاهرة، دار التراث، ١٩٨٦.

٣٦ ـ محمود عوض، ممنوع من التداول، القاهرة، كتاب الإذاعة والتلفزيون، ١٩٧٣.

٣٧ ـ د. حسن شريف (سفير)، المفهوم السياسى والاجتماعى لليهود عبر التاريخ، الجزء الأول (من العهد القديم إلى قيام دولة إسرائيل)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥.

٣٨ ـ رجاء جارودى، ملف إسرائيل: دراسة للصهيونية السياسية، بدون مترجم، القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٣.

٣٩ ـ أحمد عيد، جغرافية التوراة فى جزيرة الفراعنة، القاهرة، مركز المحروسة للبحوث والتدريب والنشر، ١٩٩٦.

٤٠ ـ عاطف عبد الغنى، شهود يهوه: مملكة إسرائيل على الأرض، دار

ديوان للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٥.

٤١ ـ أحمد فؤاد، إسرائيل: ذلك المجهول ـ حوار ومشاهدات من الجانب الآخر، مطابع الوليد، القاهرة، ١٩٩٦.

42 - Conquest Through Immigration: How Group, Zionism Turned Palestine into a Jewish State, U.S.A., Caleifornia, Institue For Special Research, Caleifornia, 1968.

٤٣ ـ مجدى نصيف، الصهيونية فى الولايات المتحدة، العربى للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٧.

٤٤ ـ أثمار لطيف نصيف، جماعة الضغط اليهودية فى أربع إدارات أمريكية (تأثير اللوبى الصهيونى فى السياسة الخارجية الأمريكية)، بغداد ١٩٨٩.

٤٥ ـ فيصل أبو خضرا، تاريخ النفوذ اليهودى فى أمريكا، العلاقة الأمريكية الصهيونية فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها، الرياض، ١٩٩٢.

٤٦ ـ د. محمد عبد العزيز ربيع، المعونات الأمريكية لإسرائيل، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٠.

٤٧ ـ فى أحاديث موشى بيرلمان، بن جوريون يستعيد الماضى، بدون اسم مترجم، القاهرة، بدون دار نشر، ١٩٦٦.

٤٨ ـ د. رشاد عبد الله الشامى، القوى الدينية فى إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، سلسلة «عالم المعرفة»، الكويت، عدد (١٨٦)، يونيو ١٩٩٤.

٤٩ ـ د. أحمد هيبى، هل يحدث انقلاب عسكرى فى إسرائيل؟ ستار برس للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٢.

٥٠ ـ إيان لوستيك، الأصولية اليهودية فى إسرائيل، ترجمة حسنى زينه، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩١.

٥١ ـ د. رفائيل ميرجى ـ د. فيليب سيمونو، مائير كاهانا: الحاخام الذى يخيف اليهود، ترجمة مجلة الحرس الوطنى، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٧.

٥٢ ـ مائير كاهانا، شوكة فى عيونكم، عمان ـ الأردن، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ١٩٨٣.

٥٣ ـ دانى روبشتاين، جوش إيمونيم: الوجه الحقيقى للصهيونية، عمان ـ الأردن، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ١٩٨٣.

٥٤ ـ ديفيد نيومان، الاستيطان الصهيونى: دور جوش إيمونيم، بيروت، دار كمبيونشر للدراسات والإعلام والنشر والتوزيع، ١٩٩١.

٥٥ ـ د. عمران أبو صبيح (إعداد)، دليل المستوطنات الإسرائيلية فى الأرض العربية المحتلة، عمان ـ الأردن، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ١٩٩٣.

٥٦ ـ عبد الرحمن أبو عرفه، الاستيطان: التطبيق العملى للصهيونية، عمان ـ الأردن، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ١٩٨٦.

٥٧ ـ أليشع إنعبرات (البروفيسور)، الاستيطان الصهيونى: جغرافياً وسياسياً، عمان ـ الأردن، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ١٩٩١.

٥٨ ـ ديفيد بن جوريون، إسرائيل: سنوات التحدى نيويورك، هولت ورينهات ونستون، ١٩٦٣.

٥٩ ـ إبراهيم العابد، العنف والسلام: دراسة فى الاستراتيجية الصهيونية، بيروت، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، سلسلة دراسات فلسطينية، رقم (١٠)، مارس ١٩٦٧.

٦٠ ـ العسكرية الصهيونية، (جـ٢)، القاهرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ١٩٧٤.

٦١ ـ د. أسعد مرزوق، فى المجتمع الإسرائيلى، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧١.

٦٢ ـ صلاح أحمد زكى، نظرية الأمن الإسرائيلى، بيروت، دار الوسام ـ دار ابن زيدون، ١٩٨٦.

٦٣ ـ ثيودور هرتسل، الدولة الصهيونية، القاهرة، دار الزهراء للنشر، ١٩٩٤.

٦٤ ـ إيلان هاليش، إسرائيل من الإرهاب إلى مجازر الدولة، ترجمة منى عبد الله، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٥.

٦٥ ـ جولد روز، إسرائيل: الدولة الخاطفة ـ كلب الحراسة الأمريكى فى الشرق الأوسط، بيروت، دار الحمراء، ١٩٩٠.

٦٦ ـ بييد ديميرون، ديميرون ضد إسرائيل، ترجمة شفيق محمد شفيق، القاهرة، مركز الدراسات للشرق الأوسط، ١٩٦٨.

٦٧ ـ د. عبد المنعم الحفنى، عالم بلا يهود (دراسة فى المشكلة الصهيونية فى كتابات ماركس وسارتر وتشمبرلين وسيجمون فرويد ومارتن بوبر وويل ديورانت وآخرين)، القاهرة، دار الرشيد، ١٩٩٢.

٦٨ ـ رجاء جارودى، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، ترجمة قسم الترجمة، القاهرة، دار الغد العربى، ١٩٦٦.

١ ـ دوريات: (مصرية وعربية وعبرية وأجنبية):

جريدة (Le Monde Deplomatique) الفرنسية

جريدة «الفيجارو» الفرنسية (Le Figero).

جريدة «يديعوت أحرونوت» الإسرائيلية.

جريدة «عال همشمار» الإسرائيلية.

جريدة «جيروزاليم بوست» (Jerussalem Post) الإسرائيلية.

جريدة «هآرتس» الإسرائيلية.

جريدة «معاريف» الإسرائيلية.

٢ ـ مجلات: (مصرية وعربية وعبرية وأجنبية)

مجلة «المجلة» السعودية.

مجلة «جيروزاليم ريبورتر» (Jerusalem Reporter) الإسرائيلية.

مجلة «حداشوت» الإسرائيلية.

مجلة «نيكوداه» (النقطة)، (Nekuda) الإسرائيلية.

مجلة «جويش كرنيكل» (Jewish Chronicle).

مجلة «نيويورك تايمز» (New York Times).

مجلة «كوتيريت» (Koteret) الإسرائيلية.

مجلة «آرتسى» (Artzi) الإسرائيلية.

مجلة «هعولام هزيه» الإسرائيلية.



● شارك المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية، من الفترة من ١٩٧٨ وحتى الغزو الإسرائيلى لبيروت عام ١٩٨٢.

● اعتُقل مرات عديدة، بسبب نشاطاته الوطنية والديمقراطية، (والمعارضة) للاستبداد والفساد وللتفريط فى حقوق الشعب، والتسليم للعدو الإسرائيلى، ولأنشطته المعادية للتطبيع، وكانت المرة الأخيرة بسبب اشتراكه ممثلاً لـ «الحركة الشعبية لمقاومة ومقاطعة إسرائيل» فى الاحتجاج على اشتراك إسرائيل فى معرض القاهرة الصناعى الدولى عام ١٩٩٦، وقد تم منعها من الاشتراك فى المعارض المصرية بعد ذلك.

● عضو أمانة «الحركة الشعبية لمقاومة الصهيونية ومقاطعة إسرائيل»، التى شاركت بجهد كبير فى قيادة أنشطة مقاومة التطبيع ومكافحة الوجود الصهيونى على أرض مصر، وعضو أمانة «اللجنة المصرية العامة لمقاطعة السلع والشركات الإسرائيلية والأمريكية» والمقرر المؤقت لـ «لجنة المقاطعة العربية الشعبية» التى تأسست فى دبى فى يوليو ٢٠٠٢، وعضو مؤسس فى أغلب لجان مقاومة الصهيونية والتطبيع، وفى «الحملة الشعبية لرفع الحصار عن شعب العراق ومواجهة العدوان الأمريكى على الأمة العربية»، وعضو مؤسس بـ «لجان الدفاع عن الديموقراطية والحريات فى مصر»، و«اللجنة المصرية لمقاومة العولمة الأمريكية، و«عضو المؤتمر القومى العربى»، وجمعيات ومؤتمرات أخرى عديدة.

● عضو مؤسس بجماعة «مهندسون ضد الحراسة».

● عضو مؤسس لـ «الحركة المصرية من أجل التغيير» ـ «كفاية»، وعضو أول «لجنة تنسيقية» لها.

● عضو بأمانة «الجمعية الوطنية للتغيير» وأمانة «جماعة العمل الوطنى».

● شارك فى مئات اللقاءات الفكرية والندوات والمؤتمرات الوطنية والقومية، التى تسعى لمواجهة التحديات المحيطة بمصر والوطن العربى.

● يكتب فى الصحف والمجلات المصرية والعربية، ويشارك فى البرامج الإذاعية والتليفزيونية، دفاعاً عن الحقوق الوطنية وكفاح الجماهير المصرية والعربية فى كل مكان.

من مؤلفاته:

١ ـ ٤٨ ساعة هزت مصر، رؤية شاهد عيان لحركة موقع من مواقع الأحداث فى انتفاضة ١٨، ١٩ يناير ١٩٧٧، طبعة أولى: دار «فلسطين الثورة»، بيروت، ١٩٧٩. (نفذ)، دار «هفن» ـ القاهرة، ٢٠٠٩، طبعة ثانية.

٢ ـ النفط العربى والاستراتيجية الأمريكية. دار «المصير»، بيروت، ١٩٨٢. (نفذ).

٣ ـ الحركة الطلابية الحديثة فى مصر.. تجربة ربع قرن، بالاشتراك مع د. أحمد عبد الله ـ مركز الجيل للدراسات الشبابية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٣. (نفذ).

٤ ـ الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية عام ٢٠٠٠، دار «سينا للنشر» ـ القاهرة، ١٩٩٤. (نفذ).

٥ ـ اتفاق غزة ـ أريحا.. الملامح والنتائج السياسية والاقتصادية، (بالاشتراك مع الأستاذة/ نادية رفعت)، القاهرة، ١٩٩٤. (نفذ).

٦ ـ حاخامات وجنرالات.. الدين والدولة فى إسرائيل، طبعة أولى، دار «نوارة للترجمة والنشر»، القاهرة، ١٩٩٦، (نفذ)، دار «جزيرة الورد»، القاهرة ٢٠١٠، طبعة ثانية.

٧ ـ انحزت للوطن، (صفحات من تاريخ الحركة الوطنية الديموقراطية لطلاب مصر)، دار «المحروسة»، القاهرة، ١٩٩٩. (نفذ).

٨ ـ ما بعد الصهيونية وأكذوبة حركة السلام فى إسرائيل، طبعة أولى دار «ميريت»، القاهرة، ١٩٩٩، دار «جزيرة الورد»، القاهرة، ٢٠١٠، طبعة ثانية.

٩ ـ الدور الوظيفى للعلم والتكنولوجيا فى تكوين وتطوير الدولة الصهيونية، القاهرة، «دار الطباعة المتميزة»، ٢٠٠٤. (نفذ).

١٠ ـ الديمقراطية المغدورة فى الشرق الأوسط الجديد، القاهرة، «دار النشر الإليكترونية»، ٢٠٠٤.

١١ ـ رفّة الفراشة: حركة «كفاية»، الماضى والمستقبل، القاهرة، مطبوعات «كفاية»، ٢٠٠٦. (نفذ).

١٢ ـ الشرق الأوسط الجديد، مؤسسة عيبال، قبرص، ٢٠٠٧.

١٣ ـ صراع الطبقات فى مصر المعاصرة، دار «جزيرة الورد»، ٢٠١٠.

للتواصل مع المؤلف:

Mobile: 0101435536

E.Maile: amrol msry@Yahoo.com

فهرس المحتويات

الفصل الأول

الفصل الثانى

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع

الفصل الثامن

الفصل التاسع

الفصل العاشر

الفصل الحادى عشر

الفصل الثانى عشر

الفصل الثالث عشر

الفصل الرابع عشر

ملحق الكتاب